

الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام دراسة مقارنة

الدكتور

أميمة بنت أحمد شاهين الجلاهية

الاستاذ المساعد في علم العقيدة ومقارنة الأديان

بكلية الآداب للبنات بالدمام - المملكة العربية السعودية

تقديم

الاستاذ الدكتور/ محمود عبد السميع شعلان

أستاذ علم مقارنة الأديان - بجامعة الأزهر

الناشر

مكتبة/ زهراء/ الشرق

ت/ ٣٩٢٩١٩٢

الخطيئة الأولى

بين اليهودية والمسيحية والإسلام
دراسة مقارنة

تأليف

الدكتورة/ أميمة بنت أحمد بن شاهين الجلاهمة
الأستاذ المساعد في علم العقيدة ومقارنة الأديان
بكلية الآداب للنبات بالدمام - المملكة العربية السعودية
تقديم الأستاذ الدكتور/ محمود عبد السميع شعلان
أستاذ علم مقارنة الأديان بجامعة الأزهر

الناشر

دار زهراء الشرق

١١٦ ش محمد فريد - القاهرة

ت ٣٩٢٩١٩٢

حقوق الطبع محفوظة

رقم الايداع ٢٤٣٧ / ٩٧٠

الترقيم الدولي I.S.B.N

977 - 5789 - 26 - 5

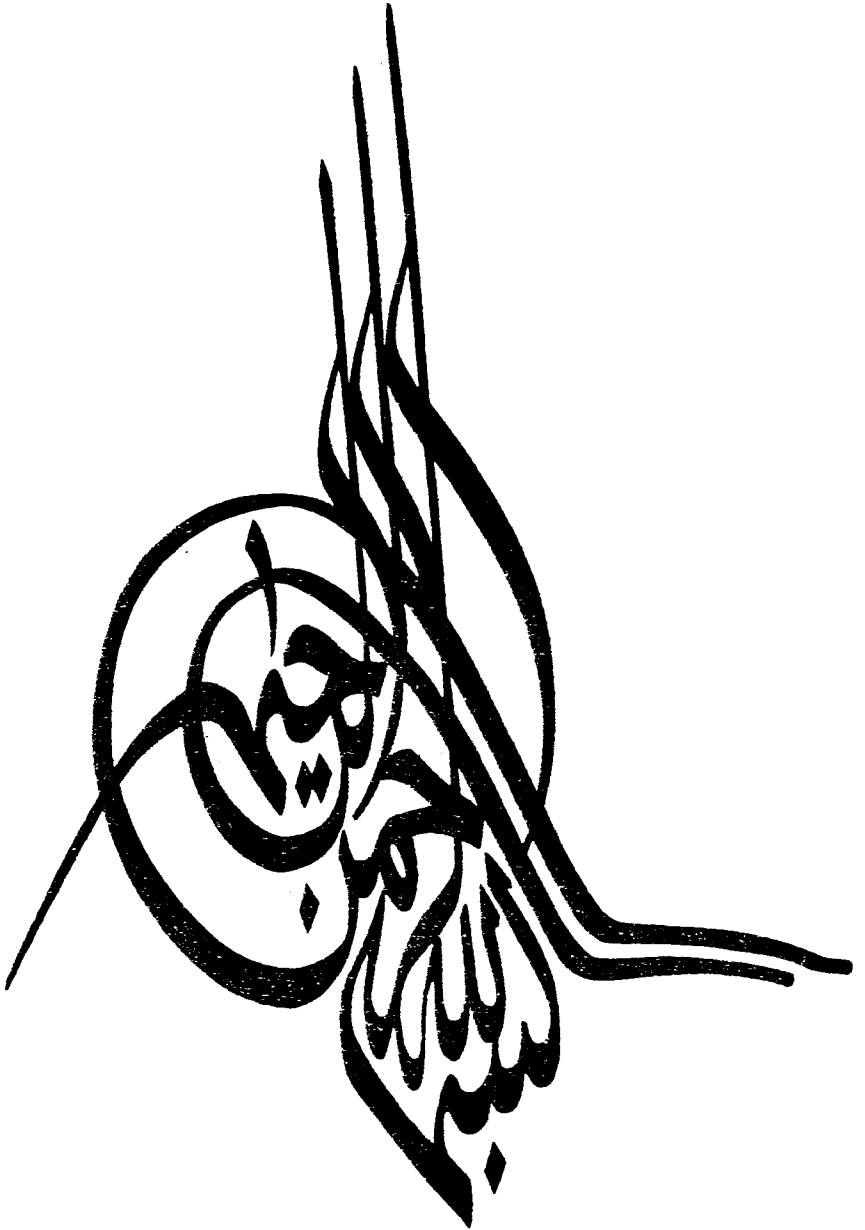
الناشر

مكتبة زهراء الشرق

١١٦ شارع محمد فريد

ت / ٣٩٢٩١٩٢ بالقاهرة

فاكس ٣٩٣٣٩٠٩



اهداء

إلى هذا الوطن -المملكة العربية السعودية- إذ لم يكن بالإمكان أن أحقق هذا الحلم لولا الله - سبحانه وتعالى- ثم مساندة بلادي لطموحاتي، وتشجيعها لي، والذي تمثل أكثر ما تمثل في توفيرها لي علماء يعدون من نوادير هذا العصر في علمهم ونبيلهم وصبرهم، تعاملوا معي من منظور الأب الحريص على أبنائه، ومن هذا المنطلق أشعر أن هذا الوطن الغالي يستحق هذا الإهداء، وإن كنت أعتقد أن الهدية لاتهدى لصاحبها. أدعوه -سبحانه وتعالى- أن يجعل هذا الجهد في موازين حسناتي يوم القيامة إنه سميع الدعاء.



شكر وتقدير

عقب الانتهاء من هذه الدراسة أتوجه الى الله سبحانه بالحمد، من قبل ومن بعد كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، فقد منحني الصبر والرغبة الصادقة من أجل التصدي لهذا الموضوع العقدي الهام. كما أشكره تعالى جزيل الشكر اذ قيض لي أستاذا كأستاذي **الدكتور وفقي علي زاهر** -رحمه الله- ليكون مشرفا على هذه الدراسة وعلى رسالة الماجستير من قبل، فقد خصني بالكثير من وقته الثمين وفكره الغزير وتوجيهاته السديدة التي كانت لها أكبر الأثر في تسهيل مهمتي في كتابة هذه الرسالة، والوصول الى النتائج التي توصلت اليها، فجزاه الله خير الجزاء وأسكنه فسيح جناته، وتغمده بواسع رحمته، وكم كنت أتمنى أن يكون بيننا ويشهد نشر هذا البحث، لكن عاجله قدر الله قبل أن تتحقق له تلك الغاية، وسأظل أذكره وأدعو له ما حييت، بأن يسكنه الله الفردوس الأعلى ويجعله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

ولايفوتني أن أسجل شكري لأستاذي **الأستاذ الدكتور محمود شعلان** -حفظه الله- على معاونته وإرشادي الى بعض المراجع المهمة وتفضله بتزويدي بها، وحرصه واهتمامه الذي ظهر واضحا من خلال إشرافه على طباعة هذا الكتاب وعلى إظهاره بهذه الصورة المشرفة، وهذا الاخلاص لايستبعد على أستاذي الفاضل الدكتور محمود شعلان.

ولأنسى العون العلمي الدائم الذي أظهرته مكتبة الملك فهد الوطنية وعلى رأسها أمينها أستاذي الفاضل **الأستاذ الدكتور يحيى محمود ساعاني**، فقد يسرت لي هذه المكتبة بتفهم أمينها وبسياستها الرشيدة الحصول على أغلب المراجع الأصلية للديانتين اليهودية والمسيحية، أدعوه سبحانه أن يجزي هذه المكتبة وأمينها، عنى وعن روادها من طلبة العلم خير الجزاء.

ولأجد أقل من توجيه الشكر الى زوجي العزيز، فقد ساندنى وساعدنى ووفر لي من وقته ماأتاح لي اتمام هذه الدراسة.
كما أشكر أبنائي الأعزاء على تفهمهم لأعباء الرسالة، وهو الشكر الذي أوجهه الى بقية أفراد أسرتى لما قدموه من اهتمام وتشجيع. وأخيرا أتوجه بالشكر والعرفان لزميلاتي في كلية الآداب للبنات بالدمام، ممن ساعدنني برأي أو إعارة كتاب.

**[ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ
وعلم والحسي، وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك
في عبادك الصالحين]**
(سورة النمل آية (١٩)).

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين،
صلى الله عليه وسلم.

تقديم بقلم فضيلة الأستاذ الدكتور / محمود عبد السميع شعلان.
 استاذ علم مقارنة الأديان بكلية أصول الدين جامعة الأزهر
 شبين الكوم.

أحمد الله تعالى وأصلى وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله
 وصحبه ومن اتبع نهجه وسار على هداية يوم الدين؛

وبعد

فإن اليهود والنصارى يعملون جاهدين على إنصاف الخطيئة
 بأبى البشر آدم عليه السلام وبكل من ولد من نسله حتى كبار أنبياء الله
 تعالى ورسله ولهم في ذلك مآرب.

فلعل اليهود ولكونهم غارقين في الأخطاء يحاولون بث هذه
 العقيدة لتبرير آثامهم ومساوئهم.

أما النصارى فقد جعلوا عقيدة الخطيئة هي أصل تعقائد التي
 قامت عليها المسيحية فبسبب الخطيئة في زعمهم صلب المسيح فاديا
 للبشر مكفرا لخطاياهم ولا يكون كذلك إلا إذا كان إليها مشاركا للآب في
 الجوهر متجسدا في هيئة إنسان كما يزعمون.

أما الإسلام وهو دين الفطرة فلا يصح فيه إلا الصحيح لأنه غير
 مبدل ولا محرف والقاعدة فيه أنه "ولا تزر وازرة وزر أخرى" وأنه
 لا سعي للإنسان إلا ما سعى.

ولا أريد الإطالة في الخوض في هذا الموضوع بل أتركه
 للأستاذة الدكتورة أميمة التي عشقت دراسة الأديان والخوض في
 أعماقها بل إن مبلغ علمي أنها تكاد تكون متفردة بين النساء في اقتحام

هذا الميدان الوعر وهذا المسلك الصعب ولقد جاهدت جهادا كبيرا حتى
خرج هذا الكتاب على هذه الهيئة التي ترضى الباحث وتسر المتخصص
وإليك أيها القارئ الكريم هذا الكتاب.

ا.د./ محمود شعلان

استاذ علم مقارنة الأديان

بكلية أصول الدين جامعة الأزهر

شبين الكوم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغديه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله المبعوث رحمة للعالمين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

استفتح بالذي هو خير

(ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير)^(١)

قال تعالى [ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون].^(٢)

وقال سبحانه: [قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون].^(٣)

إن منهج القرآن الكريم واهتمامه بمناقشة أصحاب الأديان الأخرى ولاسيما الكتابية منها، أوضح من أن يرقى إليه شك وأجلى من أن تثور حزنه مناقشة، فلا تكاد آياته البينات تعرض الحديث عن عقائد أهل الكتاب إلا لنجد في ثناياها توجيهها راتعا إلى مناقشة مافسد من هذه العقائد، وتصحيح مافيها

(١) سورة الممتحنة، الآية ٤.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

من خلل وانحراف، ومن هذا المنطلق اتجهت لدراسة الأديان والتخصص فيها، داعية الله سبحانه أن يتقبل عملي لوجهه الكريم، فاخترت في دراستي لمرحلة الماجستير الديانة اليهودية أول الأديان السماوية القائمة، والعقيدة الألوهية فيها بالذات لما تستأثر به هذه العقيدة من أهمية بالغة في جميع الأديان، فلما حان الوقت لاختيار موضوع جديد للتسجيل لدرجة الدكتوراه اتجه فكري إلى إختيار عقيدة أساسية في الديانة المسيحية رغبة في دراسة هذه الديانة، وبعد تفكير وبحث نصحتني أستاذي الفاضل الدكتور "رفقي زاهر" أن أتجه إلى دراسة عقيدة الخطيئة الأولى عند النصارى لما تشغله هذه العقيدة من مكانة بارزة بين عقائدهم، بل إن عقائدهم الأساسية قائمة على هذه العقيدة. وهو ما أكده هنري أبو الخاطر بقوله:

"الفداء خلاصاً للبشرية، وهو من صلب العقيدة المسيحية، والعقيدة تنهار والفداء يفقد معناه إن لم يتجسد الله ويخلص البشرية من شوائب الخطيئة الأصلية"^(١).

وقد ازداد اقتناعي بأهمية تخصيص هذه العقيدة بدراساتي في هذه المرحلة أنها لم تحظ من الباحثين والدارسين بما تستحقه من عناية، إذ لم أقع على دراسة خاصة لأحدهم تتعلق بهذه القضية مع أهميتها وخطورتها. ولكن مع استمرار القراءة حول الموضوع تبين لي أمران في غاية الأهمية.

أحدهم أن دراسة هذه القضية في المسيحية لا يمكن أن تتم بغير الرجوع إلى العهد القديم الذي عرض قصة الخطيئة الأولى ورتب عليها بعض الآثار المتصلة بالعقيدة والشريعة.

أما الأمر الثاني فهو أن الرسالة لا يجوز أن تقتصر على مجرد

(١) نظرات في الحتمية والجبرية والحرية. ص ١٣٥.

العرض لما ورد في هاتين الديانتين، وإنما يتحتم أن تقوم الباطل بالحق، ونكتف الخطأ بالصواب، ولا يتسنى لنا ذلك إلا ببيان موقف الإسلام من هذه العقيدة، وما ارتبط بها من عقائد وآثار في كل من اليهودية والمسيحية مع المقارنة العلمية بين مواقف الأديان الثلاثة، لنخلص في النهاية إلى دراسة متكاملة تجمع بين العرض والتقييم، ومن ثم فقد انتهى الرأي العام إلى أن يكون موضوع هذه الرسالة "الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام، دراسة مقارنة".

وقد وضعت لنفسى منهاجاً التزمت به خلال هذه الدراسة، يمكن إجماله في الأمور الأربعة التالية:

أولاً : الرجوع إلى المصادر الأصلية للأديان الثلاثة.

ثانياً : محاولة فهم المعنى المقصود بالجمع بين النصوص الواردة في موضوع واحد، وبالرجوع إلى مقالته كبار العلماء في كل دين.

ثالثاً : عدم التدخل أثناء عرض القضايا بالحكم والتقييم إلا إذا عرضت مسألة مهمة تستوجب تعليقا سريعا لما قد يحدثه تعارض النصوص من ارتباك.

رابعاً: المقارنة الموضوعية الحقيقية بين مواقف الأديان الثلاثة من الخطيئة الأولى تلمسا لكلمة الحق في هذه القضية.

وتحقيقاً لهذا المنهج مضت خطة الرسالة كما يأتي:

- ١- مقدمة: تشرح أهمية الموضوع وسبب اختياره وتعرض منهج تناوله.
 - ٢- تمهيد: يشير إلى مضمون القضية المطروحة واختلاف الأديان الثلاثة حوله.
 - ٣- أبواب الرسالة:
- الباب الأول:**

موضوع الخطيئة الأولى في اليهودية، وهو يلقي الضوء على هذه

القضية من خلال ماورد في مصادرها المقدسة، ولنكون صورة واضحة حول هذه العقيدة سيتكون هذا الباب من فصلين:

الفصل الأول:

عرض وتحليل لقصة الخطيئة الأولى كما وردت في التوراة.

أما الفصل الثاني:

فألقي الضوء فيه على الآثار العقديّة والشرعية الناشئة عن إيمان اليهود بالقصة المذكورة، تلك الآثار التي كان لها دور في تغيير معالم الديانة اليهودية الصحيحة مع بيان شروح علماء أهل الكتاب وتعليقاتهم لهذه الآثار والتي أكدت في الغالب ارتباطها بالخطيئة الأولى، كآثار ناشئة عن إيمان اليهود بمضمون هذه القصة التوراتية.

الباب الثاني:

بعد أن تم رسم الصورة عن عقيدة الخطيئة الأولى عند اليهود من خلال ماورد في مصادرها المقدسة، انتقلت في هذا الباب لأتعرف على صورة هذه العقيدة في الديانة المسيحية، وهو مكون من تمهيد وفصلين.

أما التمهيد فقد وضح فيه تأييد المسيحية لما ورد في التوراة.

غير أن الأمر في المسيحية لم يقف عن مجرد الإيمان بما ورد في الأسفار اليهودية، فقد نشأت عن الإيمان بالخطيئة الأولى في المسيحية عدة عقائد أساسية تضمن الفصل الأول من هذا الباب الحديث عنها. وهذه العقائد الهامة يمكن حصرها في ثلاث عقائد هي:

١- بنوة المسيح لله.

٢- الفداء.

٣- عالمية المسيحية.

ومن ثم فقد تكون هذا الفصل من ثلاثة مباحث يتناول كل منها احدى العقائد المذكورة.

أما الفصل الثاني فهو يتحدث عن قضية خطيرة حقا، لم ترد في العهد الجديد، وانما انتهت اليها جهود القساوسة فيما بعد.. لعوامل مادية بحثة، هذه القضية هي قضية الإثم الفردي ومايستوجبه من تدخل الكنيسة في الغفران.
الباب الثالث:

خصص للحديث عن موقف الإسلام من هذه العقيدة وماارتبط بها من آثار وعقائد في العهدين القديم والحديث، وهذا الباب يتكون من ثلاثة فصول:
الفصل الأول: عرضت فيه قصة الخطيئة الأولى كما وردت في الإسلام.
أما الفصل الثاني: فقد بينت فيه موقف الإسلام من التصور اليهودي للآثار الناشئة عن الإيمان بالخطيئة الأولى.

وأما الفصل الثالث: فانتقلت فيه للحديث عن موقف الإسلام من العقائد والطقوس المرتبطة بالخطيئة الأولى في المسيحية.

الباب الرابع:

عقدت فيه مقارنة بين مواقف الأديان الثلاثة من الخطيئة الأولى، وماارتبط بها من عقائد وترتب عليها من آثار.
وذلك بتخصيص **الفصل الأول** من هذا الباب لأسس المقارنة العقلية والتاريخية والغائية، وقد وصلت في نهايته إلى معرفة الحق من البطل من خلال عرض هذه الأسس.

ثم خصص **الفصل الثاني** للحديث عن العوامل التي أدت إلى الانحراف في هذه القضية وهي نفسية وقومية ودينية.

٤- خاتمة تجمل نتائج البحث وتوصياته.

٥- مراجع الرسالة.

٦- الفهارس.

وقد واجهتني أثناء دراستي لهذه القضية صعوبات أهمها صعوبة الحصول على مراجع أصلية للديانتين اليهودية والمسيحية، وقد استطعت تجاوزها بفضل الله وتوفيقه، ثم مساعدة المؤسسات العلمية في المملكة العربية السعودية.

وبعد فذلك هو البحث الذي أسفرت عنه سنوات طويلة بذلت فيها ما استطعت من جهد وانتهيت فيه إلى مايسر الله من نتائج، أسأله سبحانه وتعالى أن يتقبله مني لوجهه الكريم ويعفو عن تقصيري ما وجد التقصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. [وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب]^(١)

والحمد لله رب العالمين

(١) سورة هود، الآية ٨٨.

التمهيد

تباينت الآراء في المقصود من الخطيئة الأولى ومصدرها، مما يتطلب ضرورة البحث في تلك الآراء، وتقصي ما طرحته من أفكار للوصول الى مفهوم يحدد المراد منها.

فبالنسبة لمصدرها نجد أن هناك من يعتقد انها صدرت عن مخلوقات قبل الإنسان وجدت على هذه الأرض، وهذا الاعتقاد يؤيده ما ذكره ابن كثير في تفسيره بقوله تعالى: **[وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون]**^(١). فقد ذكر رواية مجاهد عن عبد الله بن عمر قال: كان الجن بنو الجان في الأرض قبل أن يخلق آدم بألفي سنة فأفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء وبعث الله جندا من الملائكة فضربوهم حتى ألحقوا بجرائر البحور*، فقال الله للملائكة **[إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون]**^(٢).

بل هناك من يعتقد أن المخلوقات التي وجدت قبل الإنسان وصدرت عنها الخطيئة هي الملائكة هذا الاعتقاد وارد في تفاسير أهل الكتاب لكتابهم المقدس^(٣).

(١) سورة البقرة. الآية ٣٠.

* علق الشيخ مقبل بن هادي الوادعي. مخرج أحاديث تفسير بن كثير. على هذه الرواية وأمثالها بقوله: "وغالب هذه الآثار ليس مما تطمئن النفس إلى ثبوته بل غالبها عن الكتب القديمة التي ليس لها أسانيد. راجع المجلد الأول. ص ١٢٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٧٠.

(٣) راجع: سنن تقويم في تفسير أسفار العهد القديم. ج ١، ص ٤٥.

والبعض الآخر يعتقد أن الخطيئة الأولى محصورة في خطيئة إبليس عندما امتنع عن الخضوع لأمر الله بالسجود لآدم، ومنهم من يظن إن هذه التسمية يقصد بها أول خطيئة وقعت من إنسان على محيط الكرة الأرضية، وهذا الظن يجعلها محصورة في خطيئة قابيل بقتله أخاه هابيل ظلماً وعدواناً. هذه هي مجمل الآراء حول ماهية هذه الخطيئة، وهي آراء تدعو إلى بعض المناقشة.

بالنسبة للرأي القائل إن الخطيئة الأولى صدرت من الجن فمرفوض، لعدم وجود نص صريح في أي دين من الأديان الثلاثة على وقوعها منهم، أما الرأي القائل إن الخطيئة الأولى صدرت من الملائكة فغريب، فالذي يتبادر إلى ذهن السامع عند ذكر الملائكة أنهم مخلوقات علوية منزهة عن الخطيئة تبادر إلى تنفيذ أمر الله، كما أن نصوص القرآن الكريم والعهد القديم والجديد تؤكد اتصاف الملائكة بتلك الصفات، وهذا يعني عصمتهم من المعاصي.

والاعتماد على تفسير مفسري الكتاب المقدس^(١) في إثبات هذه القضية أمر غير وارد وغير مقبول، كما أن وجود بعض النصوص في العهد الجديد تنسب المعصية إلى الملائكة لا تكفي لإثبات وقوع الخطيئة الأولى منهم، فهذه النصوص لا تشير إلى الخطيئة الأولى هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن إنفراد العهد الجديد بهذا الحديث يخرجها من نطاق المقارنة.

أما بالنسبة للرأي القائل إن الخطيئة الأولى صدرت من قابيل، فمردود فقد سبقتها خطيئتان، وهما خطيئة إبليس، وخطيئة آدم وحواء وهذه بنص القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى.

والأوفق أن تسمى خطيئة قابيل أول خطيئة أرضية إذ أنها ليست الخطيئة الأولى على الإطلاق، إذ إنحصرت الخطيئة الأولى في اثنتين،

(١) راجع: قاموس الكتاب المقدس، مادة الملاك.

خطيئة إبليس وخطيئة آدم، ويوجد اتصال وثيق بينهما على اعتبار أن خطيئة إبليس التي أشارت إليها التوراة خطيئة الإغواء، أما إذا قصد بالخطيئة الأولى عدم سجود إبليس لآدم فهذا أمر ينفرد به الإسلام، ومن ثم لا يدخل في مجال المقارنة، وهكذا يتعين أن تحمل الخطيئة الأولى على المعنى المشترك بين الأديان الثلاثة، أي خطيئة آدم وحواء، بالإضافة إلى أن هذا الإطلاق شائع بين أبناء اليهودية والمسيحية على الإطلاق^(١).

إذا فالخطيئة الأولى هي معصية آدم وحواء بأكلهما من الشجرة المحرمة، ويمكن القول إن هذه المعصية هي موضع خلاف ظاهر بين الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام، فهي تتحد في أصل الخطيئة أي في وقوع آدم وحواء في المعصية، أما فيما يختص بالتفاصيل والأمور المترتبة عليها فبين الإسلام من جهة والديانتين السابقتين من جهة أخرى فرق شاسع، وهذا لا يعني عدم وجود اختلاف حولها بين الديانتين اليهودية والمسيحية، بل إن الخلاف الكبير بين الديانتين حول هذه القضية أدى إلى خلاف عقدي. ومن ثم تدور هذه الرسالة حول الخطيئة الأولى بهذا المفهوم، والله ولي التوفيق.

(١) راجع: الأب الدكتور منير خوام، المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية.

الباب الأول

الخطيئة الأولى في اليهودية

الفصل الأول: قصة الخطيئة كما تعرضها التوراة.

الفصل الثاني: الآثار الناشئة عن الإيمان بالقصة المذكورة.

الفصل الأول

قصة الخطيئة كما تعرضها التوراة

لابد للباحث في العهد القديم من الوقوف وقفات عديدة عن الإصحاح الثالث من سفر التكوين، الذي يتحدث بإسهاب عن تجربة الإنسان وسقوطه، والنتائج التي ترتبت على هذا السقوط، إن هذا الإهتمام يفرض نفسه يرجع إلى مضمون هذا الإصحاح.

ولنكون على بينة من ذلك سأطرح النص المتعلق بتجربة الإنسان وسقوطه كاملاً، ومن ثم أبدأ بعرض بعض التساؤلات التي قد تتبادر إلى الأذهان محاولة الإجابة عنها قدر المستطاع من خلال شروح علماء أهل الكتاب المتعلقة بهذه القضية، ومن خلال تقويم مليرد بهذا الخصوص . وهذا ما يتضمنه الفصل الأول من هذا الباب، في حين سيكون حديث الفصل الثاني والأخير منه عن الآثار المترتبة عن إيمان اليهود بالقصة المذكورة .

ويعرض سفر التكوين قصة الخطيئة الأولى فيقول : (وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله . فقالت للمرأة : أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة . فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل . وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسأه لنلا تموتاه . فقالت الحية للمرأة لن تموتاه . بل الله عالم أنه يوم تأكلا منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر . فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر . فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل . فاتفتحت أعينهما وعلمتا أنهما عريتان . فخطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر .

وسمعا صوت الرب الإله ماشيا عند هبوب ريح النهار . فاختبا آدم وامراته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة . فنادى الرب الإله آدم

وقال له: أين أنت. فقال: سمعت صوتك في الجنة فخشيت لآني عريان فاختبأت. فقال: من أعلمك أنك عريان. هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لاتأكل منها. فقال آدم: المرأه التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت. فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا الذي فعلت. فقالت المرأة: الحية غرتني فأكلت فقال الرب الإله للحية لانك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك. وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه. وقال للمرأة تكثيرا أكثر أتعب حبلك. بالوجع تلدين أولاداً وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك. وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لاتأكل منها ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشكا وحسكا تنبت لك وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها. لأنك تراب وإلى تراب تعود.

ودعا آدم اسم امرأته حواء لأنها أم كل حي. وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصه من جلد وألبسهما.

وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً للخير والشر. والآن لعله يمد يده يأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد. فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها. فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة^(١).

فالنص السابق يثير عدة تساؤلات جوهرية بالإضافة إلى فكرته

الأساسية التي يدور حولها.

(١) سفر التكوين، الإصحاح الثالث.

ذلك أن محتوى النص لا يبدو بالوضوح الكافي فيما يتعلق بعدة نقاط

مر النص إليها بشكل سريع وهذه النقاط هي:

١- الحياة.

٢- الشجرة المحرمة

٣- شجرة الحياة.

وسأعرض أثناء تناولي لهذه النقاط لأمر أخرى - لا تقل عنها أهمية،

بل قد تزيد- تضمنها نص التكوين دون أن يشفي غليل القارئ لها.

١- الحية:

تبدأ القصة كما ظهر من النص بالإشارة إلى أن الحية التي هي أحييل الحيوانات، كانت وراء إغراء المرأة وإغوائها وسقوطها في الخطيئة. ولانجد في النص أي إشارة إلى ماهية هذه الحية وهو أمر يدعو التساؤل، فهل كانت هي حية حقيقية أو مجازية قصد منها الإشارة إلى الشيطان؟ وكان لا بد من الرجوع إلى تفاسير العهد القديم لعلها تتضمن الجواب الشافي، ولكن بالرجوع إلى هذه التفاسير ازدادت المسألة غموضا وبعض المفسرين لم يحاول الإجابة عن هذا التساؤل وما كان منهم إلا أن قالوا:

"هل كانت هذه الحية حية حقيقية إستخدمها الشيطان، أو كانت الشيطان نفسه ظهر بصورة حية، وهل تكلمت حقيقة أو لا وهل الكلام مجاز وتمثيل. ذلك لانعلمه وترك الجواب على هذه المسائل خير من إتيانه مالم نقف على مايدل على اليقين"^(١).

والغريب إن هؤلاء المفسرين كانوا قد ذكروا في نص سابق مايزيد الأمر تعقيدا إذ قالوا:

"والظاهر من النص أن حواء لم تظهر أدنى دهشة أو تعجب من مخاطبة الحية لها. وهذا يدل على أنه قد مر عليها زمان طويل في الفردوس حتى عرفت كثيرا من طبائع الحيوانات فيه وألفتها"^(٢).

إن هذا النص يؤكد إعتقادهم إن حية حقيقية كانت وراء غواية حواء،

(١) كتاب انسنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج ١، ص ٥٤.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٣.

كما يدل أيضا على إنهم لم يتركوا الجواب عن هذه المسائل كما إدعوا. وكان الأجدر بهؤلاء المفسرين أن يقفوا عند هذا الحد إلا إنهم ذكروا رأيا رجحه بعض علماء أهل الكتاب دون الرد عليه، فكان هذا الصنع مما يؤكد خطورة المشكلة المعروضة والعجز عن حلها حلا منسبا، وذلك في قولهم:

"رجح بعضهم أن (شجرة المعرفة) لم يمنع من الأكل منها لمجرد كونها ممتحن الطاعة بل لكونها مع ذلك شجرة تردت إليها* الحية وأكلت منها فنهى الله الإنسان عن الإقتراب إليها لنلا يقع في التجربة. واستدل على ذلك بقوله (إن المرأة رأت أن الشجرة جيدة للأكل ص ٦:٣ أي رأت الحية تأكل منها بلذة فاشتتهت أن تأكل هي فسقطت في التجربة إقتداء بها وإطاعة لها"^(١).

ولقد قلب هذا النص الموازين السابقة، فهو يشير إشارة واضحة إلى أن الحية بريئة من إغواء حواء فلا ذنب لها في ذلك وأن اللوم وراء سقوط حواء وآدم في الخطيئة الأولى لا بد أن يوجه إلى حواء، التي كانت العامل الأول في ذلك فنهى التي رأت الحية تتردد على الشجرة المنهي عنها فاشتتهت أن تأكل منها، وكانت نتيجة هذه الشهوة السقوط في التجربة إقتداء بها، إذاً أصحاب هذا الرأي يشيرون إلى أن المرأة هي مصدر الغواية، بل أن من الغريب حقا أن يعتقد هؤلاء أن الله خشي أن يقع الإنسان في تجربة سبق وأن وقعت فيها الحية، فهل الحيوان غير العاقل في معتقد أهل الكتاب مكلف ليحاسب على عمله؟ وإن كان كذلك فهل كلف قبل آدم أو بعده؟ وبما أنه

* انصواب عليها.

(١) كتاب سنن اقويم في تفسير أسفار العهد القديم، ك ١، ص ٤٨.

مكلف فلا بد أن الله الخالق العادل أرسل له الرسل لينذروه ويبشروه وإن كان الأمر كذلك، فمن هم؟ هل هم من جنس واحد أو من أجناس مختلفة. ثم لو كان ذلك واقعا، فلماذا لم يشر العهد القديم إلى هذا التكليف؟ بل لماذا لم تشر الكتب السماوية الأخرى إلى ذلك.

وعلى فرض تسليمنا الجدلي بتكليفها، فلم يتم تبليغ آدم وحواء بذلك السقوط؟ أليس في ذلك مدعاة لزيادة الحذر عندهما، بل لماذا أخرت عقوبتها إلى ما بعد أكل آدم وحواء من الشجرة، لقد كان الأجدر أن تعاقب بعد إتيانها التجربة، فيكون ذلك سببا في عدم وقوع حواء في الغواية. وللاب الدكتور منير خوام رأي آخر في هذه القضية، وهو رأي يختلف تماما عما ذكر سابقا فقد قال:

"إن الشيطان اقترب من حواء أخذاً صورة حية، وفتح معها حديثاً كله رياء وخبث وكذب... وراح يطمئنها بأنها لن تموت إن أكلت من ثمرة الشجرة الممنوعة (تك ١٧/٢) بل إنها بالعكس ستصبح مثل الله تعرف الخير والشر، وشجعها وحثها على الأكل منها. وأخيرا إنغوت حواء وأكلت منها وأعطت زوجها فأكل هو أيضا ١/٣-٦" (١).

فما المقصود من قوله "أخذاً صورة حية"، لقد قصد بذلك أن الشيطان تمثل في صورة حية ليتمكن من إغواء حواء ثم آدم، وإيقاعهما في الخطيئة. إذا فالأب الدكتور منير قرر أن الحية لم تكن حية حقيقية، وكل ما في الأمر أن الشيطان تمثل في صورتها ليحقق غايته من إسقاط الإنسان. ولم يكن من الممكن الوقوف عند تفاسير أولئك المفسرين للتناقض

(١) المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية، ص ٣٢٢.

الواضح بينها ولخلوها من المنطق، فاتجهت إلى دقرة المعارف الكتابية فوجدتها تقول:

"لقد دخلت الخطيئة من الخارج من عالم الروح بواسطة كائن غامض خارق للطبيعة إستخدم (الحية) أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله. والعهد القديم لا إستخدم (الحية) مرادفا للشيطان... وقد يرى البعض أن قصة السقوط مجازية أو رمزية، ولكن الإتجاه العام لهذه القصة القديمة هو الربط بين خطية الإنسان الأولى وبين كائن غير بشري إستخدم مطية معروفة للإنسان كمدخل إلى السقوط الهائل"^(١).

فدائرة المعارف الكتابية تقرر هنا أن الخطيئة دخلت إلى العالم عن طريق كائن غامض غير بشري إستخدم مطية معروفة للإنسان، وهي الحية كما ورد في أول النص.

فما المقصود بقولها كائن غامض، غير بشري؟ إن الدلائل تشير إلى أن المقصود هو إبليس، فإبليس إستخدم الحية وهي معروفة لدى حواء وأدم كأداة لإغوائهما، كما أن دائرة المعارف الكتابية أكدت على أن الحية حقيقية، وأن العهد القديم لا يقصد بها الإشارة إلى الشيطان، فهي بالنسبة له وسيلة لتحقيق هدفه. وهذا ما ذكره قاموس الكتاب المقدس بقوله: " الحية تحت تأثير شيطاني قادت حواء إلى الشك في صلاح الله ثم إلى أكل الثمرة المحرمة، وبعد ذلك ألحت حواء على آدم أن يأكل، (فسمع لقولها)، وشاركها ذنبها. وكانت النتيجة سقوط الإنسان"^(٢) كما ورد فيه:

(١) مادة جسد.

(٢) مادة حواء.

"وحية التجربة كانت في المظهر حية عادية ولكنها تفوق وحوش البرية في المكر والدهاء، وبعد ماتورطت في تجربة الإنسان لعنت بين الوحوش (التكوين ٣: ١٤) وربما لم تبصر حواء شيئا أكثر من حية، لكن الشيطان كان في هذه الحية، كما كانت الأرواح النجسة فيما بعد في الناس وفي الخنازير، تقودها، وتعيروها دهاء خارقا، وتستخدمها كوسيلة بها تقترب إلى حواء...، وقد وقع عليها القصاص"^(١).

ويتبين لنا من العرض السابق وجود أربعة آراء تتعلق بمصدر الخطيئة الأولى وهي:

الرأي الأول: يقرر إنها حية حقيقية إستقلت نفسها في الإغواء.

الرأي الثاني: أن الشيطان متمثلا بصورة حية قام بإيقاع حواء وأدم في الخطيئة^(٢).

الرأي الثالث: أن الشيطان إستخدم الحية في الإغواء.

الرأي الرابع: أن المرأة هي المصدر الوحيد للغواية ولوقوع الخطيئة الأولى^(٣).

فأي هذه الآراء أراده العهد القديم، بالنظر إلى مضمون سفر التكوين يمكن أن نؤكد أن الرأي الأول بعيد عن الصواب.

(١) قاموس الكتاب المقدس، مادة حية.

(٢) راجع: عمار البصري، كتاب البرهان، تحقيق ميشال الحايك، ص ٨٠. والشماس عبد الله زاخر الحلبي، البرهان الصحيح في حقيقة سري دين المسيح وهما سر التثليث وسر التجسيد، ص ٨٤.

(٣) راجع: علي الشوك، الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة، ص ٧٣.

ويرد على أصحاب هذا الرأي، بذكر قول ورد على لسان أصحاب الرأي الثالث جاء فيه "لأنجد مكانا ذكر فيه المجرب بإسم إبليس أو الشيطان، لكن من المحال ألا نرى هنا إلا مجرد حية، لأن الحادثة أبعد من أن يقوم بها حيوان غير عاقل وحده"^(١).

قولهم هذا هو الحق بعينه إذ ليس من المعقول أن تكون الحية، الحيوان غير العاقل وراء إغواء الإنسان العاقل، فمن البديهي والمسلم به أن العاقل هو الذي يوجه ويسير غير العاقل لما يريد وهذا ماوضحه الأب يوحنا الدمشقي بقوله: "وأعلم أن العاقل من طبعه أن يتسلط على غير العاقل"^(٢).
إذا رفضنا الرأي الأول نابع من عقولنا بغض النظر عن أدياننا وعقائدنا، فالعاقل منذ بدأ الخليقة يسير غير العاقل لخدمته وتحقيق رفايته وسعادته.

أما الرأي الثاني الذي يؤكد تمثل الشيطان بصورة حية ليتمكن من إيقاع أبويننا في الخطيئة، وكذلك الرأي الرابع الذي يقرر أن المرأة هي المصدر الوحيد للغواية، فهي التي أكلت من الشجرة المحرمة دون مسبب خارجي، وهي التي أغوت آدم فسقط في الخطيئة.

كلا الرأيين يمكن الرد عليه باستفهام عريض، وهو إن كان الأمر كما تقولون فلم عوقبت الحية كما عوقب آدم وحواء؟ إن ظاهر نص سفر التكوين يؤكد وجود علاقة مشتركة بين الثلاثة، الحية وحواء وادم، هذه العلاقة لايمكن أن تتم دون عنصر خارجي استخدم الحية لإغواء الإنسان فوقع في الخطيئة هذا العنصر الخبيث هو الشيطان، كما قرر أصحاب الرأي الثالث.

(١) تفسير الكتاب المقدس، ج ١، ص ١٥٠.

(٢) المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، عربيه الأرشمندرت أدريانوس شكور.

وهكذا ظهر أن الرأي الثالث هو أقرب الآراء لحديث العهد القديم، ولا يعني ذلك أننا نعتقد به أو نوافق عليه، ولكننا نحاول أن نحلله لنفهم مراد كاتبه، ولنتمكن بعد ذلك من توضيح موقفنا كمسلمين من ذلك المضمون.

٢- الشجرة المحرمة:

أما فيما يختص بالشجرة المحرمة فقد بين لنا نص الخطيئة الأولى أن شجرة واحدة محرمة دون شجر الجنة، وهي شجرة معرفة الخير والشر. هذه التسمية وردت في الإصحاح الثاني من سفر التكوين حيث جاء فيه [وأوصى الرب الإله آدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها. لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت] (١).

فما سبب تسميتها بهذا الاسم؟ وما سبب تحريمها دون شجر الجنة؟ وما سبب وجودها في الجنة؟

أما فيما يختص بسبب التسمية فيقول بعض المفسرين:

"يظن أن هذا الاسم دعيت الشجرة به بعد السقوط، لأنه قبل السقوط لم يكن أبوانا الأولان قد عرفا الشر وما كان يستطيعان معرفته بمجرد النمو العقلي لأن ذلك أما بالشعور بالخطأ وأما بمشاهدته في آخر" (٢).

من السهل الرد على هذا الرأي، وذلك بالرجوع إلى سفر التكوين نفسه الذي أورد هذه التسمية في إصحاحه الثاني، في حين أورد قصة الخطيئة الأولى في إصحاحه الثالث.

(١) الفقرات: ١٥-١٨.

(٢) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج ١، ص ٤٥.

إذا إطلاق هذه التسمية لم يكن بعد وقوع الإنسان في التجربة وسقوطه في الخطيئة، وإلا لوجدت هذه التسمية بعد ذكر قصة الخطيئة الأولى سواء في الإصحاح الثالث أو مايلييه. وهو القول نفسه الذي يمكن أن يوجه الى بوش الذي قال: "سميت شجرة معرفة الخير والشر لأن آدم يأكله منها عرف الخير بفقده له، والشر بإختياره إياه"^(١).

وقد تكفل فرنكن بالرد على بوش بقوله: هذه المعرفة هي إدراك الفرق بين الخير والشر لا المعرفة بالإختبار"^(٢)، أي إدراك فضل طاعة الإله وإدراك شر معصية أوامره أيضا.

فلو قصد نص الخطيئة الأولى من هذه التسمية ماذهب إليه بوش، لوجدت هذه التسمية بعد عرض نص قصة السقوط لأقبلها كما أشرت آنفا. فنص سفر التكوين لم يكتف بذكر هذه التسمية قبل السقوط مباشرة، بل أوردها قبل ذلك بكثير، إذ أشار إليها قبل حديثه عن خلق حواء كما جاء في الإصحاح الثاني منه (وأوصى الرب الإله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها. لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت. وقال الرب الإله ليس جيداً أن يكون آدم وحده. فأصنع له معيناً نظيره...)^(٣).

ولو تابعنا قراءة النص، فنصل إلى قوله: (فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام. فأخذ واحدة من أضلاعه وملاً مكانها لحما. وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم)^(٤).

(١) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٢) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج ١، ص ٤٥.

(٣) الفقرات: ١٦-١٨.

(٤) سفر التكوين، الإصحاح الثاني، الفقرتان: ٢١ و٢٢.

وهكذا نجد أن وجود هذه التسمية قبل وقوع الخطيئة يدل على أن المعرفة التي قصدتها سفر التكوين من هذه التسمية هي: إدراك الفرق بين الخير والشر، خير طاعة الله وشر معصيته، كما ورد على لسان فرنكا. وقد استوقفني كلام بن سميث عن الشجرة المعنية حيث قال:

"هذه الشجرة هي المنهي عنها في قوله (وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلها منها ولا تمسها لئلا تموتا) ص ٣:٣ وأنه لم يكن لهما أن يحصلوا على هذه المعرفة السامية بدون مخالفة أمر الله"^(١).

الحقيقة إنه من المتعذر تصور أن المعصية تكافأ بالخير، وإن كان من الممكن أن تقع من الله موقع الغفران، ولكن أن تكون نتيجة مخالفة أمر الله الحصول على الخير المتمثل في المعرفة، وأي معرفة، المعرفة السامية فذلك أمر لا يمكن لعاقل أن يتقبله.

كما حاول جاكويوس أن يفسر سبب تحريم هذه الشجرة فقال: "هذه الشجرة رمز إلى المعرفة الإلهية التي لا يجوز للإنسان أن يشتهيها لأنه لا يحيا بإتباع رأي نفسه ومشورتها بل بالإيمان وبإخضاع عقله وإرادته لله. وكان الشر قد دخل قبل ذلك بسقوط بعض الملائكة فلم يرد الله أن يعرف الإنسان الشر. وأكله الثمر المنهي عنه فصل بينه وبين الله لأن معرفة الشر نشأت بأكله من تلك الشجرة"^(٢).

(١) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج ١، ص ٤٥.

(٢) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج ١، ص ٤٥.

إذا هو يرى أنها حرمت لكونها رمز المعرفة الإلهية التي لايجوز أن تكون لغير الله، وما على العبد إلا الطاعة والخضوع لخالقه، وهو يقرر أيضا أن الملائكة عرفت الشر قبل آدم بارتكابها الخطيئة، فخاف ياهو على آدم وحواء مما أصاب الملائكة ولم يرد أن يعرفا الشر، ومن ثم فقد نهاهما عن الأكل منها، إذا فهو يعتقد:

أولا: أن الخطيئة الأولى هي خطيئة الملائكة.

ثانيا: أن معرفة الإنسان للشر أصبحت قائمة بأكله من شجرة المعرفة التي تعتبر رمز المعرفة الإلهية.

كل ذلك واضح من عبارات الكاتب، إلا أنه لم يشر الى طبيعة سقوط الملائكة، والعقاب الذي وقع عليهم. والدليل الذي بنى عليه قوله هذا. وبالتالي فإن ماذهب إليه غير مقبول، إذ لو كان ماذهب إليه صحيحا فلم أهملت الكتب السماوية بما فيها العهد القديم هذا الحدث الهام.

كما أن من غير المقبول عقلا أن تكون الخطيئة الأولى صادرة عن الملائكة على حد قول جاكويوس، ولايذكر العهد القديم تفاصيلها ولاعقوبتها، في حين تحدث وبتفصيل عن أمور كثيرة لاتصل الى أهمية هذه القضية. بل لماذا بقي الملائكة محل تقدير ياهو؟ إن قبول رأي جاكويوس يؤدي إلى القول بظلم الإله - ياهو - في حكمه على آدم وحواء اللذين لم يكونا أول من وقع في الخطيئة، ومع ذلك فلجنة ياهو إنصبت عليهما وعلى ذريتهما من بعدهما، في حين لم يشر العهد القديم إلى أن هذه اللعنة أصابت الملائكة اللذين ينسب جاكويوس الخطيئة الأولى إليهم.

أما قوله أن الإنسان عرف الشر بعد أن تناول من ثمر الشجرة المحرمة فإن العبارة تجنم الصواب، إذا كان القصد منها أن ضمير الإنسان السوي عادة مايصح بعد ارتكابه المعصية. وهو ماحصل مع آدم وحواء

الذين أدركا خطأهما ووقوعهما في الشر بمعصيتهما لله وعدم امتثالهما لأمره.

أما إذا كان المقصود معرفة الشر أي إدراك قبح معصية الله، والفرق بين خير الطاعة وشر المعصية فمردود، لأن الإله الرحمن لا يحاسب المرء على أمر يجهله.

والواضح من نص سفر التكوين أن آدم وحواء كان على علم بالفرق الحاصل بين الخير والشر. وأن الخير سيكون نصيبهما إن اتبع أمر الله، وأن الشر سيصيبهما إن وقع في المعصية.

كل ذلك واضح من نص الحديث الذي دار بين حواء والحية حول أمر الله، والوارد في الإصحاح الثالث من سفر التكوين، فقد جاء على لسان حواء (من ثمر شجرة الجنة نأكل. وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لاتأكل منه ولا تمسأه لئلا تموتاه)^(١).

فمثل هذا القول يوحي بأن حواء كانت على علم أن الموت الناتج عن معصية الإله بالأكل من الشجرة المحرمة شر، وأي شر، إنه فقد نعيم الجنة. وقد تعرض لموضوع تحريم الأكل من ثمر تلك الشجرة جملة من مفسري العهد القديم. كان هدفهم تبرير ذلك التحريم، الأمر الذي أدى إلى ظهور آراء مختلفة حول هذه القضية، فهناك من ذهب إلى:

"أن شجرة المعرفة لم يمنع من الأكل منها لمجرد كونها ممتحن الطاعة بل لكونها مع ذلك شجرة ترددت إليها الحية وأكلت منها. فنهى الله الإنسان عن الإقتراب إليها لئلا يقع في تجربة"^(٢).

(١) الفقرتان: ٢ و٣.

(٢) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج ١، ص ٤٨.

وقد إستشف آخرون الغاية من وراء التحريم من الحوار الذي دار بين الحية وحواء حول الشجرة المحرمة، والذي قالت فيه الحية لحواء (أحقا قال الله لاتأكلا من كل شجر الجنة. فقالت المرأة للحية من ثمر الجنة نأكل. وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة، قال الله لاتأكلا منه ولاتمسأه لنلا تمواته، فقالت الحية للمرأة لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تتفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر.)^(١) فخلصوا إلى رأي مضمونه:

"إن وجود بعض الصدق في تلك الكذبة جعلها أكثر خداعا...، نعم إن التناول من الشجرة المحرمة يقود إلى ثبات خلقي، وهي الحالة الكائنة التي فيها الله بطبيعة الحال، لكن التشبه بالله في هذه الحالة، يختلف عن ذلك الذي قصده الله للإنسان. من ناحية تعادل الأخلاق. - ولو أن هذه الكلمة لاتعبر عن المعنى تماما، لأن الإنسان كان قد خلق كاملا وله ميول تتجه إلى الله - فإنه كان يجب على الإنسان أن يتقدم إلى مركز أسمى من الكمال الخلقي، ويكون له الثبات في الخلق المقدس. لقد كان قصد الله أن يكون الإنسان مشابها له من جهة هذا الأمر، لكن الخطية قد جعلت الإنسان يصل إلى ثبات في الأخلاق، يختلف عن هذا، لقد نال ثباتا في الأخلاق، لكن تلك الأخلاق كانت شريرة في نوعها."^(٢)

فأصحاب هذا التفسير يعتقدون أن الإنسان تميز بثبات خلقي قبل المعصية وبعدها، لكن الفرق بين الحالتين أن هذا الثبات كان قبل المعصية متجها نحو الكمال، وأن الله أراد لهذا الكمال أن يثبت أي لا يكون كمالاتا طارئا، ليصبح الإنسان بذلك شبيها بالله ذا أخلاق ثابتة كاملة، ولكن الإنسان

(١) سفر التكوين، الإصحاح الثالث، الفقرات: ١-٥.

(٢) تفسير الكتاب المقدس، ج ١، ص ١٥١.

بتناوله من الشجرة المحرمة، تحول إلى ثبات خلقي آخر يختلف عن السابق، فقد اتجه إلى ناحية النقص، وأصبح الشر بذلك جزءاً من طبيعته بعد المعصية، وهذا عكس ماأراد الله له، بأن يكون ثباتاً خلقياً متجهاً للخير. ونتبين من الرأي السابق أن التحريم لم يأتي نتيجة أن الشجرة كانت محرمة لذاتها، بل لأن الأكل منها قد أدى إلى ارتكاب ما يخالف أمر الله. ويورد يوحنا الدمشقي عند تعليقه لسبب تسمية هذه الشجرة، ووجودها رأياً مخالفاً، يحمل في طياته رداً على ماورد في التفسير السابق حول الغاية من تحريم شجرة المعرفة، فهو يرى أن ياهو:

قد غرس شجرة المعرفة تجربة وامتحاناً واختباراً لطاعة الإنسان ومعصيته. ولذلك سميت أيضاً شجرة معرفة الخير والشر، أو ذلك لأنه أعطى المتناولين منها قوة لمعرفة طبيعتهم الخاصة، إن صالحة للكاملين، وإن شريرة لغير الكاملين والمنقادين إلى الشهوات^(١).

وكأنما أراد يوحنا الدمشقي القول إن شرط بقاء الإنسان في الجنة هو اجتياز امتحان الطاعة، والمتمثل في الإمتناع عن تناول ثمر الشجرة المحرمة، وهو الإمتحان الذي يثبت من خلال استحقاق آدم وحواء للبقاء في النعيم. فهل نجح الإنسان في هذا الإمتحان؟ أو خرج منه فاشلاً. يقرر سفر التكوين فشله في إثبات إستحقاقه لهذا النعيم، فقد تناول من الشجرة المحرمة، وبذلك عصي أمر الله وأطاع الشيطان.

فقد جاء فيه (فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وإنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً

(١) المائة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، عربه الأرشمندر ديت أدريانوس شكور.

معها فأكل).^(١)

إذا فيوحنا الدمشقي لم يتعد عن جادة الحق عند تعليقه بسبب تسمية هذه الشجرة ووجودها في الجنة.

ولقد حدث سفر التكوين عما نتج عن أكل الثمرة المحرمة السقوط في الخطيئة وبالتالي مخالفة أمر الله، وبمحاولة آدم وحواء للهرب من مواجهة ياهو، كما تناول الكيفية التي عرف بها ياهو لبذا السقوط في النص التالي (وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار. فاخترأ آدم وإمرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت)^(٢)، وهذا التصور دون شك لا يتفق مع شمول العلم الإلهي. وقد حاول بعض مفسري الكتاب المقدس تبرير هذا التصور، وإخفاء ضعفه بقوله:

"الإستفهام هنا للتوبيخ ولحمل المسئول على الإقرار عن علة مآتاه لا لطلب الفهم، لأن الله عرف أين كان ووجه الصوت الى مخبأه، فكأنه تعالى قال له يا آدم قل لي لماذا هربت مني بعد أن كنت تسرع اليّ مسرورا بلقائي فأين كنت وإلى أين صرت.

والظاهر إن آدم فهم ذلك لأنه أجابه ببين العلة لابييان المخباء كما في الآية التالية"^(٣).

والتي ورد فيها (فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاخترت)^(٤).

(١) الإصحاح الثالث، الفقرة ٦.

(٢) الإصحاح الثالث، الفقرتان: ٨ و٩.

(٣) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج ١، ص ٥٦.

(٤) سفر التكوين، الإصحاح الثالث، الفقرة: ١٠.

وقد علق هؤلاء المفسرون على هذه الآية بقوله:

"(لأني عريان فإختبأت) هذا جواب سؤال عن العلة لاجواب عن المكان. والذي جعل عريه علة الهرب من الله. عصيانه، فإنه قبل ذلك كان يلاقي ربه وهو عريان بلا خبز ولا خشية"^(١).

ومثل هذا التأويل لا يصمد أمام البحث العلمي، فالإستفهام التوبيخي معروف في كل اللغات، ولكن لا يدخل فيه السؤال عن المكان، وهو ما إستهل به ياهو عباراته وفق ما ذكره سفر التكوين، فلو أن استفهامه كان بصيغة - لماذا فعلت؟ أو كيف فعلت؟ لكن التوبيخ فيه واضحا أما والسؤال عن المكان، فإن هذا يصرفه عن المجاز إلى الحقيقة، ولاسيما وأنه لا توجد قرينة صارفة عن إرادة المعنى الإصلي.

وعلى فرض صحة زعمهم بأنه إستفهام كان الغرض منه التوبيخ لأكثر، فما هو تعليلهم للغرض من وجود الإستفهام الثاني^(٢)، الذي لا يتفق مع شمول العلم الإلهي بأي حال من الأحوال لقد علوه بقولهم: '(من أعلمك أنك عريان)؟ نبه الله بهذا ضمير آدم وجعله يشعر بنقصه وأن سوء حاله نتيجة عمله، فالإستفهام هنا للتنبية"^(٣).

إذا فالغرض منه على حسب زعمهم تنبيه ضمير آدم، وحتى لو سلمنا بقولهم هذا أيضا، فما هو تفسيرهم لسؤال ياهو الذي ورد في النص نفسه (هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لاتأكل منها)^(٤).

(١) كتاب السنن القويم في تفسير حفار العهد القديم، ج ١ ص ٥٦.

(٢) راجع: سفر التكوين، الإصحاح الثالث، الفقرة: ١١.

(٣) كتاب السنن القويم في تفسير حفار العهد القديم، ج ١، ص ٥٦.

(٤) سفر التكوين، الإصحاح الثالث، الفقرة: ١١.

الظاهر أنهم لم يجدوا في أساليب البلاغة مايمكنهم من تبريره، ومن ثم تعليل مضمونه، وبالتالي فقد مروا عليه دون أدنى تعليق!
وقد حاول بعض المفسرين تبرير سؤال الرب إلى آدم بقوله: (أين أنت) بأنه كان يبحث عنه لأنه مفقود لامن علم الله إنما من الشركة معه^(١) مما أوقعهم في تعليل غير منطقي، لأن كلامهم يوحي بأن الإنسان كان شريكا لياهو، والشريك لابد أن يكون موازيا لشريكه هذا من ناحية، كما أن تفسيرهم لم يثبت لياهو العلم اللائق بالإله، بل أثبت عجزه وجهله معا.
فالمشاهد في حياتنا أن المؤسسات القائمة على شراكة لايمكن لأحد من الشركاء الإنفراد بالشركة أو الانفصال عنها، وإلا أدى ذلك في الغالب إلى تفككها وضياعها.

كما أن كلامهم هذا يظهر حاجة ياهو لأدم شريكا له، لايمكن الإستغناء عنه، لذا فهو يناديه ويلومه مستفسرا عن مكانه.
إن المتابع لنص الخطيئة في سفر التكوين. يجد أن آدم وحواء قد أقرأ بالمعصية، ولكن كلاً منهما بطريقته، فأدم أقر بها قائلًا كما ورد في النص (المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت)^(٢) أما حواء فقالت: (الحية غرتني فأكلت)^(٣)

ولو حاولنا تحليل النص فسوف نجده متضمنا لأمر، هي:

أولاً: تبعية آدم لحواء.

ثانياً: محاولته التوصل من المسؤولية والقائها على الله أولاً ثم على حواء،

ليخرج من معصيته نقياً مبرءاً.

(١) راجع: تفسير الكتاب المقدس، ج ١، ص ١٥١.

(٢) سفر التكوين، الإصحاح الثالث، الفقرة ١٢.

(٣) الإصحاح نفسه، الفقرة ١٣.

ثالثاً: إن هذا النص يؤكد أن المرأة أكثر جرأة في الحق، فقد اعترفت بخطيئتها لاستجابتها لغواية الحية.

وهذه الأمور الثلاثة التي أشرت إليها أيدها بعض مفسري العهد القديم، فقد قال بعضهم:

"هي أعطتني أي أكلت إطاعة لمن خلقتها لي. لم يشعر آدم بما كُن عليه في التكليف والمسئولية، وما عليه من الواجبات لمن خلقت له معيناً وإنه كان يجب عليه أن يحرسها ويساعدها على التجربة"^(١)

لكن هؤلاء المفسرين سرعان ما يتراجعون عن مضمون تفسيرهم الذي كان يتوافق مع ظاهر النص تراجعاً قسرياً قائلين:

"ومن الخطأ أن نظن أن آدم حاول بذلك أن يجعل النوم على حواء ثم على الله الذي أعطاه إياها فالأولى أن نفهم أن آدم أجاب بالواقع التاريخي حسب الظاهر وأنه كان عليه أن يفعل ما فعل"^(٢)

إن مقالته هؤلاء المفسرون من أن آدم "كان عليه أن يفعل ما فعل"^(٣). بعيد عن الحق، إذ إن آدم أعطى فرصة كافية للسيادة المطلقة على الجنة قبل خلق حواء، وكان عليه أن يعرف أيضاً السيادة المطلقة على رغباته فلا يخضع لحواء بعد أن تأكد من التكليف الإلهي له بضرورة الامتناع عن الأكل من الشجرة. ويقدم لنا سفر التكوين صورة واضحة عن هذا التكليف وتلك

(١) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج ١، ص ٥٦.

(٢) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج ١، ص ٥٦.

(٣) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

السيادة إذ يقول: [وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها وأوصى الرب الإله آدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل أكلًا. وأما شجرة الخير والشر فلا تأكل منها. لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت] (١).

وقد تمكن آدم خلال هذه المدة كما يحدثنا سفر التكوين من تسمية جميع حيوانات البرية وقد جاء فيه [وجبل الرب من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء. فأحضرها إلى آدم ليرى ما يدعوها. وكل مادعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها. فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية. وأما لنفسه فلم يجد معيناً نظيره. فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملاً مكانها لحماً. وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم] (٢).

ويتضح لنا من نص العهد القديم أن آدم بقي سيداً منفرداً للجنة مدة من الزمن، تلقى فيها تكليف الله ووعيده، وكان ذلك قبل خلق الله لحواء فترة طويلة، لذا فإن العذر الذي قدمه آدم لوقوعه في المعصية زائف ولاقيمة له، فقد تلقى أمر الإله بالإمتناع عن الأكل من الشجرة بمجرد دخوله الجنة، وقبل خلق المرأة، كما أنه هو سيد الجنة، بالإضافة إلى أنه الكل وحواء الجزء، ومن الطبيعي أن يجذب الجزء للكل لا العكس.

وهكذا يظهر خطأ ماذهب إليه مذهب إليه هؤلاء المفسرون في هذه القضية، فقد كان الأجدر به أن يعترف بخطئه ويطلب المغفرة، أو أن يصمت لا أن يلقي باللوم على خالقه المتفضل عليه، أو على حواء التي خلقت عوناً له من أحد أضلاعه، والذي يدل بدوره على ضعفها وقلة حيلتها. والمتابع لأقوال هؤلاء المفسرين يفاجأ برجوعهم ثانية عن آرائهم

(١) الإصحاح الثاني، الفقرات: ١٥-١٧.

(٢) الإصحاح نفسه، الفقرات: ١٩-٢٢.

عندما يقررون أن إجابة حواء كانت أفضل من إجابة آدم إذ يقولون "جواب حواء أحسن من جواب آدم لأن فيه إعترافاً بأنها خضعت وضلت وتعدت وصية الله، وفي جواب آدم إنه فعل ماكان يجب عليه لحواء من الطاعة والتسليم"^(١).

لأعتقد أن هذا القول بعيد عن فهمنا للمراد من نص العهد القديم، والمتعلق بهذا الخصوص، الذي سبق وأن وضعناه.^(٢)

وكان لا بد أن تقع عقوبة الموت نتيجة المعصية، التي سبق أن أشار إليها الرب قبل الخطيئة، وبعد وضع آدم في الجنة مباشرة، عندما أمره أن يمتنع عن الأكل من شجرة معرفة الخير والشر.^(٣)

والملاحظ على النص الذي تضمن لعنة آدم وحواء نتيجة مخالفتها لأمر الرب ووقوعهما في الخطيئة، أنه اشتمل على أمور إضافية من بينها عقاب الحية. كما يوضح ذلك السفر نفسه في الإصحاح الثالث حيث نجد فيه وبعد الحديث عن معصية آدم وحواء وإقرارهما بها، مايلي [فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين وتراباً تأكلين كل أيام حياتك. وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه.

وقال للمرأة تكثيراً أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولاداً. وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك.

وقال لآدم لأنك سمعت لقول إمرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لاتأكل منها ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك.

(١) كتاب سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج ١، ص ٥٦.

(٢) أنظر الكتاب، ص ٤٢.

(٣) راجع سفر التكوين، الإصحاح الثاني، الفقرة: ١٧.

وشوكاً وحسكاً تثبت لك وتأكل عشب الحقل، بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها لأتلك تراب وإلى تراب تعود^(١).

ونستنتج من النص السابق أن الحكم الإلهي على الخطيئة قبل الوقوع فيها يختلف عنه بعد ذلك الوقوع، وهو ما يعني أن كاتب سفر التكوين أراد أن ينسف مبدأ الخلود، الأساس الذي استعان به إبليس في وسوسته لآدم وحواء. وكما أن الخلود كان النقطة البارزة في ذهن آدم والتي ستشده للمعصية، كان في التلويح بالموت ما يدفعه عن ارتكابها.

كما نستنتج أن القصاص لم يصل آدم وحواء وحدهم بل شمل ذريتهما وكذا الحية، فالحية كما ورد في النص أصيبت باللعنة من جميع البهائم والوحوش وعوقبت بالسعي على البطن. كما جعل التراب طعامها طواز حياتها، بالإضافة إلى دوام العداوة بينها وبين المرأة، وبين نسلها ونسل المرأة، أما المرأة فعوقبت بأمرين:

أولهما: مادي جسماني، وهو أوجاع الحمل والولادة.

ثانيهما: نفسي معنوي، وهو دوام اشتياقها إلى رجلها وسيادته عليها.

كما شمل العقاب الأرض فقد لعنت بسبب معصية آدم الذي أصبح لزاماً عليه أن يعمل عملاً متواصلاً لتحصيل رزقه بخلاف أمره قبل السقوط، فقد كان الرزق سهلاً ميسراً في الجنة ولتنتهي حياته بعد هذا العناء بالموت، الذي كان الخوف والرغبة في النجاة منه الدافع الأساسي لمعصية آدم وحواء. وإذا كنا نجد ما يبرر إصابة آدم وحواء باللعنة نتيجة معصيتهما وذلك من خلال تكرار سفر التكوين لهذا الأمر قبل المعصية، فإن هناك عدة تساؤلات هامة يوجبها النص السابق، وأعرض لها في مواضعها المناسبة، ولكني هنا أكتفي بذكر التساؤل عن الدافع من إنزال العقاب بحيوان غير عاقر

(١) سفر التكوين، الفقرات: ١٤-١٩.

وغير مكلف، وهنا نجد تعليلاً لذلك عند بعض مفسري العهد القديم نصه:
 " أن الحية خدعت أبونا عمدا بغية أن تقودهما إلى المعصية،
 فلم يكن لها عذر فعوقبت بلا فداء... وهذا العقاب جاء موافقا
 لصورة المجرم والمقصود به عقاب الشيطان لاعتقاب
 الحيوان فإن الحية لم تكون سوى تمثيل له"^(١).

فهنا نجدهم يذهبون إلى أن المقصود بالحية هو الشيطان، وأن العقاب
 هو عقاب للشيطان، ولتبرير ما ذهبوا إليه جاءوا بثلاثة مقاصد في محاولة دعم
 وجهة نظرهم وهذه المقاصد هي:

"الأول: أن الحية عوقبت في السعي على البطن واللعنة من
 جميع البهائم والوحوش، أي الحيوانات الداجنة والحيوانات
 الآبدة. والحية المعروفة اليوم ليست من تلك الحيوانات فيظن
 أن الحية كانت مستوية القامة حسناء، وأنها كانت داجنة عند
 آدم وكانت في بيته ولكن مثل هذا التغيير من الأساطير
 التمثيلية والمعنى أن الشيطان صار بمأتاها إلى حال الذل
 والإنحطاط والقبح كما صارت إليه الحية إلى تلك الحال بعد
 بديع الجمال. وأنه لازال يغوي الأدميين ويضرهم مع ما
 صار إليه من الخزي وسوء المنقلب.

الثاني أن الحية عوقبت بأكل التراب كناية عن الخيبة والدناءة
 وكذا أمر الشيطان فإنه بتجربته أعلن خزي نفسه ومجد الله.
 مثله ميلتون الشاعر في قصيدته المسماة "ب [الفرديوس
 المفقود] يبطل، وإن كان ساقطاً والحق أنه عدو روحي ذليل.
 الثالث: دوام العداوة بين الحية والناس فهي تلدغ عقب الإنسان

(١) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج ١، ص ٥٦.

في سبيله، وهو يطأها في ذلك السبيل ويسحقها، والواقع
ينبتك بكره الناس للحية مع حسن صورة كثير من
أنواعها.

وقتل لدغ الحياة في البلاد الحارة كالهند أكثر من قتلى
الوحوش المفترسة والعداوة الدائمة بين الإنسان والشیطان
أظهر من أن تبيّن وكره الناس الحيات والشیطان
غريزي^(١)

وهذه المقاصد التي ذهبوا إليها لدعم وجهة نظرهم تصور في الحقيقة
حال الحية على هذه الأرض، بعد أن عوقبت بالسعي على البطن وأكل التراب
وانعفاء بينها وبين الإنسان ولعنة الحيوانات لها، وعند النظر يتمعن نجد أنها
تضحض وجهة نظرهم التي تقول إن الشيطان تمثل في الحية، وذلك لأن
الشیطان لا يسعى على بطنه، ثم إن كراهية الإنسان له وللحياة لا يعني أنهما
شي واحد، بالاضافة إلى أن معرفتي البسيطة في علم الحيوان تمكنني من
القول إن طعام الحية ليس التراب كما ذكر في النص، فالحياة قد تبلع بعض
الحيوانات كالأرانب أو الغزلان أو الماعز مثلا، وتكون هذه الوجبة الوحيدة
لها طيلة أسابيع كما أن ضرر الحية لا يقتصر على عض قدم الإنسان فقط بل
إن البعض منها يقذف بالسم على بعد أمتار وهناك أنواع منها تقوم بخنق
فريستها ثم بلعها.

أما العداوة التي بين الحية والبشر فهي ليست على العموم، فهناك من
يتعامل معها على اعتبارها موردا للرزق بإستخدام سمها في معالجة بعض
الأمراض أو إستخدام جلدها في المصنوعات الجلدية عالية الجودة، وإستخدام

(١) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج ١، ص ٥٦-٥٧.

لحمها في إعداد الأطباق الشعبية في بعض البلدان كالفلبين والصين وغيرها^(١)
 وحاول البعض الآخر حل هذه المعضلة بشكل مختلف فذكروا:
 "من ترتيب الله أن الحيوان، ولو أنه لا يعتبر مسؤول أدبيا عن
 أعماله، إلا أنه لا بد له من أن يتألم نتيجة للضرر الذي يلحقه
 بالإنسان - أنظر تك ٥:٩ خر ٢٨:١٢ لقد عمل كل شيء
 ليساعد على كمال الإنسان الأدبي، ولكن إذ كانت الخليقة -
 سواء منها ماله حياة، أو ليس له - تفشل في الوصول إلى
 هذا الهدف - فإنها ستقع تحت قصاص من الله، تأمل لعنة
 'الأرض في عدد ١٧... [على بطنك تسعين]... إن مسخ
 صورة الحية، كان جزءا من اللعنة التي وقعت عليها
 (عداوة).... هذا يعلل النزاع الشديد الكائن بين الحية والإنسان
 في دائرة الطبيعة، ولكنه يشير أيضا بكل تأكيد إلى الصراع
 في مجاله الروحي.

[هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه] ... لهذا القول مغذى
 طبيعي، فالحية تقتل الإنسان عن طريق عضه في قدمه، أما
 الإنسان فإنه يقتل الحية عن طريق سحق رأسها، على أن
 العقوبة الإلهية هنا، تتعدى حدود الحيوان وتصل إلى الشيطان
 نفسه^(٢).

وقد نتساءل هنا، كيف يكون الحيوان غير مسئول عن عمله أدبيا
 -كما زعموا- ثم يعاقب على مايقترفه من ضرر، ثم مازنب الخليقة بأسرها
 في عدم إستطاعة الإنسان الوصول إلى الكمال الإدبي، لتقع تحت القصاص

(١) راجع: المعلم بطرس البستاني، دائرة المعارف، ج٧، مادة حية.

(٢) تفسير الكتاب المقدس، ج١، ص١٥٢.

نتيجة أمر خارج عن إرادتها - إن كان لها إرادة- ثم كيف تعدت عقوبة الحية إلى الشيطان.

والظاهر أن هؤلاء المفسرين حاولوا أن يجدوا تعليلاً للجنة ياهو للحية لتفادي تناقضها مع العقل، فوقعوا في تناقض أكبر منه عندما جعل من الحية تمثيلاً للشيطان، وبالتالي كان عقابها عقاباً للشيطان الذي اختارها دون غيرها وتمثل في صورتها، ولانجد دليلاً على ذلك في نصوص العهد القديم إذ لم يذكر أي نص لعقاب الشيطان الذي كان وراء إغواء حواء وآدم، والذي هو أساس الخطيئة كما قرر هؤلاء المفسرون.

وبعد هذا العرض أستطيع أن أقول إن قضية الحية في قصة الخطيئة الأولى والواردة في سفر التكوين لغز محير لم أستطع فهمه.

٣- شجرة الحياة:

وإذ كانت خطيئة آدم وحواء التي تسببت في لعنتهما، قد أتت نتيجة تناولهما من ثمر الشجرة المحرمة أو شجرة الخير والشر فإنها لم تكن السبب المباشر لطردهما من الجنة، ويوضح ذلك النص التالي من سفر التكوين: [وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً للخير والشر. والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد. فأخرجه الرب الإله من جنات عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها. فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة]^(١).

فطردهما كما يتبين من النص السابق كان نتيجة الخوف من أن يقدموا على تناول من شجرة الحياة.

(١) سفر التكوين، الإصحاح الثالث، الفقرات: ٢٢-٢٤.

فما حقيقة هذه الشجرة التي خشي ياهو أن يأكل آدم وحواء منها بعد المعصية، فطردهما من الجنة، ووضع عليها هذه الحراسة الشديدة كأنه غير قادر عن منعهما من الإقتراب منها دون ذلك.

إن شجرة الحياة هي أيضاً موضع خلاف بين مفسري العهد القديم،

فقد قال بعضهم:

"يعتقد البعض أن الشجرة -أي شجرة الحياة- كان فيها سر ما يحول الإنسان إلى درجة أعلى من الحياة الطبيعية، دون أن يجوز في الموت، لكننا لانؤيد هذا التفسير، فإنه لا توجد أية إشارة في أي مكان من القصة إلى أن آدم وحواء قد عرفا شيئاً عن وجود هذه الشجرة ضمن أشجار الجنة. ويبدو أن عدم الإشارة إلى هذه الشجرة عند ذكر تصرفات وأفكار آدم وحواء له بعض الأهمية، إن حقيقة صفات هذه الشجرة هي من الأمور المحيرة في الكتاب المقدس. ربما كانت هذه الشجرة كأي شجرة أخرى، لكنها على كل حال كانت رمزا (لحياة) الشركة مع الله، التي يتمتع بها الإنسان الذي لا يخطئ. [يأكل ويحيا إلى الأبد] إن الأخذ والأكل هو طريقة رمزية تشير إلى التمتع بالحياة الأبدية. تلك الحياة التي ليس في إمكانه الآن التمتع بها، فالصورة ترينا آدم وقد وضع في مكان، لا يستطيع معها الوصول إلى الشجرة التي كانت في أيام براءته تشير إلى سعادته"^(١).

لقد قرر هذا التفسير وبوضوح أن شجرة الحياة من الأمور المحيرة في العهد القديم، مؤكداً من ناحية أخرى على أن آدم وحواء ليس لهما علم

(١) تفسير الكتاب المقدس، ج ١، ص ١٥٣-١٥٤، بتصريف.

بهذه الشجرة التي لو أكل منها في حالة براءتهما قبل الخطيئة لأصبحا مخلدين بل شريكين لله في هذا الخلود، ولكن بمجرد وقوعهما في المعصية أصبحت هذه الشجرة محرمة عليهما لا يمكنهما الإقتراب منها.

ويورد صاحب كتاب سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم آراء

أخرى لبعض المفسرين حول هذه الشجرة فيقول:

"قال بعضهم إنه كان لهذه الشجرة خاصة تجديد قوى الإنسان الجسدية حتى أنه مع كون جسده قابلاً للقضاء لأنه من تراب الأرض، لو تناول من هذه الشجرة لعاش إلى الأبد. بدليل قوله [عله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيا إلى الأبد] تك ٣، ٢٢.

وذهب بعضهم إلا أن هذه الشجرة الدائمة الخضرة والنضارة، كانت رمزاً إلى الحياة الأبدية الموعود بها آدم بشرط الطاعة الكاملة وأن أبونا الأولين كانوا يتناولان منها كأنها السر المقدس مدة برهما الأصلي"^(١).

ولقد أراد أصحاب هذا التفسير أن يعللوا هذه المسألة تعليلاً طبيعياً قائلين إن لهذه الشجرة خواص إذا إتصلت بجسد بشري جددت عناصره وخلاياه فلا يقبل الموت، وهذا الخلود لا يمكن أن يتحقق بمجرد الأكل منها فقط، فهناك شرط لو لم يخل به آدم وحواء لتحقق لهما الوعد الإلهي ولكن نص سفر التكوين المتعلق بهذه القضية يؤكد أن آدم وحواء كانا غير عالمين بخواص هذه الشجرة، وذلك من عبارة ياهو في النص نفسه، التي ورد فيها [وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً للخير والشر

(١) ج ١، ص ٤٤.

والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد^(١).
 إن قول ياهو [لعله يمد يده] تفيد جهل آدم وحواء بخواص هذه
 الشجرة ومن ناحية أخرى نستطيع أن نقول إن آدم وحواء لو كانا على علم
 بها لتوجها إليها مباشرة بعد وسوسة الشيطان لهما، والتي كان هدفها
 إغراءهما بالخلد ليتحقق لهما ما أرادا دون إغصاب الله، فمعرفة الخير والشر
 كما يظهر من النص لم تكن الهدف من وراء المعصية بل الرغبة في الخلود
 والخوف من الموت هما اللذان كانا الدافع إلى ارتكاب المعصية كما يظهر من
 عبارات النص.

كما أن قولهم إن آدم قد وعد بالحياة الأبدية بشرط طاعته -فيه نظر-
 فقد رجعت إلى عبارات النص حرفاً حرفاً فلم أجد لذلك نوعاً وجوداً، فياهو
 لم يعد آدم ولا حواء بالخلود ولكنه هددهما بالموت الطبيعي بما له من ملامح
 الألم إن عصيا، وهذا لا يعني أنهما إن لم يعصيا سيخلدان، فقد تنتهي حياتهما
 بعد فترة يقدرها الله بالعودة إلى التراب طبيعتهم الأصلية، والتي ينعدم فيها
 الشعور وهذا الأمر إن لم يحقق السعادة لهما فهو لن يحقق الألم أو الخوف أو
 الشوق إلى النعيم الذي فقد.

وقد قارن أصحاب هذا التفسير بين شجرتي المعرفة والحياة ولتوضيح
 الفارق بينهما قالوا:

"إن كلاً من شجرتي الحياة والمعرفة تجاه الأخرى، والأكل
 من الأولى حياة والأكل من الثانية موت. وكما أنه لكل عهد
 جزءان الوعد والتكليف، هكذا كان لنا سران أحدهما علامة
 وختم للشئ الموعد به والأخر ختم وعلامة للمطلوب أو
 المكلف به.

(١) الإصحاح الثالث، الفقرة: ٢٢.

فشجرة الحياة أعلنت وختمت الحياة الموعود بها وشجرة
المعرفة أعلنت وختمت الطاعة المطلوبة التي امتحنت بنهي
الله^(١).

واستنتاجهم هذا يعني أن شجرة الحياة وشجرة المعرفة نقيضان،
إحدهما تؤدي إلى الخلود والأخرى إلى الموت فهي مسألة تشبه الوعد
والتكليف، الوعد بشئ مرغوب فيه كالخلود، والتكليف بأمر تقيل على النفس
والطاعة.

فسميت الأولى بالحياة رمزا للوعد، والثانية بالمعرفة رمزا للتكليف.
وبعد هذا العرض لتفاسير العهد القديم لنص الخطيئة الأولى يمكن أن
نستخلص أن نص العهد القديم في هذه القضية غامض، وأن التفاسير التي
أوردها المفسرون قد زادتة غموضاً واضطراباً.

(١) كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ج ١، ص ٤٤.

الفصل الثاني

الآثار الناشئة عن الإيمان بالقصة المذكورة

تمهيد

ظهر لنا مما سبق عرضه في الفصل الأول الغموض الذي يشوب قصة الخطيئة الأولى، والذي يمكن أن نرجعه إلى مضمون القصة أو إلى آراء مفسري العهد القديم، التي لم تخل من الغموض أيضاً.

وهو الأمر الذي جعل منها لغزاً محيراً لهم قبل غيرهم، وإن كان هذا لم يمنع اليهود من جعلها محور هذه الحياة وأساس مافيهما، فما نحن فيه وما كان وما سيكون لابد أن يتصل من قريب أو بعيد بهذه القصة، لذا لم يكن بغريب تأثر عقائدهم وشرائعهم وحياتهم الاجتماعية والنفسية بطريق مباشر أو غير مباشر بمضمون قصة الخطيئة الأولى.

وللتأكد من ذلك كان لابد للرجوع إلى العهد القديم وتفاسيره وإلى التلمود، وحصر العقائد والشرائع المرتبطة بإيمان اليهود بالخطيئة الأولى المتعلقة بحياتهم الاجتماعية والنفسية.

وبدا بعد التتبع أن القصة المذكورة أثرت بشكل مباشر في كل محاور حياتهم الدينية والسياسة والاجتماعية، وبما أن مجال هذه الدراسة لا يتسع للحديث عن كل محور من تلك المحاور كان لابد من إختيار أهمها وأشملها، وهو المحور الديني الذي تنتشعب منه ناحيتان هنا، الناحية العقيدية والناحية الشرعية.

أولاً: الناحية العقيدية: لقد تأثرت عقيدة الألوهية لديهم تأثراً واضحاً بالإيمان بخطيئة آدم وحواء ولعنة ياهو لهما، مما أدى إلى تشويهها رغم كونها أساس كل دين سماوي، فنسبوا إلى الله ما لا يليق به جلّ وعلا ويستحيل التصديق به، وكذلك فيما يتعلق بالنبوة حيث لم تخل عقيدتهم منها من تأثر واضح لمضمون

الخطيئة الأولى، وكذلك عقيدة البعث، فقد ظهر أن خلوا أسفارهم المتقدمة من هذه العقيدة كان بسبب إيمانهم بتلك الخطيئة.

ثانياً: الناحية التشريعية: سيكون الحديث عن بعض الشرائع التي حددت معالمها لتأتي مناسبة لما ورد في سفر التكوين حول موضوع الخطيئة. وعلى هاتين الناحيتين سيكون الحديث بشكل مفصل إن شاء الله.

أولاً: الناحية العقديّة:

يمكن حصر الآثار الناشئة عن الإيمان بموضوع الخطيئة والمتعلقة بالعقيدة في الآتي:

أولاً: الصفات الإلهية.

ثانياً: القضاء والقدر.

ثالثاً: النبوات.

رابعاً: الإيمان باليوم الآخر.

أولاً: الصفات الإلهية:

من المسلم به عند كل مؤمن بالله إيماناً حقيقياً أنه سبحانه يتصف بالكمال التام الذي يليق به تعالى، ولكن الناظر في العهد القديم والتلمود يجد أن نصوص هذين الكتابين قد نسبت للإله الخالق صفات لا تليق بذاته المقدسة، ويمكن تحديد مصدر بعض هذه الصفات غير اللائقة به سبحانه، بتمسكه بمعطيات نص الخطيئة الأولى الوارد في سفر التكوين، ومن هذه الصفات:

١ - الظلم والقسوة:

وأول هذه الصفات وصفهم له بالظلم وهي صفة تتضمن القسوة، والإله في الديانة اليهودية ظالم مفتقد الرحمة، وهي صفة تتردد في أسفار العهد القديم، ففي سفر التكوين نجدها تتمثل في تلك اللعنات التي صيها ياهو على آدم وحواء بسبب معصيتهما وعلى ذريتهما من بعدهما، تلك الذرية التي

لاذنب لها في خطيئة أبيها لتتحمل هذه اللعنات المتسببة في إحساس المؤمنين بالعهد القديم بدوام الشقاء.

إن هذا الظلم هو قانون ياهو في حكمه، أصبح عقيدة راسخة وواضحة في نفوس اليهود وتؤكد عليه نصوص العهد القديم، بل في توراة موسى نفسها، فياهو عندما يغضب ويثور يرسل لعناته ليس فقط على المذنبين بل على أولادهم وأولاد أولادهم إلى الجيل الرابع.

وستكون الإشارة إلى نصين من العهد القديم يعتقد أنهما كافيان لإثبات صفة الظلم لياهو. أما النص الأول فقد ورد في سفر الخروج حيث وصف ياهو بأنه [غافر الإثم والمعصية والخطية. ولكنه لن يبرأ إبراء مفتقد إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع]^(١)

هذا النص فيه من الواضح ما يكفي لإثبات إيمان اليهود بظلم الإله، فهذه صفة واردة وثابتة في توراتهم. وقد رجعت إلى تفاسير الكتاب المقدس. للتأكد من صحة فهمي لهذا النص والوقوف على كيفية تفسيره، فلاحظت أن المفسرين قد تجاهلوه، فعمدوا إلى تفسير ما قبل هذا النص وما بعده.

ولعلمهم أدركوا أن مضمون النص ينافي فطرة الإنسان وحبه للعدل. وقد دفعني هذا التجاهل للعودة إلى الكتاب المقدس باحثاً عن نص مشابه للسابق، لعلني أجد في تفسيرهم ميزيل هذا الغموض، فعثرت على بغيتي في سفر العدد الذي ورد فيه. [الرب طویل الروح كثير الإحسان يغفر الذنب والسينة لكنه لا يبرئ بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع]^(٢).

إن مضمون هذا النص الذي يثبت صفة الظلم لياهو يوافق تماماً

(١) الإصحاح الرابع والثلاثون، الفقرة: ٧.

(٢) الإصحاح الرابع عشر الفقرة: ١٨.

الموافقة النص السابق، حيث يريد تثبيت الرعب، والخوف والفرع في قلوب البشر من خلال ظلمه واستبداده وجبروته الذي يصل إلى الجيل الرابع للمذنبين، وعند الرجوع إلى تفسير الكتاب المقدس للبحث عنه تعليل لهذا النص، وللتعرف على كيفية تبريرهم له نلاحظ تجاهله مرة أخرى. فقد قاموا وبكل عناية بتفسير الفقرات التي تسبقه، والتي تليه دون التوقف عنده ولو بتعليق بسيط، فتأكد ما ذهبت إليه سابقاً من أن ذلك يرجع في المقام الأول إلى أن مضمونه يتنافى مع فطرة الإنسان وحبه للعدل.

إن ظلم ياهو - وإن حاول المفسرون من أهل الكتاب تجاهله بعدم تطرقهم إليه - ثابت في العقيدة اليهودية، فالعهد القديم ينسب أقوالاً إلى أنبياء بني إسرائيل تؤكد إقرارهم بظلم الإله، ومن ذلك ما نسب إلى داود عليه السلام، فقد جاء في مزموه أنه قال: [هأنذا بالإثم صورت وبالخطيئة حبلت بي أمي]^(١)

وقد استخدم المفسرون أسلوباً مضللاً عند تعرضهم لهذا النص، فأشروا إلى أنه يفيد معنى سامياً يعبر عن التضامن بين أفراد الأسرة الواحدة، فكلنا من آدم وحواء، أسرة واحدة تتحد في السراء والضراء، هذا ماورد في تفسير النص الذي جاء فيه أنه "لايفيد أكثر من أننا مشتبكة بصورة لامفر منها في واقع الخطيئة لكوننا أعضاء في الأسرة البشرية (صورت) والأفضل (ولدت)"^(٢).

لقد حاول هؤلاء المفسرون مرة أخرى تجاهل ظلم ياهو الذي سبب هذا الإستياء، والذي ظهر واضحاً على لسان نبي من أنبيائهم بسبب وراثته

(١) الإصحاح الحادي والخمسون، الفقرة: ٥.

(٢) تفسير الكتاب المقدس، ج ٣، ص ١٦٢.

لخطيئة غيره، تلك الخطيئة التي كما ذكر علماءهم لأمفر منها لكونه عضواً من أعضاء هذه الأسرة، والتي حكم ياهو عليها بالشقاء نتيجة لخطيئة آدم وحواء. بل إن الخطيئة أصبحت لازماً على كل البشر أيد الدهر تلتصق بكل إنسان مهما كان لأنه من ذرية آدم وحواء، حتى لو كان جنيناً في بطن أمه.

إن توارث الخطيئة في اليهودية يعدّ مظهراً واضحاً وأساسياً في إثبات صفة الظلم لياهو، فهل قبل اليهود هذا الظلم باستسلام أو هل أظهروا استياءهم كنيهم داود - على حسب زعمهم - وهل ناقشوا لعنات ياهو التي تصيبهم من جراء خطيئة غيرهم، وللإجابة عن هذه التساؤلات نعود إلى سفر أرميا، حيث نجد أن اليهود لم يتقبلوا هذا الاعتقاد باستسلام فقد حاولوا إبطاله والتخلص منه، والشاهد على ذلك مانجده في الإصحاح السادس عشر من هذا السفر الذي ورد فيه تعقيب على إصدار ياهو لعناته على اليهود، التي أخبرهم بها أرميا إذ قال السفر: [ويكون حين تخبر هذا الشعب بكل هذه الأمور أنهم يقولون لك لماذا تكلم الرب علينا بكل هذا الشر العظيم فما هو ذنبنا وما هي خطيئتنا التي أخطأناها إلى الرب إلينا. فنقول لهم من أجل آباءكم قد تركوني يقول الرب وذهبوا وراء آلهة أخرى وعبدوها وسجدوا لها وإياي تركوا وشريعتي لم يحفظوها، وأنتم أسأتم في عملكم أكثر من آباءكم وها أنتم ذاهبون كل واحد وراء عناد قلبه الشرير حتى لاتسمعوا لي. فأطردكم من هذه الأرض إلى أرض لم تعرفوها أنتم ولا آباؤكم فتعبدون هناك آلهة أخرى نهراً وولياً حيث لأعطيكم نعمة] (١).

إن جواب ياهو لهؤلاء المتدللين يزيد من إحساسهم بالظلم، فقد بين لهم وبوضوح أن لعناته كانت في المقام الأول بسبب خطيئة آباءهم بعبادتهم آلهة أخرى وبتركهم الشريعة، ثم بسبب ما سيظهر منهم نتيجة جريهم وراء

(١) سفر أرميا، الإصحاح السادس عشر، الفقرات: ١٠-١٣.

عنادهم، ولعبادتهم آلهة أخرى فيما بعد. أي أن لعنة ياهو التي أصدرها عليهم كانت في المقام الثاني بسبب أمر لم يحدث إلى ساعة صدور حكمه عليهم. والتي قد يطول الوقت قبل حدوثها فيموت منهم الكثير، وهنا يكون قد أصاب هذا الكثير الظلم مرتين بدون وجه حق، فهم لم يشاركوا الآباء في خطيئتهم في المرة الأولى. كما أنهم لم يشاركوا أحفادهم في ممارسة الخطايا التي جاءت تبريراً لهذا الحكم.

كما أن ذلك النص يبين أن ظلم ياهو اتسع ليشمل جميع البشر وجميع العصور، فلعنته عندما استبد به الغضب لحقت بالأجداد والأحفاد، على جريمة كل منهما فيعذب الأب بسبب جريمة ابنه الذي لم يولد بعد، ويعذب الابن بجريمة أبيه. إذاً فأساس حكم ياهو يمكن أن نعبر عنه بكلمة واحدة (الظلم) فقد ظلم ذرية آدم وحواء بعد أن صدر لعنته عليهم بسبب سقوط الأبوين، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، وإن سوّغت هذه القسوة أنواعاً أخرى من الظلم الإلهي يتمثل دائماً في عقاب الأحفاد بذنوب الأجداد، بل وعقاب الأجداد بذنوب الأحفاد.

٢- الجهل:

من الصفات الإلهية التي لها صلة بالخطيئة الأولى عند اليهود -الجهل- فقد صورت نصوص التوراة كيفية معرفة ياهو بسقوط آدم وحواء تصويراً لا يتفق مع شمول العلم الإلهي، وقد حاول بعض المفسرين تفادي هذا التصور وإخفاء ضعفه دون جدوى، وبما أنني تعرضت لكل ذلك عند حديثي عن قصة الخطيئة كما تعرضها التوراة، سأنتقل إلى قضية أجدها في غاية الأهمية وهي إيمان اليهود القوي بجهل ياهو الذي يتعارض مع محاولة هؤلاء المفسرين في نفي هذه الصفة.

ولعل السبب في عدم نجاح تلك المحاولات الجادة في نفي صفة

الجهل يرجع إلى كونها تتعلق بنص توراتي ثابت لا يقع تحت دائرة النقاش،

فنص الخطيئة كما ظهر يذكر أن ياهو لم يكن يعلم بمكان آدم ومعصيته إلى أن أخبره آدم بذلك. إن هذه الصفة، وبهذه الكيفية تتكرر كثيراً في أسفار العهد القديم ليقرر أن كتابه كانوا مؤمنين إيماناً راسخاً أن قصور العلم لا يتنافى مع ألوهية ياهو. فسفر التكوين الذي يقرر تفرد ياهو بالخلق^(١) يقرر في الوقت نفسه جهل هذا الخالق بخلقه، هذا الجهل الذي كان سبباً في حزن ياهو، إذ أصابته خيبة أمل من هذا المخلوق الذي صدر عنه مالم يخطر على بال الرب.

يقول السفر: [ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض. وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض. وتأسف في قلبه. فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأني حزنت أني عملتهم]^(٢).

ويذكرنا هذا النص بمخترع، قام بتجربة علمية دقيقة يعتقد أنها مفيدة، بدلاً كل الجهد والإتقان لإنجاحها، وظل ينتظر نتيجتها التي لم تكن ميسرة له، وياهو كهذا المخترع، فقد خلق الإنسان وبذل الجهد في خلقه أما النتيجة فقد جاءت مخيبة لآماله فيما خلق، أما الغضب الذي أصابه فإن النص يصوره على أنه لم يكن بسبب شر الإنسان وانتشاره، بقدر ما كان بسبب خيبة أمله وقصور توقعه النتائج المترتبة على خلقه للإنسان. وإتلاف المخترع للإختراع الذي فشل لا يرجع دائماً لكون النتيجة غير مرضية، بل قد يكون الإتلاف راجعاً لكونها جاءت على غير ما كان متوقفاً.

هذا هو حال ياهو في غضبه، فهو لم يغضب بسبب شر الإنسان

(١) راجع: الإصحاح الأول.

(٢) سفر التكوين، الإصحاح السادس، الفقرات: ٥-٧.

وانتشاره، بل لأن هذا الشر كان غائبا عن علمه.

ويزيد في التأكيد على إيمانهم بنسبة الجهل إلى الرب إضافة إلى ما أشرنا إليه سابقاً، ماورد في سفر الخروج على لسان ياهو مخاطبا موسى وهارون [فإني أجتاز في أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم. وأصنع أحكاما بكل آلهة المصريين. أنا الرب، ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها. فأرى الدم وأعبر عنكم. فلا يكون ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر]^(١).

فها هو ذا يظهر عدم قدرته على التمييز بين بيوت المصريين واليهود إلا من خلال جعل الدم علامة مميزة على بيوت شعبه المختار، ليتمكن من التفرقة بينهم وبين المصريين، وبالتالي ينزل انتقامه على المصريين، ويؤكد الإصحاح هذا الأمر بالقول إن موسى [دعا جميع شيوخ إسرائيل وقال لهم اسحبوا وخذوا لكم غنما بحسب عشائركم واذبحوا الفصح. وأخذوا باقة زوفا واغمسوها في الدم الذي في الطست ومسوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذي في الطست. وأنتم لا يخرج أحد منكم من باب بيته حتى الصباح. فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين. فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب.]^(٢).

لقد وضح كاتب العهد القديم إخلاص موسى في تبليغ إرادة ياهو، وحرصه على تأكيد جهله عندما طلب من شيوخ بني إسرائيل تنفيذ رغبة الإله. ووضع العلامة التي أمرهم باستخدامها، وزاد موسى فأكد عليهم بعدم الخروج من منازلهم حتى الصباح، لأن ياهو لن يفرق بينهم وبين أعدائهم المصريين إلا عن طريق هذه العلامة، التي ستميز بيوتهم ليتجاوزها ياهو عند

(١) سفر الخروج، الإصحاح الثاني عشر، الفقرتان: ١٢ و١٣.

(٢) الإصحاح نفسه، الفقرات: ٢١-٢٣.

إنزاله الهلاك بالمصريين. وكأنما هو يحذرهم بأن إغفالهم العلامة يعني وقوع الهلاك بهم أيضاً، وهو ما يعني جهل ياهو وعدم قدرة هذا الإله على التمييز بين الشعبين بدونها.

وفي محاولة من مفسري العهد القديم لتبرير مسألة العلامة المميزة ذهبوا إلى القول: "كان وجود الدم على العتبة العليا والقائمتين علامة يراها الله على أن المحرقة قد قدمت، وأن المقيمين في البيت قد آمنوا بوعده. وأولئك هم الذين ينقذهم الرب"^(١).

وكانما أراد هؤلاء المفسرون القول إن وضع العلامة يعني جهل الرب، وعدم قدرته على التمييز، ولكن للتعرف على من آمن بوعده فاستحق رضاه وتجاوز سخطه، وهو قول لا يعني إلا أن علم ياهو ليس كافياً لذلك. ومن خلال ما عرض في نصوص العهد القديم، وما أشرنا إليه في تخطب من قاموا بتفسيرها ندحض محاولاتهم في نفي صفة الجهل عن ياهو أو تبريرها.

ثانياً: القضاء والقدر:

يعتقد اليهود أن الشقاء الذي أصابهم من الأميين على مدى تاريخهم الطويل، لا يرجع إلى أخلاقهم الفاسدة ومعاملتهم الشاذة، بقدر ما يرجع إلى قضاء ياهو ولعنته التي أرسلها على آدم وحواء وذريتهما بعد المعصية. مؤكداً لغيرهم أن قضاء وقدر ياهو لا رجعة فيه ولا مفر.

بل إن القضاء والقدر في نظرهم المبرر الأول والأساسي لخطيئة من هم في نظرهم ذو سيادة روحية كبيرة، ومن ذلك ما ورد في أسفارهم المقدسة من تبرئة أخوة يوسف وإخلاء مسئوليتهم عما فعلوه بأخيهم، واعتبار ذلك كله من قدر الله الذي لا يسألون عنه. فهم مع ما يتصفون به من تقدير وتقديس في

(١) تفسير الكتاب المقدس، ج ١، ص ٢٣١.

نفوس بني إسرائيل، إلا أنهم أبناء آدم أصابتهم لعنة أبيهم فأخطأوا برغم منهم. وإمعانا في هذه التبرئة، فإنها ترد على لسان ضحيتهم يوسف عليه السلام الذي يقول كما جاء في سفر التكوين: [فالآن ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا بل الله]^(١).

كما يؤكد هذه التبرئة ماورد في الإصحاح الخمسين من السفر نفسه على لسان يوسف حيث قال: [لاتخافوا. لأنه هل أنا مكان الله. أنتم قصدتم لي شراً. أما الله فقصد به خيراً لكي يفعل كما اليوم ليحي شعباً كثيراً]^(٢) إذا فقد توارث أبناء يعقوب خطيئة آدم فأخطأوا بالرغم منهم، ولم يكن بإمكانهم التراجع عن قضائه وقدره المتمثل بتوارث أبناء آدم لخطيئته ولعن ياهو له، هذا الاعتقاد يؤكد تلمودهم إذ جاء فيه: [أن الله هو مصدر الشر كما أنه مصدر الخير. وأنه أعطى الإنسان طبيعة رديئة وسن له شريعة لولاها لما كان يخطئ. وقد جبر اليهود على قبولها].^(٣)

وبهذا الأسلوب في تبرير المعاصي صنع اليهود في تبرير عدد آخر من الخطايا التي نسبتها الأسفار إلى الأنبياء عليهم السلام، وستأتي إشارات متناثرة إلى ذلك في الموضوع التالي - إن شاء الله.

إذا قيل لهم كيف لا يستثيكم ياهو من لعنته وقضائه، وأنتم تدعون كما هو واضح في نصوص عهدكم القديم أنكم شعبه المختار. فسفر التكوين ينص على أن عهداً أبوياً قد أبرم بين ياهو وإبراهيم، وأن هذا العهد أصبح بحكم القضاء والقدر، وفي ذلك يقول السفر:

(١) الإصحاح الخامس والأربعون، الفقرة: ٨.

(٢) الفقرات: ١٩-٢١.

(٣) الكنز، ص ٥٧. راجع أيضاً: صالح محمد صالح، الإنسانية والصيهونية والتلمود،

لما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له أنا الله القدير. سر أمامي وكن كاملاً. فاجعل عهدي بيني وبينك وأكثر كثيراً جداً. فسقط أبرام على وجهه. وتكلم الله معه قائلاً أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أبا لجمهور من الأمم... وأثمرك كثيراً جداً واجعلك أمماً. وملوك منك يخرجون. وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً. لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك. وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً. وأكون إلههم^(١) فكيف يصيبكم ياهو بلعنة الخطيئة كغيركم من البشر، ويسبب لكم كل هذا الشقاء، والعهد الذي بينه وبين أبرام مفاده أنكم ستكونون أمة عظيمة ذات ملك واسع وخير كثير ومنك يخرج الملوك... إلى آخر ما ذكره النص من بنود العهد من جعلكم متفوقين على الأمميين، كما أن هذا العهد يتكرر في العهد القديم بين الطرف الأول منه وهو ياهو وبين أولاد أبرام^(٢)، فإذا كان الاختيار والتفوق قضاءكم وقدركم. فلم أنتم في شقاء دائم مشتتين بلا أرض ولا ملك.

وهنا يضع اليهود أمامنا تصوراً مقدساً كتبها أحبارهم في التلمود محاولين بها الجمع بين ضدين، وقوع لعنة ياهو على بني إسرائيل على اعتبارهم ذرية آدم، وتحقق عهده لهم بالبركة والخير الكثير، ومن هذه النصوص، [عمل الرب خيراً لإسرائيل عندما شئت أبناء إسرائيل بين الأمم]^(٣). كما جاء فيه [نحن شعب الله في الأرض... وقد فرقنا الله لمنفعتنا]^(٤).

(١) سفر التكوين، الإصحاح السابع عشر، الفقرات: ١-٨.

(٢) راجع: سفر التكوين، الإصحاح السادس والعشرون، والثامن والعشرون، والخامس والثلاثون.

(٣) ظفر الإسلام خان، التلمود، تاريخه، وتعاليمه، ص ٦٩.

(٤) شوقي عبد الناصر، بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود، ص ٣٨.

أما وسيلة تحقق هذه الصبغة فقد تعهدت بروتوكولاتهم بتفسيرها، قد جاء في البروتوكول الحادي عشر:

[رحمة الله أن شعبه المختار مشتت، وهذا التشتت -الذي يبدو ضعفاً فينا أمام الناس- وقد ثبت أنه سبب كل قوتنا التي أوصلتنا إلى أعتاب السلطة العالمية].

وهنا رجع اليهود في هذه العبارة إلى التذكير بعهد ياهو لهم بالبركة ليكون منهم ملوك لأمة عظيمة تملك كل مقومات السيادة. أما الكيفية التي سيكون عليها تحقيق تلك السيادة على الأميين، فيوضحها البروتوكول الخامس عشر قائلاً:

[هذه الهيبة لا يمكن الوصول إليها إلا بقوة عظيمة ثابتة الأركان، وهي القوة التي ستبدو أنها مقدسة لانتهاك لها حرمة... ومحاطة بقوة باطنية خفية تمثل قوة القضاء والقدر..].

حقاً لقد استفاد اليهود من ياهو وعقائده كل الاستفادة، فلم تبقى عقيدة ولاشريعة في دينهم إلا وحوورها لخدمتهم الخاصة.

ثالثاً: النبوات:

إن اليهود كغيرهم من أصحاب الأديان السماوية يؤمنون بعقيدة النبوة وحاجة الإنسانية إليها، كما يؤمنون أن تاريخ الإنسانية قد شهد عدداً كبيراً من الأنبياء الذين قاموا بتبليغ وحي الله إلى عباده، لكن العهد القديم الذي ملأت صفحاته بذكر عدد كبير منهم، وصفهم بصفات لا يمكن أن تتفق مع مقام النبوة. فقد نسبت أسفاره المقدسة إلى الأنبياء صفات تتعرض لأخلاقهم وتحط من قدرهم، بل إن تلك الأسفار وصفت بعضهم بالشرك وعبادة الأوثان. وهنا قد يرفض معترض هذا الكلام، معللاً ذلك بما يعمله اليهود دائماً في كل محفل ديني أو علمي، وفي كل زاوية من زوايا الأرض الشاسعة أنهم ورثة الكتاب وشعب الأنبياء.

وقد يتساءل مثل ذلك المعترض عن السر وراء وصف الأنبياء بتلك المخازي وهم الصفوة المختارة لتبليغ شرع الله، بالإضافة الى أن الإنسان بفطرته وتكوينه البشري يفرض الإنصياع لمن هو على تلك التركيبة الضالة، حتى وإن كان فيه مثل هذا الكفر والفسق والضلال.

وهنا يرفع أحبار اليهود وعلمائهم نص الخطيئة الأولى عالياً فوق رؤسهم، محاولين إقناعنا بأن الصفات غير الأخلاقية صفات طبيعية فطرية لا يمكن تجنبها.

وندرك مما سبق أن إيمان اليهود ويقينهم بتوارث الإنسانية لخطيئة آدم وحواء ولعنة ياهو لهما، كان وراء قبولهم مثل هذه النصوص وتلك الصفات، بل إنه يكاد يكون المبرر الوحيد وراء ما يشتبهون به من ضلال وفسق. فإذا كانوا يعتقدون أن أنبيائهم وهم الصفوة المميزة من البشرية لم يتمكنوا من مقاومة أثر الخطيئة المتوارثة، فمن باب أولى يعجز غيرهم عن ذلك فما جدوى المحاولة إذا؟

ويؤصل العهد القديم الصفات التي تحط من قدر الأنبياء، من خلال نصوص كثيرة وردت فيه تؤكد ارتكابهم لأعمال شائنة مخزية، أخص بالذكر هنا بعض الأنبياء الذين يشعر بنو إسرائيل تجاههم بمزيد من التقدير والإجلال، وذلك رغبة في الإيجاز.

١- إبراهيم عليه السلام:

يتمتع إبراهيم، عليه السلام، بمكانة كبيرة في نفوس بني إسرائيل فهو جدهم الأكبر، ومع ذلك فإن نصوص العهد القديم تنسب إليه صفات تحط من قدره، ومن ذلك ما أورده سفر التكوين عن هجرته من الأرض الموعودة بسبب ما أصابها من قحط، وتوجهه إلى مصر، وقد استولت عليه الرغبة في الإبقاء على حياته، والحصول على رزق واسع حتى ولو كان عن طريق وسائل غير شريفة، هذا ما يعرضه النص التالي من سفر التكوين. [وحدث لما

قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي إمرأته إنني قد علمت إنك إمرأة حسنة المنظر فيكون إذا رآك المصريون إنهم يقولون هذه إمرأته. فيقتلونني ويستبقونك، قولي إنك أختي ليكون لي خيراً بسببك وتحياً نفسي من أجلك.

فحدث لم دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً. ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون. فأخذت المرأة إلى بيت فرعون. فصنع إلى إبرام خيراً بسببها. وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإيماء وأتن وجمال. فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساري إمرأة إبرام.

فدعا فرعون إبرام وقال ما هذا الذي صنعت بي، لماذا لم تخبرني إنها إمرأتك. لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي. والآن هي ذي إمرأتك. خذها واذهب. فأوصى عليه فرعون رجالاً فشيّعوه وإمرأته وكل ما كان له^(١). فصعد إبرام من مصر هو وإمرأته وكل ما كان له ولو ط معه إلى الجنوب. وكان إبرام غنياً جداً في المواشي والفضة والذهب^(٢).

ولاندري كيف يمكن للعهد القديم أن يصور نبياً كريماً بتلك الصفات، فهو لم يتجه إلى الله بالدعاء والرجاء آملاً منه النجاة مما هو فيه. بل وجه نظره لزوجته واختارها لتكون ثمناً لحياته الفانية ولرزق ينتهي، فلم تنهه غيره الإنسان على أهل بيته، ولا غيره المؤمن على دينه فاشترى الدنيا بالأخرة.

والمؤلم حقاً أن العهد القديم يقرر في نص آخر أن طريقة إبراهيم عليه السلام في الحفاظ على حياته وكسب رزقه ثابتة غير قابلة للتغيير، إذ نجده في الإصحاح العشرين من السفر نفسه يكرر سياسته تلك فيبيع زوجته

(١) سفر التكوين، الإصحاح الثاني عشر، الفقرات: ١١-٢٠.

(٢) السفر نفسه، الإصحاح الثالث عشر، الفقرة: ١.

مقابل نفسه ورزقه.^(١)

يقول السفر: [وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرب في جرار. وقال إبراهيم عن سارة إمرأته هي أختي. فأرسل أبي مالك ملك جرار وأخذ سارة فجاء الله إلى أبي مالك في حلم الليل وقال له ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها فإتها متزوجة ببعل. ولكن لم يكن أبي مالك قد إقترب إليها. فقال ياسيد أمة بارة تقتل. ألم يقل هو لي إنها أختي وهي أيضا نفسها قالت هو أخي. بسلامة قلبي ونقاوة يدي فعلت هذا فقال له الله في الحلم أنا أيضا علمت أنك بسلامة قلبك فعلت هذا. وأنا أيضا أمسكتك عن أن تخطئ إليك. لذلك لم أدعك تمسها. فالآن رد إمرأة الرجل فإته نبي فيصلي لأجلك فتحيا. وإن كنت لست تردّها فأعلم إنك موتاً تموت أنت وكل من لك. فبكر أبي مالك في الغد ودعا جميع عبده وتكلم بكل هذا الكلام في مسامعهم. فخاف الرجال جداً. ثم دعا أبي مالك إبراهيم وقال له ماذا فعلت بنا وبماذا أخطأت إليك حتى جلبت علي وعلى مملكتي خطية عظيمة. اعمالاً لاتعمل عملت بي. وقال أبي مالك لإبراهيم ماذا رأيت حتى عملت هذا الشيء. فقال إبراهيم إنني قلت ليس في هذا الموضع خوف الله البتة. فيقتلونني لأجل إمرأتي. وبالْحَقِيقَةُ أيضاً هي أختي إبنة أبي. غير إنها ليست إبنة إمي. فصارت لي زوجة. وحدث لما أتاهني الله من بيت أبي أنني قتلت لها هذا معروفك الذي تصنعين إلي. في كل مكان نأتي إليه قولي عني هو أخي.

فأخذ أبي مالك غنماً وبقراً وعبيداً وإيماءً وأعطاهما لإبراهيم. ورد إليه سارة إمرأته. وقال أبي مالك هو ذا أرضي قدامك. أسكن فيما حسن في

(١) راجع: أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلواني، الدين المقارن، ج٣، اليهودية،

عينك. وقال لسارة إنني قد أعطيت أخاك ألفا من الفضة. هاهو لك غطاء
عين في جهة كل ماعندك وعند كل واحد فأأنصفت^(١).

لقد كان رد ابراهيم على عتاب أبي مالك الشديد بعد أن عرف
بزواجه من سارة شاهداً على تأصل الخطيئة في نفس كاتب السفر، إذ لم يذكر
السفر وجد في ذلك مايدل على الحرج، بل قال كما يذكر النص [إنني قلت
ليس في هذا الموضوع خوف الله البتة فيقتلونني لأجل إمرأتي]^(٢).

إن تلك العبارة تؤكد أن خوف ابراهيم على حياته ودينياه فاق خوفه
من الله. ولذا لم يجد في معصيته أي غضاضة. ولعل كاتب السفر أراد بسرده
لهذه القصة، وعلى هذه الكيفية أن يرسخ في أذهان اليهود أن الخطيئة قضية
الزامية تشمل البشر جميعاً، فلا يمكن لأي بشر الفرار من قيودها وحميتها،
فإبراهيم النبي الذي يحتل في نفوسهم درجة عالية من الإجلال لم يتمكن مع
إيمانه العميق أن ينجو منها. فاستسلم لها دون أدنى مقاومة، محاولاً تسخيرها
لمصلحته قدر الإمكان.

إن ما قام به ابراهيم في مصر وجرار عندما بذل زوجته - وهذا
معصية واضحة - كان غرضه من ذلك تحقيق أمرين:

أولهما: أن تطول أيامه في هذه الدنيا.

وثانيهما: أن ينال رزقا واسعا.

وهنا يبرز لنا أثر قصة الخطيئة الأولى على هذا الفعل من ابراهيم،
فيما يصوره سفر التكوين - فهو يماثل ما قام به آدم وحواء عندما تناول من
الشجرة المحرمة فقد كان غرضهما عينك. وقال لسارة إنني قد أعطيت أخاك
ألفا من الفضة. هاهو لك غطاء من وراء ذلك تحقيق أمرين:

(١) سفر التكوين، الإصحاح العشرون، الفقرات: ١-١٦.

(٢) الإصحاح نفسه. الفقرة: ١٢.

أولاً: الحصول على الخلود.

ثانياً: الرغبة في ملء البطن.

وهكذا نجد تشابهاً بين المعصيتين، فإبراهيم قد اتخذ من أبويه الأولين الذين ورثاه الخطيئة مثلاً للتأسي، وكان السفر أراد بذلك أن يقول بما أنهما ورثاه الخطيئة الأولى بحيث لا يمكن له الفرار منها مهما حاول، فما الذي يمنعه من تكرار معصيتهما فالخطيئة الأولى إلزامية وستلحقه لعنتها سواء كانت المعاصي التي صدرت عنه من الكبائر أو الصغائر، فلم لا يختار منها ما يتناسب مع أقصى ميول الشر فيه.

٢- إسحق عليه السلام:

أما إسحق، عليه السلام، فيذكر العهد القديم أنه الإبن البار الذي استفاد من تجارب أبيه إبراهيم بفضل عدم مقاومة الشر المتوارث، فأطلق العنان لغريزة البقاء لديه مختاراً حياته دون شرفه، كما يصور ذلك الإصحاح السادس والعشرون من سفر التكوين إذ يقول:

[فأقام إسحاق في جرار. وسأله أهل المكان عن إمرأته، فقال هي أختي. لأنه خاف أن يقول إمرأتي لعل أهل المكان يقتلونني من أجل رفقة لأنها كانت حسنة المنظر. وحدث إذ طالت له الأيام هناك أن أبي مالك ملك الفلسطينيين أشرف من الكوة ونظر وإذا إسحق يلعب رفقة إمرأته. فدعا أبي مالك إسحق وقال إنما هي إمرأتك فكيف قلت هي أختي. فقال له إسحق إني قلت لعلني أموت بسببها. فقال أبي مالك ما هذا الذي صنعت بنا، لولا قليل لإضطجع أحد الشعب مرة إمرأتك فجلبت علينا ذنباً. فأوصى أبي مالك جميع الشعب قائلاً الذي يمس هذا الرجل أو إمرأته موتاً يموت.

وزرع إسحاق في تلك الأرض فأصاب في تلك السنة مائة ضعف وباركه الرب. فتعاضم الرجل وكان يتزايد في التعاضم حتى صار عظيم جداً. فكان له مواشي من الغنم ومواشي من البقر وعبيد

كثيرون] (١).

إن جواب إسحاق عليه السلام لأبي مالك يذكرنا على الفور بجواب أبيه إبراهيم في واقعة مماثلة. أما ما ذكرته تلك النصوص من أن الخير كان نتيجة هذا الاستسلام الشائن للخطيئة، ففيه إيحاء لليهود أن المعصية قد تجلب الخير لصاحبها، وفي هذا تشجيع على الشر وأى تشجيع.

٣- هارون عليه السلام :

وإذا انتقلنا إلى حديث العيد القديم عن النبي هارون، عليه السلام، والذي كان له دور فعال في إرساء الديانة اليهودية، إذ كان اليد اليمنى لموسى، عليه السلام، لفترة طويلة فإننا نجد مثل غيره من أنبيائهم يرتكب أعمالاً شنيعة لا يبررها في وجهة نظر اليهود إلا توارث أثر الخطيئة الأولى، فقد نسبت أسفار العهد القديم إليه ضعف الإيمان، فقد دفعه خوفه على نفسه إلى طاعة قومه في معصية الخالق، وذلك عندما تأخر موسى في مناجاته لله، فضج بنو إسرائيل وأمروا هارون بصناعة التماثيل ليأخذوها آلهة دون الله ففعل لهم ما أرادوا، وقد ورد تصوير ذلك في سفر الخروج - الإصحاح الثاني والثلاثين:

(لما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون. وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا. لأن هذا موسى الرجل الذي أصددنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيتكم وآتوني بها. فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها الى هارون. فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً. فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصددتك من أرض مصر. فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه،

ونادى هارون وقال غدا عيد الرب. فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات
وقدموا ذبائح سلامة. وجلس الشعب للأكل ثم قاموا للعب^(١)

ولو تابعنا قراءة النص لنصل إلى لقاء موسى ، عليه السلام ، بهارون
بعد رجوعه من لقاء ربه ، فسوف نجد موسى إستولى عليه الغضب بسبب ما
كان من أخيه ، فدار بينهما الحوار التالى:

(وقال موسى لهارون ما صنع إليك هذا الشعب حتى جلبت عليه
خطية عظيمة. فقال هارون لا يحم غضب سيدى . أنت تعرف الشعب أنه فى
شر. فقالوا لى إصنع لنا آلهة تسير أمامنا . لأن موسى الرجل الذى
أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقلت لهم من له ذهب فلينزعه
ويطيعني . فطرحته فى النار فخرج هذا العجل)^(٢).

وهكذا يظهر لنا سفر الخروج هارون رجلا ضعيف الإيمان بل كافرا
مشركا، إذ تخلى عن ربه ودينه بسبب خوفه على نفسه من شر بنى إسرائيل.
ومع ذلك فإن هذا التصرف لا يتنافى عندهم مع عصمة النبوة ، فقد سبقه
إبراهيم وإسحاق وغيرهما من الأنبياء إلى المعصية التى لم تحل النبوة وبين
ارتكابها.

(١) سفر الخروج ، الإصحاح الثانى والثلاثين ، الفقرات : ٦-١ .

(٢) الإصحاح نفسه، الفقرات ٢١-٢٤ .

٤ - موسى عليه السلام:

أما المؤسس الأول للديانة اليهودية موسى ، عليه السلام ، الذى كان له الفضل الأول بعد الله فى إخراجهم من عبودية مصر ونصرهم على أعدائهم، فرعون وجنوده، فإن أسفار العهد القديم تصفه بالعصيان والامتناع عن تنفيذ أوامر الله. مما أدى إلى غضب الرب عليه فمنعه من الدخول إلى الأرض الموعودة. وكان ذلك المنع شاملاً لهارون أخيه أيضاً.

وهذا ما ذكره سفر العدد بوضوح فى الإصحاح العشرين منه إذ ضج بنو إسرائيل بسبب جفاف أصابهم ، فتوجه موسى وهارون إلى ياهو بالدعاء كما يذكر السفر على هذا النحو (فتراءى لهما مجد الرب. وكلم الرب موسى قائلاً خذ العصا واجمع الجماعة أنت وهارون أخوك وكلما الصخرة أمام أعينهم أن تعطى ماؤها.

فتخرج لهم ماء من الصخرة وتسقى الجماعة ومواشيهم . فأخذ موسى العصا من أمام الرب كما أمره . وجمع موسى وهارون الجمهور أمام الصخرة فقال لهم أسمعوا أيها المردة . أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء . ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين فخرج ماءً غزيرٌ فشربت الجماعة ومواشيها . فقال الرب لموسى وهارون من أجل أنكما لم تؤمنا بى حتى تقدساتى أمام أعين بنى إسرائيل لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التى أعطيتهم إياها)^(١)

فإذا كان اليهود يؤمنون أن نبيهم الأول موسى، عليه السلام، مؤسس الديانة اليهودية لم يتمكن من مقاومة الشر فوقع فيه وعصى أوامر الإله، فمن المتوقع عدم قبولهم باستطاعة غيره من البشر تجنب الشر ومقاومته. فقد جاء تعليق بعض مفسري العهد القديم على هذه الحادثة بمثابة تحديد واضح

(١) سفر العدد ، الإصحاح العشرون ، الفقرات : ٦ - ١٢ .

لتوارث البشر للخطيئة الأولى إذ قالوا:

"يعتبر موسى من أعظم وأقدر القديسين الأتقياء الذين عاشوا في أى وقت، لهذا فإن هذا الفضل مهم فى كونه يحفظنا من تقديره أكثر من اللازم. وبالرغم من عظمته فقد كان إنسانا وأخطأ. وقد عاقبه الله على الخطيئة وحرمه من إتمام رغبته العظمى فى الدخول إلى أرض الموعد." (١)

وقد قاموا بتفسير النص المعنى هنا بقولهم:

"لقد جعل الكبرياء - أى موسى - يستولي على أفضل ما فيه، لقد دعا الشعب [المردة] ووضع نفسه مكان الله، ناسيا أن [غضب الإنسان لا يصنع بر الله]، ربما كان قد أوشك أن يتحطم بعد سلسلة الحوادث الطويلة التى امتحنت صبره. لقد بين على أية حال انه لم يعد عنده الاحتمال المطلوب لقيادة الشعب إلى أرض الموعد. وقد وقف هارون وموسى معا فى هذا العمل.

فحكم عليهما بالعقاب معا. وإنما نعني هنا خصيصا بموسى. إذ إن هارون، لم يكن قط فى وصفه كقائد" (٢)

هكذا حرم موسى من دخول الأرض الموعودة لا لحكمة أرادها الله، بل كعقاب على غضبه وثورته على بنى إسرائيل، مع أن ذلك الغضب وهذه الثورة وإن غدا من معصية الله فيما يقرره العهد القديم، فهما فى الوقت ذاته من سريان أثر الخطيئة الأولى الذى يؤكد العهد القديم كذلك.

(١) تفسير الكتاب المقدس ، ج ١ ، ص ٣٨٥ .

(٢) تفسير الكتاب المقدس ، ج ١ ، ص ٣٨٦ .

٥- داود عليه السلام:

وإذا انتقلنا إلى داود عليه السلام فسنجد أن الحديث عنه في أسفار اليهود المقدسة أخذ بعداً آخر. فلم يكن أفضل من غيره فقد صورته أسفار العهد القديم بالملك الذي لاهم له إلا إشباع غرائزه الحيوانية حتى لو دفعت به إلى محرم، فلقد وصل به الحال أن زنى واحتال وقتل، فعل كل ذلك دون وازع أخلاقي أو رادع ديني. فسفر صموئيل الثاني يتعرض له بالقول: (وكان عند تمام السنة في وقت خروج الملوك ، أن داود أرسل يوباب وعبيده معه وجميع إسرائيل فأخربوا بني عمون وحاصروا ربة. وأما داود فأقام في أورشليم.

وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم . وكانت المرأة جميلة المنظر جداً. فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه يششيع بنت البعام امرأة أوريا الحثي. فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فإضجع معها وهي مطهرة من طمئها. ثم رجعت إلى بيتها. وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إنى حبلى.

فأرسل داود إلى يوباب يقول أرسل إلي أوريا الحثي. فأرسل يوباب أوريا إلى داود. فأتى أوريا إليه فسأل داود عن سلامة يوباب وسلامة الشعب ونجاح الحرب. فقال داود لأوريا إنزل إلى بيتك واغسل رجلك. فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصاة من عند الملك. ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيده ولم ينزل إلى بيته. فأخبروا داود قائلين لم ينزل أوريا إلى بيته. فقال داود لأوريا أما جئت من السفر. فلماذا لم تنزل إلى بيتك. فقال أوريا لداود إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوباب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وأنا آتى إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتى. وحياتك وحياءك لا أفعل هذا الأمر.

فقال داود لأوريا أقم هنا اليوم أيضاً وغداً أطلقك. فأقام أوريا في أورشلیم ذلك اليوم وغده. ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره. وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبید سیده وإلى بيته لم ينزل.

وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يواب وأرسله بيد أوريا. وكتب في المكتب يقول.. إجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وإرجعوا من ورائه فيضرب ويموت. وكان في محاصرة يواب المدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجال البأس فيه. فخرج رجال المدينة وحاربوا يواب فسقط بعض الشعب من عبید داود ومات أوريا الحثي أيضاً. فأرسل يواب وأخبر داود بجميع أمور الحرب. وأوصى الرسول قائلاً عندما تفرغ من الكلام مع الملك عن جميع أمور الحرب. فإن اشتعل غضب الملك وقال لك لماذا دنوتم من المدينة للقتال. أما علمتم أنهم يرمون من على السور. من قتل أبي مالك بن يربوشت. ألم ترمه امرأة بقطعة رحي من على السور فمات في تاباص. لماذا دنوتم من السور. فقل قد مات عبدك أوريا الحثي أيضاً^(١).

وتابع الحديث عنه قائلاً: [فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجليها نديت بعلها. ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأته. وولدت له ابناً. وأما الأمر الذي فعله داود فقبیح في عين الرب]^(٢).

وبما أن داود عليه السلام لم يكن لليهود مجرد نبي من أنبيائهم لاحقهم بدعواته الروحية محاولاً تهذيب نفوسهم الضالة، بل كذلك كان ملكاً استطاع أن يؤسس لبني إسرائيل ملكاً قوياً عزيز الجانب، لذا كان رفض

(١) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح الحادي عشر. الفقرات: ١-٢١.

(٢) الإصحاح نفسه: الفقرات: ٢٦-٢٧.

أخبار اليهود لغضب ياهو الذي أصاب داود بسبب ما قام به، كما هو مذكور في النص السابق صراحة. فقالوا معلنين غير رافضين لفعلته.

[إن الله هو مصدر الشر كما أنه مصدر الخير، وإنه أعطى الإنسان طبيعة رديئة وسن له شريعة لولاها لما كان يخطئ. وقد جبر اليهود على قبولها، فنتج عن ذلك أن داود الملك لم يرتكب بقتله (لأوريا) وبزناه بامرأته خطيئة يستحق العقاب عليها منه تعالى، لأن الله هو السبب في كل ذلك]^(١). فهم يرفضون ما وقع منه، ويعملون على تبرأته بإرجاع الفعل إلى الله الذي وضع فيه الميل للشر.

٦ - سليمان عليه السلام:

أما حديث العهد القديم عن أعظم ملوك اليهود النبي سليمان، عليه السلام، وهو الذي حاول اليهود وإلى اليوم العثور على أنقاض هيكله المقدس، فهو حديث عجيب، وقد ذكرت أسفارهم أنه بعد أن بلغ من الكبر عتياً إعتراه شئ من الخرف، إنتهى به الإستكثار من الزوجات والجري وراء ملذاته فكان له عدد كبير من النساء من بينهن نساء غريبات أمّن قلبه إلى الأوثان، فقام ببناء أماكن لعبادتها إرضاءً لهن.

فقد تحدث سفر الملوك الأول عن ذلك فقال: [وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعموميات وأدميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهو لا يدخلون اليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فبالصق سليمان بهؤلاء بالمحبة. وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري فأمالت نساؤه قلبه. وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أمّن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب

(١) الكنز، ص ٥٧. راجع أيضاً: صالح محمد صالح، الإنسانية والصهيونية والتلمود، ص ١٦.

داود أبيه. فذهب سليمان وراء عشتورث الالهة الصيدونيين ومنكوم رجس العمونيين. وعمل سليمان الشر في عين الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه. حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم ولمولك رجس بني عامون. وهكذا فعل لجميع نساؤه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن^(١).

وهكذا يصور السفر حياة هذا النبي الكريم وقد انتهت إلى الشرك، وهو ما يثبت أن اليهود شعب حلل الخطيئة وجعلها أمراً مسلماً به لانقيصة، فهي كالليل والنهار والشمس والقمر، فالخطيئة قضية يتوارثها البشر جميعاً عن أبويهم آدم وحواء.

هذه صورة سريعة تعكس طبيعة الإعتقاد اليهودي في الأنبياء، ومنها يتبين مدى خلطهم وتجاوزهم في الإساءة إلى صفوة خلق الله وتشويه مكانتهم السامية، مع تبريرهم النفسي لذلك كله بإمتداد أثر الخطيئة الأولى إلى بني آدم بما في ذلك الأنبياء، عليهم السلام.

رابعاً: عقيدة البعث واليوم الآخر:

يدرك الباحث في العهد القديم أن لإيمان اليهود بلعنة ياهو المنصبة على آدم وحواء وذريتهما ومرتلة بالخطيئة الأولى، دوراً واضحاً في نفهم عقيدة البعث واليوم الآخر في أسفارهم المتقدمة.

فالقصة المعنية تحصر اللعنة في ثلاثة أمور، هي:

أولاً: الخروج من الجنة للأبد.

ثانياً: الشقاء الدنيوي.

ثالثاً: الموت، فالإنسان خلق من تراب وإلى تراب يعود.

(١) الإصحاح الحادي عشر، الفقرات: ١-٨.

وعلى هذا فلا وجود لسعادة أو شقاء بعد الموت، فالنص الذي فسر حياة الدنيا باللعنة لم يشير إلى حياة أخرى بعد الموت. يتحقق فيها الجزاء العادل فيفرق بين المؤمن الصالح بإسعاده والفاقد الكافر بإنزال العقاب به. وقد نتج عن اعتقاد اليهود بخروج آدم وحواء من الجنة خروجاً أبدياً، إلى القول ولقروناً طويلة إن الجزاء يتحقق في هذه الدنيا، ففيها يثاب الإنسان ويعاقب على عمله، فالسعادة والشقاء الدنيوي في العقيدة اليهودية.^(١) كان بسبب تمسك أصحاب هذه الديانة بمعطيات نص الخطيئة الأولى التوراتي، وخلو أسفاره المتقدمة في العهد القديم من أي إشارة إلى حياة بعد الموت^(٢). كان أيضاً متأثراً بهذه القصة، وهو الأمر الذي تضمن احتمالاً قوياً يكمن وراء رفعهم النصوص المتعلقة للبعث من هذه الأسفار، خشية ظهور تناقض بينها وبين النصوص التي تقرر أن الثواب والعقاب دنيويان وهي نصوص ترد بكثرة في هذه الأسفار.

وإلى ذلك أشار موسى عليه السلام في حديثه لبني اسرائيل فيما نسبه إليه سفر التثنية إذ قال: [أنظر. قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير والموت والشر بما أني أوصيتك اليوم أن تحب الرب إلهك وتسلك في طرقه وتحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه لكي تحيا وتنمو وبياركك الرب إلهك في الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها. فإن إنصرف قلبك ولم تسمع بل غويت وسجدت لآلهة أخرى وعبدتها فباني أنبنكم اليوم أنكم لامحالة تهلكون. لانتطيل الأيام على الأرض التي أنت عابر الأردن لكي تدخلها وتمتلكها. أشهد عليكم اليوم السماء والأرض. قد جعلت قدامك الحياة والموت. والبركة

(١) راجع: هنري أبو خاطر، نظرات في الحتمية والجبرية والحرية، ص ١٤٤-١٤٥.

(٢) راجع: سيجموند فرويد، موسى والتوحيد، اليهودية في ضوء التحليل النفسي، ترجمة

عبد المنعم الحنفي، ص ٥٦. والعقاد، الله، ص ١١٨-١١٩.

واللعنة. فإختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك. إذ تحب الرب إلهك وتسمع لصوته وتلتصق به لأنه هو حياتك والذي يطيل أيامك لكي تسكن على الأرض التي حلف الرب لآباءك إبراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيهم إياها^(١).

لقد صرح النص هنا أن الحياة على هذه الأرض بما تشمل من إطالة العمر والسعادة والتكاثر والبركة، وسكنى الأرض الموعودة هي ثواب المؤمنين الطائعين للرب. وأن الموت السريع واللعنة والحرمان من التمتع بالأرض تصيب الكثيرين العاصين في حين لم يشر إلى حياة بعد الموت يتحقق فيها الجزاء، فقد قصر النص الجزاء بشقيه الثواب والعقاب على هذه الدنيا متوقفاً عن الحديث عن ما يعقب الموت من أحداث، وهو بذلك يقرر إيمان اليهود باللعنة التي تضمنها نص الخطيئة الأولى، فالموت في عقيدة بني إسرائيل المعبر الأخير لعامة البشر. وإلى هذه العقيدة يشير سفر الجامعة بقوله: [الكل على ماللكل، حادثة واحدة للصديق وللشرير وللصالح وللظاهر وللنجس. للذابح وللذي لا يذبح. كالصالح الخاطئ. الحالف كالذي يخاف الحلف. هذا أشر كل ما عمل تحت الشمس، أن حادثة واحدة للجميع وأيضاً قلب بني البشر ملآن من الشر والحماسة في قلبهم وهم أحياء وبعد ذلك يذهبون إلى الأموات لأنهما يستتني في كل الأحياء يوجد رجاء فإن الكلب الحي خير من الأسد الميت. لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون. أما الموتى فلا يعلمون شيئاً وليس لهم أجر بعد كأن ذكرهم نسي. ومحبتهم وبغضهم وحسدهم هلكت منذ زمان ولا يصيب لهم بعد إلى الأبد في كل ما عمل تحت الشمس... كل ماتجده يدك لتفعله فأفعله بقوتك لأنه ليس من عمل

(١) الإصحاح الثلاثون، الفقرات: ١٥-٢٠.

ولا إختراع ولا معرفة ولا حكمة في الهاوية التي أنت ذاهب إليها.^(١)

إن هذا النص الوارد في العهد القديم يدل يقينا على إيمان اليهود بالنهاية التي حددتها لعنة الخطيئة الأولى التي تجمع بين المؤمن والكافر والمطيع والعاصي في نهاية واحدة ألا وهي الموت. وفي هذا المعنى تحدثت امرأة من بني إسرائيل إلى داود الملك، إذ قالت له كما يذكر سفر صموئيل الثاني [لأنه لا بد أن نموت ونكون كالماء المهراك على الأرض الذي لا يجمع]^(٢).

إذا فاليهود يعتقدون أن من إختار الطاعة إختار الحياة والسعادة والبركة ومن إختار المعصية والكفر إختار بالتالي قصر حياته وشقاؤه فيها على قصرها، لكن الحياة واجهت اليهود بواقع يتنافى مع هذه العقيدة، فكثير من الأشرار والكفار عاشوا فيها بسعادة، وكثير من الأبرار إضهدوا وظلموا فيها، ودفع عدم تحقق تلك العدالة التي تحدث عنها سفر التثنية المشار إليه سابقاً، أصحاب الفطرة السليمة من اليهود إلى الإعتراض على النهاية التي وردت في سفر التكوين حيث تحدث عن لعنة الخطيئة الأولى، فكون الموت هو النهاية التي تصيب البشر جميعاً دون التفرقة بين الصالح منهم والفاقد، أمر رفضه هؤلاء بشدة.

ويحتوي العهد القديم على نصوص كثيرة يجهر أصحابها بهذا الرفض، وبما أنه من العسير جمعها فسأعرض أهم ما توصلت إليه في هذا الموضوع. من ذلك مانسبه العهد القديم إلى أيوب، عليه السلام، حيث قال: [فلماذا أخرجتني من الرحم. كنت قد أسلمت الروح ولم ترني عين فكنت كأني لم أكن فأقاد من الرحم إلى القبر. أليست أيامي قليلة. أترك خف عني

(١) سفر الجامعة، الإصحاح التاسع، الفقرات: ٢-٦.

(٢) الإصحاح الرابع عشر الفقرة: ١٤.

فَأْتَبِجْ قَلِيلاً قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ وَلَا أَعُودَ. إِلَى أَرْضٍ ظَلَمَةٌ وَظِلُّ الْمَوْتِ أَرْضِي ظَلَامٍ
مِثْلَ دَجَى ظِلِّ الْمَوْتِ] (١).

وفي مكان آخر من السفر نفسه نجد تأكيداً لهذا الربط [لأن للشجرة رجاء. إنقطعت تخلف أيضاً ولاتعدم خراعيها ولو قدم في الأرض أصلها ومات في التراب جذعها فمن رائحة الماء تفرخ وتثبت فروعاً كالغرت. أما الرجل فيموت ويبيلى. الإنسان يسلم الروح فأين هو. قد تنفذ المياه من البحرة والنهر ينشف ويجف. والإنسان يضطجع ولا يكون. لا يستيقظون حتى لاتبقى السموات ولا ينتبهون من نومهم] (٢).

لاشك أن لعدم رضا كاتب السفر وأمثاله من اليهود عن تلك النجاية التي قررتها لعنة الخطيئة، واعتراضهم السافر على مضمونها، كان وراء محاولة البعض إيجاد مخرج آخر تستريح إليه النفس الإنسانية وخاصة مع وجود حاجة تستدعي ذلك حيث تعرض اليهود لكثير من النكبات والإضطهاد عن طريق جبابرة الأرض. فأرادوا تغيير تلك النهاية بأخرى تمكنهم من بث الرعب من قلوب أعدائهم في الحياة الدنيا بسبب أن دعوة إسحق لأبيهم يعقوب (٣) لم تتحقق، فقد عاش هؤلاء الأعداء ومات كثيراً منهم دون أن تصيبهم هذه اللعنة لذا قرر اليهود وجود حياة بعد الموت يقتص فيها من الظالم وينصف المظلوم، ويحصل اليهود الذين طالما عانوا من الظلم والإضطهاد والتشرد على ما يستحقونه من الفوز الأبدي والسعادة الكبرى التي أعدها ياهو.

وهو ما أكده روبرت بندكتي إذ قال: "لم تبرز فكرة القيامة بوضوح في

(١) سفر أيوب، الإصحاح العاشر، الفقرات: ١٨-٢٢.

(٢) سفر أيوب، الإصحاح الرابع عشر، الفقرات: ٧-١٢.

(٣) راجع سفر التكوين، الإصحاح السابع والعشرين.

الفكر اللاهوتي - اليهودي - قبل القرن ٢. (١).

مبينا بعد ذلك أسباب ظهور فكرة القيامة بقوله:

"اجتاحت الشعب والبلد كوارث تاريخية وفواجع وطنية
جماعية حملت الناس على التفكير في معنى الحياة في ظل
الموت - للمعنى الواسع للكلمة، واقع الموت المتوغل في
(دائرة الحياة) - مما جعل المفكرين يتساءلون عن مصير
المظلوم الملهوف وظالمه بعد الموت. فالظلم السائد في الدنيا
يستدعي العدالة المتعالية. أدت هذه التساؤلات إلى نشوب
أزمة فكرية، بل وأزمة ضمير أخلاقية. اشتدت أزمة الضمير
هذه في عصر الحكم الهلنستي والحروب الدينية التي شنها
المكابيون على طغيان أنطيوخس (١٧٦-١٦٤) الذي أراد
إحداث تغييرات في دين العهد القديم. إن مصير الشهداء
طرح بالحاح أخيري قضية مصير الموت: نصوص العصر
تشهد لشدة الإهتمام وعمق التساؤلات حول هذه القضية." (٢).

ويعد أوضح تلك الاشارات ماورد في سفر دانيال ونصه: [وكثيرون
من الراقدين في التراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء
إلى العار للإزدراء الأبدية] (٣).

وقد أكد روبير بنداكتي على أهمية هذا النص في تعزيز عقيدة البعث
عند اليهود بقوله: [يعد دانيال ١٢/١-٣ الشاهد الأول في تراث العهد القديم

(١) التراث الإنساني في التراث الكتابي، ص ١٠٣.

(٢) روبير بنداكتي، التراث الإنساني في التراث الكتابي، ص ١٠٤-١٠٥. راجع أيضا:

اندكتور رफी زاهر، قصة الأديان، ص ٣١٠.

(٣) الإصحاح الثاني عشر، الفقرة: ٢.

للإيمان الواضح " بقیامة الموتى" [١].

كما نجد إشارات واضحة عن البعث في سفر أشعيا، وهو من الأسفار المتأخرة، حيث جاء في الإصحاح الخامس والعشرين منه [ويصنع رب الجنود لجميع الشعوب في هذا الجبل وليمة سماء وليمة خمر على دردي سماء ممخة، دردي مصفي. ويفني في هذا الجبل وجه النقب. النقب الذي على كل الشعوب والغطاء المغطى به على كل الأمم. ويبلغ الموت إلى الأبد ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه وينزع عار شعبه عن كل الأرض لأن الرب قد تكلم.

ويقال في ذلك اليوم هو ذات هذا إلها إنتظرناه فخلصنا. هذا هو الرب إنتظرناه. نبتهج ونفرح بخلصه. لأن يد الرب تستقر على هذا الجبل ويداس موآب في مكانه كما يداس التبن في ماء انمزيله فيبسط يديه فيه كما يبسط السابح ليسبح فيضع كبرياءه في مكابديها. وصرح ارتفاع يخفضه يضعه يلصقه بالأرض إلى التراب [٢].

لقد ظهر من هذا النص أن اليوم الآخر الذي يتحدث عنه هو يوم الخلاص لبني اسرائيل، فهو يوم يرفع ياهو فيه نعمة الخطيئة عنهم فلا يصيبهم شقاء ولا موت، في حين يصيب أعداءهم الشر والبلاء نتيجة ما اقترفوه تجاه شعبه المختار. ويعلل الأب الآن مرشودر التناقض الموجود في العهد القديم فيما يتعلق بعقيدة البعث، وعدم تطرق الأسفار المتقدمة لها، وتطرق المتأخرة إليها بإشارات بسيطة قائلًا:

"الف سنة ونيف تفصل بين لقاء الرب (بشعبه في حوالي منتصف القرن الثالث عشر ق.م.) وبالتأكيد الصريح على

(١) التراث الإنساني في التراث الكتابي، ص ١٠٥.

(٢) الفقرات: ٦-٨.

وجود حياة ماوراء الموت. وفي الواقع لم تتجسد رغبة البقاء في شهادة ايمان صريحة إلا في حوالي السنوات ١٥٠ ق.م. ولا بد من الإشارة إلى مثل هذا البون الشائع. فإنه يدل على أن الوحي تجسد في الثقافة الثانية حتى أنه تقيّد بقيودها الأنثروبولوجية.

أحياناً ما نبحث في الكتاب المقدس عن حقائق جاهزة فيحصل بنا أن نحفظ هذا الدرس، علماً أن الله لا يهبط أبداً وحيه وفق رأس الإنسان، بل يفيد في دم الإنسان ولحمه، مراعيًا مخاطر حرّيته وتباطؤها. وهناك أمر آخر جدير بالإهتمام، وهو أن تدوين معظم الأسفار الكتابية قد تمّ حين أثبتت إسرائيل إيمانهم بالحياة بعد الموت. فلم يعرف إيمان إسرائيل بالإله المحي مسرّحاً، طوال ألف سنة، إلا المجال الأرضي، ولم يبلغ إسرائيل التثبّت في رجاء الآخرة إلا بعد أن أدى للحياة الدنيا كل ما يحق لها من ثمن.

ليس علينا نحن أن نجتاز الطريق نفسه. فلا بد أن نحذر من حصر تعطشنا إلى الحياة في الآخرة. إن اختبار إسرائيل تطبيق رائع لما كتبه اللاهوتي الألماني بونهوفر (لا يحق لنا أن نؤمن بقيامة الأموات وبالعالم الجديد، ما لم نحب الحياة والأرض حباً كافياً يجعلنا نظن أن كل شيء ينتهي حين نفقدها).^(١)

إن الكاتب هنا يحاول أن يزيل أسباب الحيرة فيما يبدو من فساد هذه العقيدة في العهد القديم، وذلك بإضفاء ما يمكنه من القبول عليها، ولا نعتقد أنه

(١) الموت والحياة في الكتاب المقدس، نقلته إلى العربية، الأم ماري هنرييت غانم ص ٩-١٠

قبلها هو ذاته حتى تحظى بقبول غيره .

وعلى أن هناك سبباً آخر لرفع اليهود عقيدة البعث من أسفارهم، يضاف إلى السبب السابق، يتعلق أيضاً بالخطيئة الأولى وقولهم بتوارث الإنسانية للخطيئة. وأعنى بهذا السبب ما وقع فيه اليهود على مدار تاريخهم الطويل من الخطايا والذنوب التي ربطتها الأسفار المتقدمة بأشد أنواع العقاب في الآخرة فكان من اليسير على أحبار اليهود أن يرفعوا من هذه الأسفار مثل تلك العبارات تفادياً لما تضمنته من الوعيد الشديد.

وبعد، وتلك الإمامة سريعة بآثار الإيمان بقصة الخطيئة الأولى على العقيدة اليهودية بمختلف موضوعاتها الأساسية سواء صفات الإلهية أو عقيدة النبوات واليوم الآخر. وضح من خلالها دور ذلك الإيمان في تحديد معالم كل منها، بحيث تتلاءم مع نص الخطيئة الأولى الواردة في سفر التكوين.

ثانياً : الناحية التشريعية:

أثرت قصة الخطيئة الأولى في العقيدة اليهودية تأثيراً بعيداً بحيث لم يتمكن اليهود من الفصل بينها وبين بعض الشرائع الخاصة بهم، لذا يجد الباحث بعض هذه الشرائع وقد تأثر بشكل أو بآخر بإيمانهم بها. وسيدور هذا المبحث -إن شاء الله- حول الشرائع التي تأثرت بذلك الإيمان. وكما هو معلوم فإن لعنة الخطيئة انصبت على آدم وحواء بسبب عصيانهما أمر الله وتناولهما من الشجرة المحرمة.^(١) وهذه اللعنة يمكن أن تنقسم إلى ثلاثة أقسام من حيث ارتباطها بآدم وحواء. قسم اتجه إلى حواء وبناتها على اعتبارها أحد المسيبات الأساسية للخطيئة الأولى، وقسم اتجه إلى آدم وأبنائه الذكور بسبب طاعته لحواء وعصيانه لأمر الله، وهناك قسم

(١) راجع : سفر التكوين . الأصحاح الثالث .

جمعهما معاً وانتقل منهما لجميع البشر. وسوف أقصر الحديث على القسمين الأول والثالث متجاوزة القسم الثاني لعدم تأثر شرائعهم به .

أولاً : الشرائع النسائية:

أ - الأثر البدني.

ب - الأثر الأدبي.

ثانياً : الشرائع المشتركة.

أولاً : الشرائع النسائية:

أ - الأثر البدني :- تركت اللعنة التي أصابت حواء وبناتها تأثيراً جسدياً عليهن يوضحه ما ورد في سفر التكوين (تكثيراً أكثر أعاب حبلك. بالوجع تلدين أولاداً وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك.)^(١)

ويلاحظ أن الجزء الأول من هذه اللعنة يتعلق ببعض خواص المرأة، وأقصد بذلك الحمل والولادة، فقد جعل النص هذه الخاصية الهامة المتميزة للمرأة صفة ذم لا صفة مدح، وقد ترتب على هذا الاعتقاد كثير من الأحكام التشريعية التي يمكن وصفها بالشدّة والقسوة في معاملتهم للمرأة، وخاصة إذا كانت حائض أو نساء اعتقاداً منهم أن هاتين الخاصيتين ترجعان إلى اللعنة التي ارتبطت بالمرأة نتيجة الخطيئة الأولى، كل ذلك واضح من الأحكام التشريعية التي فرضها اليهود على الوالدة والحائض.

فالذي يطالع حديث سفر اللاويين المتضمن هذه التشريعات، يشعر بمدى تعاسة المرأة الإسرائيلية، ومدى ما أصابها من ظلم وقسوة نتيجة إيمانهم بمضمون قصة الخطيئة، فقد جاء (وإذ كانت امرأة لها سيل وكان سيلها دمأ في لحمها فسبعة أيام تكون في طمئتها وكل من مسها يكون نجساً إلى المساء. وكل ما تضطجع عليه في طمئتها يكون نجساً وكل ما تجلس عليه

(١) راجع: سفر التكوين، الاصحاح الثالث، الفقرة : ١٦ .

يكون نجساً وكل ما مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وكل من مس متاعاً تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وان كان على الفراش أو على المتاع الذى هى جالسة عليه عندما يمسه يكون نجساً إلى المساء. وإن اضطجع معها رجل فكان طمئتها عليه يكون نجساً سبعة أيام. وكل فراش يضطجع عليه يكون نجساً. وإذا كانت امرأة يسيل سيل دمها أياماً كثيرة فى غير وقت طمئتها أو إذا سال بعد طمئتها فتكون كل أيام سيلان نجاستها كما فى أيام طمئتها. إنها نجسه. كل فراش تضطجع عليه كل أيام سيلها يكون لها كفراس طمئتها. وكل الأمتعة التى تجلس عليها تكون نجسة كنجاسة طمئتها. وكل من مسهن يكون نجساً فيغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وإذا طهرت فى سيلها تحسب لنفسها سبعة أيام ثم تطهر. وفى اليوم الثامن تأخذ لنفسها يمامتين أو فرخي حمام وتأتي بهما إلى الكاهن إلى باب خيمة الاجتماع، فيعمل الكاهن الواحد ذبيحة خطية والآخر محرقة ويكفر عنها الكاهن أمام الرب من سيل نجاستها.^(١)

لقد أظهر هذا النص نظرة المجتمع الإسرائيلى إلى المرأة، فهي فى مراحل تطبيق اللعنة عليها - كما يدعون - وهى هنا مرحلة الحيض التى تكون فيها نجسة منجسة لكل ما حولها، سواء كان أثاثاً أو ثياباً أو متاعاً أو حتى من البشر، ولتخرج من هذه النجاسة لابد أن تعيش منعزلة عن العالم مدة محددة من الزمن، تندب فيها حظها العاثر الذى جعلها امرأة، وعليها بعد أن تنقضي المدة المحددة فى النص أن تتقدم إلى الكاهن بذبيحة الخطية وأخرى ليكفر عنها.^(٢)

(١) الإصحاح الخامس عشر، الفقرات : ١٩ - ٣٠.

(٢) راجع : Goerage Bachanan Gray. Sacrifice in the old Testments , p.76

أن تتحول المرأة بسبب نجاسة مؤقتة ومحدودة إلى عنصر نجس منجس أمر يصعب تصوّره فكيف يقبوله.

ولكن حالة المرأة الإسرائيلية في حالة الحيض على صعوبته وشدته على نفسية الأنثى يهون بالنسبة إلى حالها بعد الولادة.

فلقد قرر اليهود كما يذكر سفر اللاويين في موضع آخر أن المرأة الوالدة عليها الكثير لتدفع، فالولادة بحد ذاتها تعتبر عندهم من أكبر علامات لعنة ياهو على حواء وبناتها.^(١)

فالأم الوالدة يلحق بها قدر لا يستهان به من القسوة والشدّة في الشريعة اليهودية. وإن كان ذلك يختلف تبعاً لنوعية جنينها. فإذا كان المولود ذكراً تكون نجسة منجسة سبعة أيام كأيام طمئنها، ثم تبقى بعد ذلك ثلاثة وثلاثين يوماً لا تلمس شيئاً مقدساً ولا تدخل بيتاً للعبادة. أما إذا كان المولود أنثى فتضاعف المدة لتصبح نجسه لمدة أسبوعين ثم تبتعد عن بيت العبادة ستة وستين يوماً لا تلمس خلالها شيئاً مقدساً، ولتتجه بعد ذلك بذبيحة الخطية إلى الكاهن الذي يكفر عنها فتطهر.

وقد نسب سفر اللاويين هذا التشريع إلى ياهو حيث جاء فيه (وكلم الرب موسى قائلاً كلم بني إسرائيل قائلاً إذ حبلت امرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام - كما في طمئنها علتها تكون نجسة. وفي اليوم الثامن يختن لحم غرلته ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوماً في دم تطهيرها. كل شئ مقدس لاتمس وإلى المقدس لاتجئ حتى تكمل أيام تطهيرها. وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين كما في طمئنها. ثم تقيم ستة وستين يوماً في دم تطهيرها. ومتى كملت أيام تطهيرها لأجل ابن أو ابنة تأتي بخروف حولي

(١) راجع: YEHEZKELL KAUFMANN, THE RELIGION OF ISREAL, Translated and Abrodged by MOSH GREENBERG, P.294.

محرقة وفرخ حمامة أو يمامة ذبيحة خطية إلى باب خيمة الاجتماع إلى الكاهن فيقدمها أمام الرب ويكفر عنها فتطهر من ينبوع دمها. هذه شريعة التي تلد ذكراً أو أنثى، وإن لم تنل يدها كفاية لشاة تأخذ يمامتين أو فرخي حمام الواحد محرقة والآخر ذبيحة خطية فيكفر عنها الكاهن فتطهر^(١)

وقد نتساءل هنا وما هي جنائنها التي تتطلب هذا التكفير فيأتي الجواب من مفسري العهد القديم لتوضيحه، مؤكدين في البداية أن الإكثار من ولادة الأولاد أمر إلهي، فقالوا:

"صدر الأمر [أثمروا وأكثروا] في (تك ١ : ٢٨) وتجدد لنوح بعد الطوفان (تك ٩ : ١) وقد أخبرنا صريحا أن سلفاء أبرام من الذين ولدوا بعد الطوفان أطاعوا ذلك (تك ١١ : ١١ و١٣ الخ)"^(٢)

ثم بعد أن وضحوا تلك النقطة عرجوا إلى موضوع بحثنا فقالوا:

"الإيضاح الكافي الوحيد لما يبدو مخالفة القاعدة، كما ورد في الأمر بالإثمار. والفرح الملازم لتحقيق الأمومة والأبوة. مع النجاسة المنسوبة إليهما والتي يعبر عنها بجلاء في التطهير المديد المطلوب من الأم بعد إتمام وظيفة الأمومة السامية، هذا الإيضاح يوجد في السقوط واللعنة التي وقعت على المرأة بعد السقوط مباشرة. فالوجع والألم يجب أن يلازما الأمومة [تك ٣ : ١٦]"^(٣)

لقد وجد اليهود الوجع والألم اللذين يصيبان الأم أثناء الحمل والولادة غير كافيين لتحقيق لعنة ياهو عليها، فما كان منهم إلا أن انتظروا انتهاء هذا

(١) الإصحاح الثاني عشر.

(٢) تفسير الكتاب المقدس، ج ١، ص ٣٠٠.

(٣) المرجع نفسه و الصفحة نفسها

العذاب المرير ليبدأوا بنوع آخر منه، مقررين وجوب هجرها تماما وعدم الاقتراب منها فهي نجسة منجسة تنجس كل من حولها سواء كان إنسانا أو جمادا.

وهكذا تصبح الأم منعزلة تندب حظها العاثر الذي جعلها من بنات حواء، بل إن اليهود رأوا أن ذلك أيضاً ليس كافياً ففرضوا عليها ذبيحة للخطية، تقدمها بعد فترة محددة من الزمن. فبدلاً من أن يقدم لها الشكر أو التعزية على ما أصابها، والذبح لله شكراً على سلامتها وسلامة الوليد، فرضوا عليها ذبيحة للخطية، بسبب كونها إحدى بنات حواء ورثت لعنة أمها فجرى عليها ما جرى على أمها من آلام وأوجاع الحمل والولادة.

إن هذا التشريع يحتوي على قدر كبير من القسوة والظلم والمشقة على المرأة التي بطبيعتها تكوينها الأنثوي تملك نفساً حساسة. وتزداد هذه الحساسية عندما تكون في مرحلة الولادة وما بعدها حيث يتطلب وضعها قدراً كبيراً من الرعاية من قبل الزوج والأهل. ولكن اليهود وبايمانهم بلعنة الخطيئة تجاهلوا كل ذلك غير مكترفين بمضمون اللعنة بل أصدروا لعناتهم المتتالية على المرأة معتقدين أنها عنصر الأساس في خروج أيهم آدم من الجنة، ووجودهم على هذه الأرض بكل ما فيها من كدح وشقاء، كما أن اختلاف مدة نجاسة الوالدة على حسب نوع المولود ذكراً أو أنثى ليرجع إلى لعنة الخطيئة الأولى التي أصدرها ياهو ضد حواء وتوارثتها بنات جنسها .

فاليهود يعتقدون أنها بإنجابها أنثى تكون قد جلبت إلى الأرض لعنة أخرى استحققت بها مضاعفة مدة نجاستها بسبب ما أنجبت. إن ذلك ليبين مدى ما وصل إليه اليهود في احتقارهم للمرأة، فبسبب إيمانهم بقصة الخطيئة الأولى والمذكورة في توراتهم جعلوها في الدرك الأسفل في المجتمع الإنساني، فمهما تحملت من مشاق وآلام لتحقيق أمر ياهو بالإكثار من انجاب الأولاد، أو رغبة منها في جلب السعادة إلى اسرتها لن تتال من كل ذلك إلا

اللوم والعزلة سواء كان إيجابها ذكراً أو أنثى فالحال سواء، وإن كان إيجابها للذكر سيخفف عنها نوعاً ما، بل إن مفسري العهد القديم عندما تعرضوا للنص الذي يتحدث عن هذا الاختلاف، أثبتوا عدم وجود سبب آخر للتفرقة بين ولادة الذكر وولادة الأنثى من حيث مدة التتجيس، مشيرين إلى أن السبب وراء هذه التفرقة لا بد وأنه السبب نفسه الذي ذكروه عند حديثهم عن نجاسة الوالدة، وقد أشرت إلى ذلك فيما مضى، وخلصته أن على الأم أن تتطهر بعد الولادة بسبب السقوط واللعنة التي وقعت على المرأة بعد السقوط مباشرة، واختلاف مدة النجاسة بحسب جنس الوليد يرجع أيضاً إلى اللعنة، هذا ما قرره مفسرو العهد القديم، فقد جاء على لسانهم:

"في حالة ولادة طفل، ذكر تستمر نجاسة الأم، فيما يختص بالبيت، إلى اليوم الثامن، وعندما يجرى طقس الختان على ابنها [تك ٢١ : ٤] ثم تبقى أيضاً نجسة، فيما يختص بالواجبات الدينية العامة، مدة ثلاثة وثلاثين يوماً أخري، وفي حالة ولادة أنثى تضاعف المدة، ولم يذكر سبب ذلك. وبما أن هذه المدة توصف بأنها أيام نجاسة فربما كان التفسير راجعاً إلى الاعتبارات التي ذكرناها آنفاً. وليس من المرجح أن يكون السبب جسدياً أو بيولوجياً، وفي آخر مدة الأربعين أو الثمانين يوماً كان عليها أن تقدم خروفاً حولياً كمحرقة وطيراً كذبيحة خطية أو طيرين إذ لم تتل يدها كفاية لخروف"^(١)

الأثر الأدبي :

وإذا أردنا الانتقال إلى الحديث عن الجزء الثاني من لعنة حواء، نجد أن

(١) تفسير الكتاب المقدس، ج ١، ص ٣٠١.

التشريعات اليهودية حافلة بأمثلة السيادة المطلقة للرجل على المرأة ذلك لتأثر اليهود بإيمانهم بلعنة الخطيئة التي تحدثت عن هذه السيادة الأبدية، فقد جاء فيها (وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك)^(١)

ولكثرة هذه التشريعات وتنوعها سأكتفى في حديثي هنا عن تشريعيين ذوي دلالة واضحة على تأثر أصحابها بإيمانهم بالقصة موضوع البحث، وهي:

١- الزواج .

٢- الملكية الخاصة .

١- الزواج :

تميل المرأة فطرياً إلى فكرة الزواج عندما تبلغ سنًا معينة تؤهلها لتحمل مسئولية زوج وأطفال، بل إن الزواج حلمها الوردي الذي تنتظره لتحقيق آمالها في تكوين أسرة سعيدة مترابطة يجمع بين أفرادها الحب والوئام ويرفرف على أجنائها الأمان والاستقرار.

ولكن حال المرأة اليهودية يختلف ولا شك، فالمرأة اليهودية عندما تقبل على الزواج لا بد أن يراودها وبمرارة وبأس الجحيم الذي ستؤول إليه، فشريعتها قد فرضت عليها بسبب لعنة أمها حواء ألواناً من العذاب لا يمكن لرجل تحمله فكيف بالمرأة، فهي ما أن تتزوج حتى تفقد ما بقي لديها من كرامة، وتتحول إلى مجرد أمة مملوكة لهذا الزوج، فلا يحق لها الاعتراض أو الامتناع عن تنفيذ أوامر زوجها، ولو كانت هذه الأوامر معقولة لوجب الصمت، فالمرأة بطبيعة الحال تحب أن تكون مرءوسة من زوجها نوعاً ما، أما حالها في أحكام الزواج عند اليهود، فقد فاق ما يمكن أن تتحمله كإنسانة،

(١) سفر التكوين، الإصحاح الثالث، الفقرة : ١٦ .

فالمهر الذي يعتبر ركناً من أركان الزواج في الديانة اليهودية^(١) جعل من المرأة سلعة معروضة للبيع يشتريها الرجل من أيها لتصبح زوجة بل أمة له لا تستطيع الخلاص منه أبداً. وعليها كزوجة القيام بجميع أعمال المنزل التي تفوق طاقتها^(٢) كما حدد ذلك "Arthur Hertzberg" عند حديثه عن دور المرأة في أعمال المنزل، فقال:

"إن على المرأة أن تطحن الحبوب، وتخبز، وتغسل الملابس، وتطبخ، وترضع ولدها، وتنظف البيت وتنظمه، وتغزل وتخيظ الثياب، ولكنها إن أحضرت معها خادماً تابعاً لها من بيت أبيها فإنها تعفى من الطحن والخبز والغسيل، وإن أحضرت خادمين معها أعفيت من الطبخ والرضاعة، وإن أحضرت ثلاثة فإنها تعفى من تنظيف البيت وتنظيمه، وإذا أحضرت أربعة فإنها تعفى من كل الأعمال، ولكن ربي Eliezer، يقول إن الزوجة إذا أحضرت معها مائة خادم، فإنها لا تعفى من الغزل، ولزوجها أن يرغبها عليه، لأن البطالة تقود إلى الفساد"^(٣)

إن المرأة اليهودية المتزوجة في مقياس بني إسرائيل، خادمة مجدة مثابرة لا تكل ولا تمل تؤدي الأعمال المنزلية التي يتطلب أداؤها وجود أكثر

(١) راجع: الدكتور محمود عبد السميع شعلان، نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام ج ١، ص ١٣٧.

(٢) راجع: الدكتور أحمد شلبي، اليهودية، ص ٣٠٩ - ٣١٠، نقلاً عن Judaism. والدكتور محمود عبد السميع شعلان، نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام ج ٢، ص ٤٧.

(٣) الدكتور أحمد شلبي، اليهودية، ص ٣٠٩.

من أربع خادِمات، فهي تقوم بالإضافة إلى عملهن بالغزل الذي لا يسقط عنها،

ولو كان لديها عدد كبير منهم، لأن البطالة - كما شرعوا - تقود إلى الفساد، بالإضافة إلى أن الزوج في شريعة بني إسرائيل غير مكلف مطلقاً مهما كان ثراؤه بإحضار الخدم لزوجته، وعليها إذا رغبت في ذلك اللجوء لوالدها ليتكفل هذا الأخير بتكاليفهم، ومن الغريب في هذه القضية أن أسفار العهد القديم عندما تصور صفات المرأة الفاضلة تركز بشكل واضح على عنصر الخدمة، جاء في سفر الأمثال (امرأة فاضلة من يجدها لأن ثمنها يفوق اللآلئ. بها يثق قلب زوجها فلا يحتاج إلى غنيمة. تصنع له خيراً لا شراً كل أيام حياتها، تطلب صوماً وكتاناً وتشتغل بيدين راضيتين. هي كسفن التاجر. تجلب طعامها من بعيد. وتقوم إذ الليل بعد وتعطي أكلاً لأهل بيتها وفريضة لفتياتها. تتأمل حقلاً فتأخذه وبثمر يديها تغرس كرماً. تنطق حقوياً بالقوة وتشد ذراعها. تشعر أن تجارتها جيدة سراجها لا ينطفئ في الليل. تمد يديها إلى المغزل وتمسك كفاها بالفلكة. تبسط كفيها للفقير وتمد يديها إلى المسكين. لا تخشى على بيتها من الثلج لأن كل أهل بيتها لابسون حلاً. تعمل لنفسها موشيات. لبسها بوص وأرجوان. زوجها معروف في الأبواب حين يجلس بين مشايخ الأرض، تصنع قمصاناً وتبيعهها وتعرض مناطق على الكنعاني. العز والبهاء لباسها وتضحك على الزمن الآتي.)^(١)

فالمراة كما يذكر النص سلعة تباع وتشتري، والمرأة الفاضلة بسبب فضلها يرتفع سعرها، مقياس هذا الفضل ينحصر في عملها المتواصل ليل نهار في خدمة زوجها وأسرته فهي تعد الطعام، تفلح الأرض وتزرعها، تخطط ثياب أسرتها، وحين يأتي المساء لا تترك للراحه بل تكمل ما بقي من

(١) الإصحاح الحادي والثلاثون، الفقرات: ١٠-٢٥.

عملها، الذي لا ينتهي ولو على ضوء خافت. أما زوجها فيكفيه فخره بزوجته الفاضلة في مجالس شيوخ بني إسرائيل، التي يتعدى عملها كل ذلك ليصل إلى العمل لكسب رزقه ورزق عياله. فهي تصنع الثياب وتعرضها للبيع، بل تذهب إلى الكنعانيين تعرض بضاعتها غير أبهة بما قد يصيبها على أيدي أعدائها، في وقت يجلس ذلك الزوج المفخم ذاكراً إياها بالخير مفتخراً بها لا يشغله شاغل في هذه الحياة، بل إن الزوجة الفاضلة عند بني إسرائيل، التي يصيبها كل ذلك تستقبل أيامها المقبلة ببشر وضحك غير مكترثة بما تحمله معها من هلاك وشقاء يفوق أيامها الماضية إذ أخذنا في الحساب التغيرات التي تجد في كيان الأسرة، والتي تؤدي إلى زيادة متطلبات أفرادها مع مرور الوقت.

وليس لإبنة حواء إذا عجزت عن تحمل هذه الأعباء الإنصاف عن زوجها، فالزواج في مفهوم الديانات اليهودية:

”قيد تكبل به المرأة لا يفكه سوى الرجل، فالمرأة التي دفع فيها المهر كالعبد الذي أشتري بالمال، كلاهما يعتقه سيده متى شاء بغير حساب بل إن نصوص التلمود تقرن بصريح العبارة طلاق المرأة بعنق العبد، فكلاهما جزآن لا يحتاجان سوى لإرادة منفردة هي مشيئة السيد“^(١).

٢- الملكية الخاصة:

تتظر اليهودية بكسير من التشكك في القدرة العقلية للمرأة، ومن ثم تتجه إلى الحجر على تصرفاتها المادية، أو على الأقل إلى تضيق دائرة هذه

(١) دكتور محمود عبد السمیع شعلان، نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام ج٢ ص٤٧١، نقلاً عن الدكتور ثروت أنيس الأسيوطي، نظام الأسرة بين الإقتصاد والدين في المجتمعات البدائية. بنو إسرائيل، ص٢٥٨-٢٥٩.

التصرفات مما يتاح لها من الملكية الخاصة التي تقل كثيرا عن ملكية الرجل في ضوء الأحكام الشرعية، فهي قبل أن تبلغ الثانية عشرة تحرم من الميراث وعلى الورثة القيام برعايتها إلى أن تبلغ هذه السن. أما إذا كانت أكبر من ذلك فلها سهم ولأخيها سهمان على أن يكون نصيب أخيها البكر أربعة أسهم. إن تحديد اليهود هذه السن ليتمكن جنس حواء من الحصول على الميراث لم يكن إعتباطاً، فهذه السن هي السن المكددة في شريعتهم لزواج البنت، ومن ثم فهناك احتمال قوي لانتقال ميراثها تلقائياً في سن الثانية عشرة إذا تم زواجها في هذا السن، وعلى هذا فإن ميراثها يخرج من ملكية أهلها إلى ملكية زوجها.

وقد تعرض الدكتور أحمد شلبي لهذا الموضوع قائلاً:

"المرأة المتزوجة كالقاصر والصبي المجنون، لا يجوز لها البيع ولا الشراء وينص الفكر اليهودي على أن جميع مال المرأة ملك لزوجها، وليس لها سوى ما فرض لها من مؤخر صداق في عقد الزواج تطالب به بعد موته أو عند الطلاق منه، وعلى هذا فكل ما دخلت به من مال، وكل ما تلتقطه وتكسبه من سعي وعمل، وكل ما يهدي إليها في عرسها، ملك لزوجها، يتصرف فيه كيف يشاء بدون معارض ولا منازع.

وبالنسبة لكثرة ماشوهد من وقوع الشقاق والفرقة بين الأزواج، فقد إستقر رأي السادة الأرباب على وجوب الأخذ بمشروع (وقف الزوجية) ومعنى وقف الزوجية أن توقف أموال الزوجة، ويصير الزوج قيماً عليها. ويستغلها، دون أن يبيعها أو يرهنها، فتصبح الزوجة بذلك مالكة لرغبة الأموال، والزوج مالكا لمنفعته، فإذا حصلت الفرقة عادت الثروة

للزوجة^(١).

فالمرأة في عرف اليهود في حكم القاصر دائماً، سواء كانت تحت سن الثانية عشرة أو تعدت هذه السن، فهي في كلتا الحالتين خاضعة خضوعاً تاماً لسيادة الرجل من الناحية المعنوية والمادية، وعليها أن تتقبل قدرها ولعنة أمها حواء التي انتقلت إليها بسبب الخطيئة الأولى دون أدنى اعتراض أو تذمر.

ثانياً: الشرائع المشتركة:

ويتمثل القسم الثالث في الأحكام المتعلقة بالموت، فقد كان لإيمان اليهود بالخطيئة الأولى أثر واضح على جوهرها، وهي من الأهمية بمكان بحيث لا يمكن تجاهلها أو التغاضي عنها. يمكن لنا أن نعبر عن هذا القسم بلعنة الموت، هذه اللعنة أصدرها ياهو - كما يحكي سفر التكوين - ضد آدم بعد المعصية، ومنه انتقلت إلى عامة البشر، فاليهود يعتقدون أن الموت آخر مرحلة من مراحل الحياة الإنسانية، فقد جاء في سفر التكوين عند الحديث عن الخطيئة الأولى: (حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها. لأنك تراب والي التراب تعود)^(٢)، لذا أصبح الموت مدار قلقهم وخوفهم مما دفعهم إلى إعتبار الجثة نجسة تنقل النجاسة بطريقة عجيبة، كما فرضوا لإزالة هذه النجاسة المفتعلة شروطاً قاسية.

وردت هذه النجاسة بتفاصيلها المعقدة في الإصحاح التاسع عشر من سفر العدد، والذي جاء فيه (وكلم الرب موسى وهارون قائلاً هذه فريضة الشريعة التي أمر بها الرب قائلاً. كلم بني إسرائيل أن يأخذوا إليك بقرة حمراء صحيحة لا عيب فيها ولم يعمل عليها نيراً فتعطونها لالعازار الكاهن فتخرج إلى خارج المحلة وتذبح قدامه. ويأخذ العازار الكاهن من دمها

(١) اليهودية، ص ٩٠٣.

(٢) سفر التكوين، الإصحاح الثالث، الفقرة: ١٩.

بأصبغه وينضح من دمها إلى جهة وجه خيمة الاجتماع سبع مرات. وتحرق البقرة أمام عينيه يحرق جلدها ولحمها ودمها مع فرثها. ويأخذ الكاهن خشب أرز وزوفا وفرمزا ويطحرنهن في وسط حريق البقرة ثم يغسل الكاهن ثيابه ويرحض جسده بماء وبعد ذلك يدخل المحلة ويكون الكاهن نجساً إلى المساء. والذي أحرقها يغسل ثيابه بماء ويرحض جسده بماء ويكون نجساً إلى المساء. ويجمع رجل طاهر رماد البقرة ويضعه خارج المحلة في مكان طاهر فتكون لجماعة بني إسرائيل في حفظ ماء نجاسة. إنها ذبيحة خطية والذي جمع رماد البقرة يغسل ثيابه ويكون نجساً إلى المساء. فتكون لبني إسرائيل وللغريب النازل في وسطهم فريضة دهرية.

من مس ميتاً ميتة إنسان ما يكون نجساً سبعة أيام. يتطهر به في اليوم الثالث وفي اليوم السابع يكون طاهراً.

وإن لم يتطهر في اليوم الثالث ففي اليوم السابع لا يكون طاهراً كل من مس ميتاً ميتة إنسان قد مات ولم يتطهر ينجس مسكناً الرب. فتقطع تلك النفس من إسرائيل. لأن ماء النجاسة لم يرش عليها تكون نجسة. نجاستها لم تزل فيها.

هذه هي الشريعة. إذا مات إنسان في خيمة فكل من دخل الخيمة وكل من كان في الخيمة يكون نجساً سبعة أيام. وكل إناء مفتوح ليس عليه سداد بعصابة فإنه نجس. وكل من مس على وجهه الصحراء قتيلاً بالسيف أو ميتاً أو عظم إنسان أو قبراً يكون نجساً سبعة أيام. فيأخذون للنجس من غبار حريق ذبيحة الخطية ويجعل عليه ماءً حياً في إناء. ويأخذ رجل زوفا ويغمسها في الماء وينضحه على الخيمة وعلى جميع الأمتعة وعلى الأنفس الذين كانوا هناك وعلى الذي مس العظم أو القتييل أو الميت أو القبر. ينضح الطاهر على النجس في اليوم الثالث واليوم السابع. ويطهره في اليوم السابع فيغسل ثيابه ويرحض بماء فيكون طاهراً في المساء.

أما الإنسان الذي يتنجس ولا يتطهر فتباد تلك النفس من بين الجماعة لأنه نجس لسبعة مقدس الرب. ماءً النجاسة لم يرش عليه. انه نجس. فتكون لهم فريضة دهرية. والذي رش ماء النجاسة يغسل ثيابه والذي مس ماء النجاسة يكون نجساً إلى المساء. وكل مامسه النجس يتنجس والنفس التي تمس تكون نجسة إلى المساء).

ونستخلص مما سبق أن اليهود يعتبرون من لامس جثة إنسان نجس لسبعة أيام عليه أن يتطهر في اليوم الثالث، أما إذا امتنع فيباد أو يقطع من إسرائيل لأنه يتسبب بنجاسته في تنجيس بيت الرب، ولانعلم كيف يكون حال من لامس جثة أمه أو أبيه أو زوجته أو ابنه. ولصعوبة الموقف نسي التطهر في اليوم الثالث للوفاة بسبب حزنه لفراق الأحبة لاسبب إهماله تطبيق هذه الشريعة، حال هذا الإنسان كحال غيره يبذ ويقطع من إسرائيل، وزيادة على ماسبق تجدهم يقررون نجاسة الخيمة التي توضع فيها الجثة ومن دخلها ومن فيها بل حكموا بنجاسة ما فيه من أوان تركت مفتوحة أو كانت عليها أغطية غير محكمة الإغلاق، أما إذا كان أحدهم سائراً في الصحراء ولامس عن طريق الخطأ جثة أو عظم إنسان أو حتى قبراً يصبح نجساً ولمدة سبعة أيام.

أما شروطهم لتحقيق الطهارة من نجاسة الموت فشاقة تصل إلى حد التعجيز إذ لا يمكنهم الحصول عليها دون رماد البقرة الحمراء^(١)، ولانعرف كيف يكون التطهر من مس الميت بتراب ميت المحرقة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى البقرة نفسها كانت نجسة، وقد تنجس ذابحها ومحرقتها، فكيف تحولت البقرة النجسة، إلى وسيلة لتطهير النجاسة، وأخيراً كيف تمنح البقرة الحمراء كل هذه البركات التي يحرم منها الإنسان الميت.

(١) راجع: George Bachanan Gray, Sacrifice in the old Testaments,

ولنا أن نتساءل أيضا إذا عدم البقر الأحمر عندهم، هل يعني ذلك الحكم عليهم بالإبادة. ألم يذكر النص أن الذي لا يتطهر برمادها يقطع ويباد من إسرائيل لأنه ينجس بيت الرب، لا بد أن اليهود المتدينين يحرصون كل الحرص على إمتلاك عدد لا يستهان به من البقر الأحمر. خشية أن يلامس أحدهم جسة دون قصد منه.

ومن خلال العرض السابق أستطيع أن أقرر أن هذه التشريعات بتفاصيلها المعقدة تشير وبوضوح إلى إيمان اليهود الثابت بنص الخطيئة الأولى الذي دفعهم إلى وضع تشريعات معينة تتفق مع إيمانهم بها، فيها مخالفة لفطرة الإنسان وسنن الحياة.

الباب الثاني

المسيحية والخطيئة الأولى

الفصل الأول : العقائد المسيحية المرتبطة بالخطيئة الأولى.

الفصل الثاني: الإنتم الفردي والغفران في تصور الكنيسة.

تمهيد

ورث النصارى عقيدة الخطيئة ضمن ماورثوه من عقائد العهد القديم وشرائعه، ولكن يبدو أن القلق الذي لابس هذه العقيدة قد سرى إلى عقول أبحار المسيحية، حيث اكتشفوا أن هذه العقيدة التي تأكدت من خلال نصوص العهد القديم لاتستند إلى أساس عقلي مقبول، وذلك في عصر بدأ العقل فيه يلعب دوراً مهماً في تقرير العقائد، ومن ثم بدأ علماء المسيحية يتلمسون مبررات القبول لهذه العقيدة التي أثقلت كاهل الإنسانية قروناً طوالاً حيث يشعر أبناء الجنس البشري أنهم محاصرون بهذه الخطيئة القدرية الموروثة التي لايد لهم فيها ولا مهرب لهم منها.

وقد انتهت جهود علماء المسيحية إلى إيجاد المخرج المنشود للإنسانية من قبضة الخطيئة الأولى بما قرروه من أن قتل المسيح وصلبه كان الفداء من هذه الخطيئة، وبالإضافة إلى ذلك فقد كان هذا المخرج يشكل هدفاً آخر من أهداف هؤلاء العلماء، وهو تحقيق عالمية المسيحية التي ذهب نبيها فداء للناس جميعاً على اختلاف أجناسهم وأديانهم وعصورهم.

ولكن إذا كانت الخطيئة الأولى على هذا النحو من الفداحة، وإذا كان أثرها بهذا المستوى من العموم، فمن المنطقي أن لا تكون شخصية الفادي شخصية عادية، بل ولا يكفي أن يكون الفادي مجرد نبي، فبقدر الخطيئة يكون الفداء، وبقدر الفداء تكون مكانة الفادي، ومن هنا ارتفع علماء النصارى بشخص المسيح عن منزلته الحقيقية إلى القول ببنوته لله عز وجل، وهكذا ظهر أثر الإيمان بالخطيئة الأولى واضحاً على ثلاث من العقائد الأساسية في المسيحية وهي:

- ١- بنوة المسيح لله.
- ٢- الفداء.
- ٣- عالمية المسيحية.

ثم لم يلبث علماء المسيحية أن اكتشفوا ضرورة الإبقاء على مبدأ الإثم الفردي الذي لا تشمله عقيدة الفداء العام، وحاولوا مع ذلك تحديد ما يتعلق به من وسائل التكفير.

وسأتناول هذه القضايا بمزيد من التفصيل، وبما يؤكد علاقتها القوية مع الإيمان بالخطيئة الأولى.

الفصل الأول

العقائد المسيحية المرتبطة بالخطيئة الأولى

المبحث الأول: بنوة المسيح لله.

المبحث الثاني: الفداء.

المبحث الثالث: عالمية المسيحية.

المبحث الأول

بنوة المسيح لله

يمكن الاعتقاد في بنوة المسيح ركيزة أساسية في الديانة المسيحية التي تسعى إلى ترسيخ القول أن عيسى، عليه السلام، ابن الله بنوة حقيقية تتطلب من معتقي المسيحية الإيمان بها إيماناً تاماً.

ونستطيع الوقوف على جوانب من مفهوم هذه القضية من خلال استعراض بعض أقوال علماء الديانة المسيحية مثل يوحنا الدمشقي الذي يقول: "نعترف بالمسيح وحده أنه ابن الله بعد التأسس أيضاً وأنه هو نفسه ابن الإنسان. مسيخ واحد ورب واحد، وحده الإبن الوحيد وكلمة الله يسوع ربنا..."^(١).

وكذلك الأب منير خوام الذي يوضح أن المسيح نفسه قال: "انه هو المسيح، والمخلص، وابن الإنسان السابق للوجود والأخروي... وابن الله في المعنى الحقيقي للكلمة"^(٢)، واعتماداً على المصادر المسيحية فإن هذه العقيدة غدت جزءاً من المسيحية في القرن الثاني الميلادي كما أكد على ذلك شارل جنيبير عندما ذكر أنه: "منذ القرن الثاني أصبح من المبادئ المعتمدة: أن عيسى هو ابن الله، ينتسب إليه نسبة مباشرة وان كانت من نوع خاص، ثم إنه أيضاً هو الله"^(٣).

(١) المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، عربيه الارشمندرت أدريانوس شـكـور، ص١٦٤.

(٢) المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية، ص٢٥٠.

(٣) المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود، ص١٥٧.

وقد تأصل هذا الاعتقاد عقب انعقاد مجمع^(١) نيقية تحت رعاية القيصر قسطنطين إمبراطور الدولة الرومانية الذي قيل إنه كان وثنيا أصلاً وأزمع الدخول في الديانة النصرانية، وفرضها على الشعوب المغلوبة على أمرها في تلك الدولة، فرأى ألا تتعارض عقيدة النصرانية المزمع تطبيقها مع أصول معتقداته الوثنية^(٢).

وقد نتج عن هذا المجمع قانون أطلق عليه قانون الإيمان، والتسيحة وهو قانون لا يختلف حوله المؤرخون، وكذا علماء الأديان على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم^(٣). ويتضمن هذا القانون نصوصاً رسخت هذه العقيدة، نقتبس بعضها فيما يأتي:

(١) المجمع: المفهوم: المجمع هي اجتماعات تتألف قبل كل شيء من الأساقفة... لأخذ بعض القرارات وتطبيقها.

في المجمع المحليه... كان الأساقفة يمثلون كنائسهم المحلية. أما الاجتماع الذي يدعو إليه ويديره ويثبته البابا ويجمع ممثلين عن الكنيسة كلها يدعى جمعا مسكونيا. عندما يتحاورون ويقررون مع البابا، وتحت إدارته، يمارسون، حسب التعليم الكاثوليكي والحق القانوني... سلطة الكنيسة العليا، وعندما يتبنى المجمع تحديدا رسمياً، فإن لهم إذ ذاك العصمة في مادة الإيمان، معجم اللاهوت الكاثوليكي. مادة المجمع.

(٢) المستشار محمد عزت الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان - حقائق ووثائق -، ص ١٤٨.

(٣) القس إلياس مقار، إيماني، ص ٦٥-٦٦. راجع أيضاً: الدكتور علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص ١٢٧-١٢٨. والدكتور أحمد شلبي، المسيحية ص ١٤٤-١٤٥، والدكتور داود علي الفاضلي، أصول الديانة المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، ص ٢٣٧.

تؤمن بإله واحد أب ضابط الكل، خالق كل الأشياء. ما يرى
 ومالا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح. ابن الله. المولود
 من الأب، المولود الوحيد، أي من جوهر الآب، إله من إله،
 نور من نور، إله حق من إله حق، مولود وغير مخلوق،
 مساو للآب في الجوهر الذي به كان كل شيء في السماء
 وعلى الأرض... وأما الذين يقولون إنه كان زمان ولم يوجد
 فيه، وإنه لم يكن له وجود قبل أن يولد، وأنه خلق من
 العدم، أو إنه من مادة وجوهر آخر. أو أن ابن الله مخلوق
 أو أنه قابل للتغير أو متغير، فهم ملعونون في الكنيسة
 الجامعة الرسولية^(١).

ونتيجة لما ورد في هذا القانون أصبح عيسى، عليه السلام، في اعتقاد
 النصارى ابن الله يتساوى معه في الجوهر، وبالتالي فإن عدم الإيمان بهذا
 المعتقد - عندهم - يؤدي إلى الكفر.

أما ركيزة الأخذ بهذا القانون عند النصارى فيوضحها القس إلياس
 مقار الذي يرى أنها:

(١) القس إلياس مقار، إيماني، ص ٦٥-٦٦. راجع أيضاً: محمد عبد الله بن الترجمان
 الميروقي، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، دراسة وتعليق عمر وفيق
 الداغوق، ص ١٧٥. وأبا الفضل المالكي المسعودي، الجليل في تخجيل من حرف
 الإنجيل، ص ٥٦. والدكتور داود علي الفاضلي، أصول الديانة المسيحية كما
 يصورها القرآن الكريم، ص ٢٣٧. والدكتور أحمد شلبي، المسيحية، ص ١٤٤.
 والدكتور علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام،
 ص ١٢٧-١٢٨. والشيخ محمد أبو زهره، محاضرات في النصرانية، ص ١٥٤.
 والشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر آل معمر، كتاب منحة القريب المجيب في الرد
 على عباد الصليب، ص ٢٤-٢٥.

"تتمشى في رحاب الكتاب المقدس من مطالعه إلى نهايته ومع أن الكتاب لم يضع لها الصورة اللاهوتية المحددة التي انتهت إليها الأجيال. إلا أنه رسم الخطوط الواضحة الصريحة الأكيدة التي تكونت منها هذه الصورة"^(١).

مفهوم البنوة ودالاتها في العهد الجديد

إن من المهم لمن يرغب في تتبع أصول الديانة المسيحية الإستعانة بالمصادر والمراجع، التي يرى فيها معتقو المسيحية الركيزة الأساسية التي يمكن للمسيحي اعتبارها من الأسس التي أدت إلى اتخاذ هذا القانون بشكل عام، أو إلى فرض عقيدة بنوة المسيح لله بشكل خاص على أتباع الديانة المسيحية.

وعند الرجوع إلى تلك المصادر نجد الإشارات فيها إلى هذه العقيدة قليلة جداً، مما يتعارض مع الأهمية التي يوليها النصارى لهذه العقيدة، وسأعرض فيما يأتي أهم النصوص التي يبدو من ظاهرها تقرير هذه البنوة.

١- فمن ذلك ماجاء في إنجيل متى الإصحاح السابع عشر منه، على لسان الإله (هذا هو ابني الحبيب الذي سررت به. له اسمعوا.)^(٢).

٢- وما ورد في إنجيل متى عند الحديث عن محاكمة عيسى، عليه السلام، على يد رئيس الكهنة، والذي وجه إليه استفساراً جاء فيه: (أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله. قال له يسوع أنت قلت وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين

(١) إيماني، ص ٦٠. راجع أيضاً: الدكتور أحمد شلبي، المسيحية، ص ١٢٦.

(٢) الفقرة ٥.

القوة وآتياً على سحب السماء^(١).

٣- ماجاء في إنجيل لوقا عن الأحداث التي سبقت ولادة المسيح، عليه السلام، بقوله (فأجاب الملاك قال لها -أي كمريم- الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك أيضاً القدوس المولود منك يدعي ابن الله).^(٢).

٤- وكذلك النص الذي ورد في إنجيل يوحنا الإصحاح الخامس منه وهو (من لا يكرم الإبن لا يكرم الأب الذي أرسله. الحق الحق أقول لكم من سمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية).^(٣).

٥- كما ورد في الإنجيل نفسه (أنا والأب واحد)^(٤)، هذه جملة من النصوص الإنجيلية التي بنى عليها النصارى اعتقادهم ببنوة المسيح لله بنوة حقيقية، وقد حاول شراح الأناجيل تأكيد هذه العقيدة بالتعليق على مضمونها محاولة منهم التوفيق بينها وبين قانون الإيمان، ومن ذلك ماقاله بعضهم تفسيراً للبنوة المشار إليها في النصوص السابقة وأمثالها أن "ابن الله: لقب من ألقاب المسيح... يدل على شرف طبيعته ووظيفته... وقد تكررت هذه الشهادة لبنوة المسيح"^(٥)، إن تكرار إستخدام الأناجيل لهذا التعبير يدل من وجهة نظر المفسر على شرف طبيعة المسيح وألوهيته فهو إله من إله.

(١) الإصحاح السادس والعشرون، الفقرتان: ٦٣ و٦٤. راجع أيضاً: إنجيل مرقس، الإصحاح الرابع عشر، الفقرتان: ٦١ و٦٢. وإنجيل لوقا، الإصحاح الثاني والعشرون، الفقرات ٦٧-٧٠.

(٢) الإصحاح الأول: الفقرة: ٣٥.

(٣) الفقرتان: ٢٣ و٢٤.

(٤) الإصحاح العاشر، الفقرة: ٣٠.

(٥) تفسير العهد الجديد، ص ٦-٧.

دحض عقيدة البنوة:

وعقب عرض ماجاء من أقوال وآراء حول عقيدة البنوة في المصادر المسيحية، ستكون المحاولة هنا التعرف على دلالات البنوة من وجهة نظر أخرى للنصرانية، ففي الكتاب المقدس بعهديه نجد أن لفظ "البنوة لله" استخدم بمفهوم عام فكل تقي وبر يطلق عليه عند ذلك "ابن الله"^(١)، وتقرر دائرة المعارف الكتابية أن اللقب ابن الله يحمل عدة مفاهيم، فهو:

- ١- يطلق على الملائكة كما جاء في سفر أيوب منه (جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب) ٦:١. وسموا بذلك لأنهم خلائق من صنع يدي الله، أو لأنهم كائنات روحية قريبة الشبه بالله الذي هو الروح.
- ٢- فأطلق على الأمة اليهودية، حيث يقول الرب لفرعون في سفر الخروج. (إسرائيل [كجماعة بني] ابني البكر) خر ٤:٢٢، والسبب هو أن إسرائيل كان موضع اختيار الله الذي هو الروح.
- ٣- وأطلق على ملوك إسرائيل كمثلين للأمة المختارة، فيقول الرب عن سليمان: (وأنا أكون له أباً ويكون لي ابناً) ٢ص ٧:١٤.
- ٤- كما أطلق اللقب في العهد الجديد على جميع القديسين (بما أنكم أبناء) غل ٦:٤ (أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه) يوا ١:١٢.^(٢)

(١) راجع: محمد تقي الدين الهالبي، البراهين الإنجيلية على أن عيسى، عليه السلام، داخل في العبودية ولاحظ له في الألوهية، ص ٦.

(٢) مادة ابن الله. بتصريف بسيط. راجع أيضاً: ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج ٣ ص ١٩٦-١٩٩. والدكتور أحمد حجازي السقا، أقانيم النصراني، ص ٢٣. والدكتور محمد تقي الدين الهالبي، البراهين الإنجيلية على أن عيسى، عليه السلام، داخل في العبودية ولاحظ له في الألوهية، ص ٦.

ونلاحظ مما سبق أن استخدام اللفظ كما في الكتاب المقدس كان استخداماً مجازياً لايعني البنوة بمفهومها البشري، غير أن مفسري النصوص من النصارى هم الذين حوروا معناه المجازي إلى معنى حقيقي فقرروا بنوة المسيح لله.

ومن هذا المنطلق بالإمكان القول: إن النصوص الإنجيلية السابقة وأمثالها والتي اعتمد النصارى عليها في تثبيت اعتقادهم ببنوة المسيح لله فيها نظر، وبالإضافة إلى احتوائها على معاني تصريفها إلى المعنى المجازي لتتفي بذلك فكرة بنوته الحقيقية، وتؤكد بشريته وهو ماسيظهر فيما يلي:

النص الأول الذي يعبر فيه الإله عن سروره بآبنة، فيقول فيه (له اسمعوا) فلو كان المسيح ابناً لله مساوياً له في الجوهر، إله من إله، لكان الأجدر أن يقول عند حديثه إلى عباده عن إبنه الإله (اسجدوا لله) أو (اعبدوه) ولو في موضع واحد في الأناجيل، وهو مالم يرد مطلقاً، فأمره سبحانه لخلقته بالإستماع إلى عيسى بدل الأمر بعبادته، يعد تقريراً لنبوته وليس بنوته، فالعقل السليم يفرق بين واجب العباد تجاه الله الخالق المدبر، وبين واجبه تجاه أنبياءهم، فهو في الحالة الأولى عليهم أن يوجهوا العبادة والتغديس لخالقهم، أما في الحالة الثانية فعليهم الإستماع لأنبيائهم وتنفيذ شرع الله الذي يوحيه إليهم ليبلغوه للناس، وعلى هذا فالبنوة المشار إليها في النص بنوة مجازية، القصد منها تكريم عيسى، عليه السلام، وتعظيم شأنه، وهو استخدام ليس بقريب في الكتاب المقدس كما ظهر سابقاً.

أما النص الثاني فهو الذي يتحدث عن محاكمة عيسى^(١)، عليه السلام،

(١) أقر أني هنا لأضع نفسي موضع الإنكار لهذه المحاكمة أو تقريرها، إذ أن غايتي مناقشة المسيحيين المؤمنين بهذا النص مناقشة موضوعية دون تعصب، ولو كان تعصب للحق الذي لا بد أن أفك لجامه في موضعه من هذه الدراسة -إن شاء الله-

فإننا نجد فيه استفسار رئيس الكهنة من عيسى عن حقيقة كونه "عليه السلام" ابن الله، فأجابته المسيح أنت قلت، إن قراءة النص من قبل غير متخصص غير ملم بالاسلوب المستخدم في صياغة الكتاب المقدس، سوف يدفع بصاحبه إلى الاعتقاد أن البنوة المقصودة فيه بنوة حقيقية. ولكن الأمر يختلف عند الباحث الذي يتحرر الحقيقة، الذي يجب عليه أن يتذكر أن رئيس الكهنة هذا يعد قمم العلم بأسرار اليهودية ومضامينها، وعليه أيضا أن يتذكر أن الطرف الثاني في المحاكمة هو عيسى، عليه السلام، الذي شهد له علماء اليهود بالعلم وقوة الحجة وهو لم يتعدى بعد الثانية عشرة، يدل على ذلك أنه عندما بلغ هذه السن قام مع أسرته بزيارة للقدس في عيد الفصح كعادتهم كل عام، وهناك افتتحت أسرته لتجده بعد ذلك جالسا في الهيكل يحاور المعلمين، ويقدم الحجة عليهم^(١).

تقد كان الحوار في تلك المحاكمة بين رجلين معروفين بعلمهما بالكتاب المقدس. ومن الطبيعي أن يستخدم في المصطلحات الواردة في هذا الكتاب، فرئيس الكهنة يدرك معنى البنوة المجازية لله، التي تعني قدرا عظيما عنده - سبحانه - واستفساره ذلك كان الغرض منه معرفة حقيقة دعوى عيسى - عليه السلام - فهل يدعي مكانة عظيمة عنده - تعالى - تؤهله للقول بالبنوة المجازية لله، فما كان من عيسى - عليه السلام - إلا أن رد بالإيجاب، ويدعم هذا التفسير في أن البنوة هي مجازية لاحقيقية، ما يقرره عيسى - عليه السلام -

(١) ورد في إنجيل لوقا، الإصحاح الثاني (ولما كانت له اثنتى عشرة سنة صعدوا إلى اورشليم كعادة العيد، وبعد ما أكملوا الأيام بقي عند رجوعهما الصبي يسوع في اورشليم ويوسف وأمه لم يعلما، وإذ ظناه بين الرفقة ذهب مسيرة يوم وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف. ولما لم يجدها رجعا إلى اورشليم يضبانه. وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل جالسا في وسط المعلمين يسمعون ويسألهم. فكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته)، الفقرات: ٤٢-٤٧.

عن نفسه في النص السابق حيث يقول: (وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحب السماء)^(١).

والذي يهمننا هنا من هذه الإضافة أنها تتمثل في قوله عن نفسه (ابن الإنسان) لأنها تثبت أن البنوة المعنية هنا بنوة مجازية بدليل أنها جاءت تالية للنص السابق، وكأنما أراد منها منع تفسير تلك البنوة بالمعنى الحقيقي، وليضعها في نطاق التكريم والتعظيم شأنه -عليه السلام- عند الله -سبحانه وتعالى-.

وقد يرد علينا بعض علماء الديانة المسيحية بأن في قوله (ابن الإنسان) دلالة على تواضع المسيح وإشارة إلى ناسوته، أو إلى غير ذلك من الأمور التي تبتعد به -عليه السلام- كل البعد عن كونه بشراً رسولاً، وهذا البعض أشار إليه قاموس الكتاب المقدس، الذي يبين أمراً طريفاً عند حديثه عن هذا اللقب إذ قال "يوجد في الأربعة الأناجيل ثمانية وسبعون مثلاً يستخدم فيها يسوع هذه العبارة (ابن الإنسان) عن نفسه."^(٢)

وهذا الحصر وإن كان قائماً على تكرار الموجود في الأناجيل الأربعة إلا أن كثرة وروده على لسان المسيح، -عليه السلام- وكثرة تردده على السنة كتاب الأناجيل، على صغر حجمها مقارنة بالعهد القديم، بل مقارنة ببقية العهد الجديد، يوحي بوجود تناقض في اعتماد هذه العقيدة، إذ كيف يكون عيسى، -عليه السلام- ابن الله، إله من إله -على حسب معتقد النصارى- في حين يعترف علماؤهم بأنه -عليه السلام- كرر على لسانه أنه بشر ابن بشر.

(١) إنجيل متى، الإصحاح السادس والعشرين الفقرة: ٦٤. راجع أيضاً: إنجيل مرقس الإصحاح الرابع عشر، الفقرة: ٦٢. وإنجيل لوقا، الإصحاح الثاني والعشرون، الفقرة

(٢) قاموس الكتاب المقدس، مادة ابن الإنسان.

وفي محاولة من بعض المصادر لتعليم كثرة هذا الإستخدام جاء أنه
"ربما استخدم المسيح هذه العبارة كثيراً لأن فيها دلالة على أنه المسيا* وهي
في نفس الوقت تصلح في الإشارة إلى حياته المتوضعة على الأرض
كالإنسان الكامل"^(١).

ومن السهل القول إن هذا التعليل ضعيف بل متهافت، فهل يعقل أن
يستخدم المسيح هذا الوصف بهذه الكثرة الغريبة لتقرير تواضعه، أو الإشارة
إلى كونه المسيا؟ ثم لماذا لم يشر إلى كونه المسيا مباشرة، إذا كان هذا
هدفهم؟.

والواقع أن أصحاب القاموس لما وجدوا أنفسهم في موقف حرج نتيجة
التناقض بين وصف الأناجيل للمسيح - عليه السلام - بأنه "ابن الله"، ثم وصفها
له بأنه "ابن الإنسان"، وتكرار هذا الوصف كثيراً، مما يتناقض مع إحدى
العقائد الأساسية المشار إليها، حاولوا الخروج برأي توفيقى في هذا التناقض،
وهم لذلك يذكرون كل ما يخطر على بالهم كوجه من وجوه الحل، ولكن حين
نفكر قليلاً فيما انتهوا إليه نشعر أن محاولتهم في هذا السبيل ليست على
المستوى المناسب، فهم مثلاً يرون أن المسيح استخدم عبارة "ابن الإنسان"
ليعبر عن حياته الكاملة في الأرض، فإذا رجعنا إلى نص المحاكمة التي

* المسيا أو المسيح، وهي حرفياً تعني الممسوح، أي الذي مسح بزيت مقدس إشارة إلى
أنه قد أفرز أو خصص، لخدمة الله. وقد أطلق اليهود هذا الإسم، "المسيا" أو "المسيح"،
على المخلص الذي كانوا يؤمنون بأن الله سوف يرسله لكي يرد الملك للأمة، ويؤسس
ملكوت الله على الأرض، والصيغة العبرية للإسم "المسيا" قريبة جداً من الصيغة
العربية له "المسيح" بل إنها شبيهة بها تماماً في المعنى، نقل عن الأسقف دافيد براون،
هل صلب المسيح، نقله إلى العربية جاد المنفلوطي، ص ١٢-١٣.

(١) قاموس الكتاب المقدس، مادة ابن الإنسان.

استخدمت فيه هذه العبارة وجدنا إشارة واضحة إلى أنه ابن إنسان، حتى بعد تجاوز الحياة الأرضية، فهو، عليه السلام، يقول -كما ينسب إليه إنجيل متى- (الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء)^(١).

والذي يظهر لنا أن أصحاب قاموس الكتاب المقدس خطرت لعقولهم كل الاحتمالات حتى البعيد منها حول المراد من استخدامه لهذا الوصف، وبهذه الكيفية، ماعدا مايتبادر إلى ذهن كل مفكر باحث عن الحقيقة، ألا وهو رغبته -عليه السلام- في تقرير نبوته وبنوته المجازية لله، وتشبث ذلك في عقول أتباعه، فهو لا يعدو أن يكون نبيا من المقربين.

وأوردت دائرة المعارف الكتابية عرضاً مطولاً عن كثرة استخدام ابن الإنسان في الأناجيل، محاولة منها على ما يبدو للرد على تساؤل القارئ المسيحي المفكر للعهد الجديد، الذي لاشك أنه سيتوقف كثيراً عند هذا الوصف، ومما جاء في ذلك العرض:

" كان الرب يسوع يحب كثيراً أن يطلق على نفسه هذا اللقب، كما يتضح من الأناجيل، فيذكر في متى أكثر من ثلاثين مرة، ويذكر في مرقس خمس عشرة مرة. وفي لوقا خمساً وعشرين مرة، وفي يوحنا اثنتي عشرة مرة. وفي جميع هذه الحالات كان يسوع هو الذي يطلق على نفسه هذا اللقب، ماعدا في حالة واحدة حين سأله الجمع الواقف على ما يقصد بعبارة (ابن الإنسان) قائلين: (من هو هذا ابن الإنسان؟) (يو ١٢: ٣٤)^(٢).

(١) الإصحاح السادس والعشرون، الفقرة: ٦٤.

(٢) دائرة المعارف الكتابية، مادة ابن الإنسان.

أما تعليل استخدامه - عليه السلام - هذا التعبير بهذه الكثرة، وما يقصده من وراء ذلك فإن دائرة المعارف تذهب إلى القول إنه:

"يبدو لأول وهلة أن هذا اللقب تعبير قوي عن العنصر البشري في شخص ربنا يسوع المسيح، كما أن (ابن الله) يشير إلى العنصر الإلهي. هذا هو الظن الغالب والشائع بين الناس.."^(١).

أما لماذا استخدم المسيح هذا اللقب فتقول: "إن استخدام المسيح للقب (ابن الإنسان) في الإشارة إلى شخصه، يدل على بعض المميزات الهامة في طبيعته كإله كامل وإنسان كامل."^(٢).
ومن هذه المميزات قولهم:

"إن لقب (ابن الإنسان) يتضمن أنه (المسيا) ولكنه تجنب استخدام الأسماء المباشرة للمسيا، وذلك لأن المعاصرين له من اليهود لم يكونوا على استعداد لقبول إعلانه ذلك، ولكنه في كل مراحل خدمته لم يتردد في استخدام لقب (ابن الإنسان) الذي كان يعني عنده الكثير، كما أنه - ولا شك - كان يعني الكثير أيضا لأتباعه المقربين، إلا أنه لم يحمل أي دلالة عن المسيا لعامة الشعب، ويتضح هذا من الحيرة التي أظهرها المستمعون إليه، لسؤالهم: (من هو هذا ابن الإنسان؟) (يو ١٢: ٣٤)"^(٣).

(١) دائرة المعارف الكتابية، مادة ابن الإنسان.

(٢) المرجع نفسه والمادة نفسها.

(٣) المرجع نفسه والمادة نفسها. راجع أيضا: لجماعة من اللاهوتيين المسيحيين برئاسة

عبد الفادي القاهراني، رب المجد ص ٣٣١-٣٣٤.

هذا جزء يسير من تعليل دائرة المعارف الكتابية لهذا الاستخدام والذي سأكتفي به لعدم جدوى ذكره كاملاً فهو تعليل يدور في الدائرة نفسها ليصل إلى نقطة البدء.

ويلاحظ مما سبق وجود اتفاق واضح بين ماورد في هذه الدائرة وقاموس الكتاب المقدس حول كثرة استخدام المسيح لهذا الوصف. وإن كانت دائرة المعارف الكتابية أشارت إلى أن هذه الكثرة تدل على حبه - عليه السلام - له أما اختلاف الكتّابين حول عدد المرات الذي استخدمه فيها، عليه السلام، فأمر لا يعنيننا هنا، فالمهم هو إقرارهما لهذه الكثرة بحيث لم يكن بالإمكان تجاهلها، مما جعلهما يخصصان للحديث عن أسبابها، وتفسيرها، وتعليلها، قدراً لا يستهان به من الجهد والاهتمام محافظةً منهما فيما يبدو على المتوارث من العقائد المسيحية التي تتعارض مع هذا الاستخدام.

ولكن الذي يعنيننا أيضاً من عبارات دائرة المعارف الكتابية، هو خلوها من إيراد جواب عيسى، عليه السلام، للجمع الذي سأله عما يقصد بعبارة "ابن الإنسان". إذ اكتفت بالإشارة إلى السؤال دون الجواب، وحرصاً على تقصي الحقيقة رجعت إلى إنجيل يوحنا للوقوف على النص المشار إليه المتعلق بسؤال الجمع لعيسى، عليه السلام، عما يقصده بهذا الوصف، فوجدته كالاتي:

(من هو هذا - ابن الإنسان - فقال لهم يسوع النور معكم زمناً قليلاً بعد. فسيروا مادام لكم النور لئلا يدرككم الظلام. والذي يسير في الظلام لا يعلم إلى أين ذهب مادام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور.)^(١)

ويتبين لنا من تكملة النص السبب وراء عدم ذكر دائرة المعارف الكتابية له كاملاً، فقد جاء جواب عيسى - عليه السلام - إلى الجمع ليؤكد أنه

(١) الإصحاح الثاني عشر، الفقرات: ٣٤:٣٦.

بشر له نهاية فهو يقول: (النور معكم زماتا قليلا) فإن كان معهم الآن إلا أنه لن يكون معهم دائما، وهو بهذا يقرر فناءه وعدم ألوهيته، وبالتالي عدم بنوته بنوة حقيقية لله، وفي هذا رد على قانون الإيمان الذي ورد فيه (وأما الذين يقولون إنه كان زمان لم يوجد فيه، وإنه لم يكن له وجود قبل أن يولد، وإنه خلق من العدم، أو أنه من مادة أو جوهر آخر، أو إن ابن الله مخلوق، أو إنه قابل للتغيير أو متغير، فهم ملعونون من الكنيسة الجامعة الرسولية)^(١).

أما قوله -عليه السلام- للجمع (مادام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور)^(٢). ففيه وصفه -عليه السلام- للمسيحيين المؤمنين بـ (أبناء النور)، ولنا أن نتساءل لم استخدم المسيح -عليه السلام- في حديثه إليهم هذا الوصف؟ فإذا كان هو إلها من جوهر إله، كما يقرر قانون الإيمان والتسيحة فلماذا لم يشر إلى مكانته عنده كعبيد، كأن يقول مثلا: (تصيروا عبادي المقربين) -سبحانه وتعالى عما يشركون- بدل قوله: (لتصيروا أبناء النور)^(٣). وإذا قيل لنا أن استخدامه للبنوة هنا جاء بالمعنى المجازي للدلالة على عظم مكانتهم عنده، قلنا نحن نوافقكم في الرأي على أن هذا الاستخدام دل على عظم مكانتهم عنده، ولكن كأتباع متقين لأكعباد، فهم مكرمون عنده لاتباعهم نور الحق الذي جاء به -عليه السلام- من ربه الله ليبلغهم به، ولنا أن نقول أيضا إن إقراركم أن تعظيم الشأن هو المقصود من وراء استخدام عيسى -عليه السلام- لهذا اللفظ بالمعنى المجازي هنا، يلزمكم بالتالي إقرار استخدام -عليه السلام- لهذا اللفظ بالمعنى المجازي عند حديثه عن بنوته لله، فغرضه من ذلك الإشارة إلى عظم مكانته -عليه السلام- عنده سبحانه، فهو كما سبق

(١) القس إنياس مقار، إيماني، ص ٦٦.

(٢) إنجيل يوحنا، الإصحاح الثاني عشر، الفقرة: ٣٦.

(٣) الإصحاح نفسه.

وأن أشرت لا يعدو كونه نبيا من المقربين.

ولأعتقد أن دائرة المعارف الكتابية لم تذكر النص كاملا لعدم استيعابها المراد، بل إن ذلك كان بسبب رفضها له وتمسكها بمعطيات دينها الذي أقره القساوسة، وفيه أن عيسى ابن الله مساو له في الجوهر، بل من المؤكد أن جواب عيسى - عليه السلام - لو كان إقرارا لهذه الألوهية والبنوة لذكرته دائرة المعارف الكتابية، بل لكتبته بخط عريض، وبما أن جواب عيسى، - عليه السلام - لم يكن مرضيا لهم وهم الذين يؤمنون ببنوته لله بنوة حقيقية، عمد كتاب الدائرة إلى تجاهل مضمونه، وكأنه لا يعينهم في شيء.

أما تعليلهم استخدام عيسى - عليه السلام - له متضمنا أنه "المسيا" فإنهم يرون أنه لم يصرح به لفظاً لأن اليهود لم يكونوا على استعداد لقبول إعلانه، فتعليل ضعيف لأنه يوحي بأنه لم يلجأ إلى ذلك مراعاة لعدم تقبلهم لأن يكون كذلك، وبالتالي أخفى حقيقة كونه "المسيا" مستخدماً لفظ "ابن الإنسان" الذي يعنيه ضمناً، في حين نجد القساوسة يذكرون أنه أعلن أنه ابن الله بنوة حقيقية مساو لله في الجوهر إليها من إله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - فهل يعقل أن يكتف كونه "المسيا" مستخدماً تعبيراً غامضاً مراعاة لليهود، في حين يقرر كما يذكر أكثر علماء الديانة المسيحية بنوته الحقيقية لله ومن ثم الوهيته، فإذا كان اليهود غير مستعدين لسماع أنه "المسيا" الذي بشروا به فهل كانوا على استعداد لسماع أنه "ابن الله" مشارك لله في الألوهية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجدهم قرروا أهمية لفظ "ابن الإنسان" له، عليه السلام، وللمقربين إليه، ومع هذا نجدهم يقولون أنه لفظ لا يحمل للشعب أي دلالة على أنه (المسيا)، أفلا يؤكد كل ذلك أن استخدام المسيح لـ "ابن الإنسان" بهذه الكثرة كان الغرض منها إقرار بشريته، عليه السلام، والإشارة إلى أنه نبي لله على الحقيقة.

أعود للرد على أدلة النصارى فأذكر لوقا الذي^(١) تحدث عن الأحداث السابقة لولادة المسيح -عليه السلام- والذي تضمن الإشارة إلى دعوته بـ (ابن الله).

الظاهر من عبارات هذا النص أن القصد من وراء هذه التسمية إدخال الطمأنينة في نفس مريم التي ابتليت بإنجابها طفلاً دون زواج، فأراد الله أن يظهر لها بهذه التسمية عظيم شأن هذا المولود وأنه المقرب من الله المعظم عنده -سبحانه-.

أما نص إنجيل يوحنا^(٢)، الذي قرر أن من أركان الإيمان المسيحي إكرام الابن كإكرام الأب، فهو نص يخلو من إي إشارة مباشرة أو غير مباشرة إلى البنوة بمعناها الحقيقي، لأمرين:

أولهما: التأكيد على أن إكرام الأنبياء هو ركن من أركان الإيمان في جميع الأديان السماوية، وهو أمر لا يخص المسيحية دون غيرها ليفسر بالبنوة الحقيقية لله.

وأخرهما: أن قراءة النص كاملاً تصرف البنوة عن معناها الحقيقي لتضعها في المعنى المجازي، فقد صرح النص على لسان عيسى. عليه السلام، أنه رسول مرسل وذلك في قوله: (الحق الحق أقول لكم من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية)^(٣).

فقد قرر أن طريق النداء والحياة السعيدة في اليوم الآخر هو الإيمان والاستماع لكلامه الذي أرسل به، وهو توجيه لرسالته وبشريته، ولكن النص الأخير الذي أشرت إليه عند الحديث عن استدلال النصارى بالبنوة فهو مدار

(١) راجع: إنجيل لوقا. الإصحاح الأول، الفقرة: ٣٥.

(٢) راجع: الإصحاح الخامس، الفقرتان: ٢٣ و٢٤.

(٣) إنجيل يوحنا، الإصحاح الخامس، الفقرة: ٢٤.

خلاف علماءهم، فالنص يتحدث عن الوحدة بين الأب والابن، وعن تحديد مفهوم هذه الوحدة اختلف مفسرو العهد الجديد، فقال بعضهم: " ليس في وحدة الإرادة، وتوافقها فحسب، ولكن في وحدة الطبيعة الإلهية"^(١)، في حين قال البعض الآخر: "لايحدد البشير طبيعة الوحدة بين الأب والابن"^(٢)، والواقع أن الباحث عند قراءته للنص كاملاً يجده أبعد ما يكون عن المفهوم المسيحي بالوحدة المؤدية إلى القول بالبنوة الحقيقية لله، وإلى القول أن عيسى عليه السلام، إله من إله. فمجرد النظر إلى النص كاملاً يظهر الاستدلال على بشرية عيسى، عليه السلام، وعجزه، وحاجته إلى عون الله، فالنص يتحدث عن أن اليهود أحاطوا بعيسى قائلين له (وإلى متى تعلق أنفسنا إن كنت أن المسيح فقل لنا جهراً. أجاوبهم يسوع إني قلت لكم ولستم تؤمنون. الأعمال التي أنا أعملها بإسم أبي تشهد لي. ولكنكم لستم تؤمنون لأنكم لستم من خرافي كما قلت لكم. خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني. وأنا أعطيتها حياة أبدية ولم تهلك إلى الأبد. ولايخطفها أحد من يدي -أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل ولايقدر أحد أن يقطف من يد أبي أنا والأب واحد. فتناول اليهود أيضا حجارة ليرجموه.^(٣)

ويتضح لنا من تكملة النص أن الله سبحانه هو الذي أمد عيسى، -عليه السلام- بالمعجزات، وهو سببها، ولن يتمكن أحد من أخذها أو منعها، ليقدر بعض ذلك عظمة الله وعلوه على الكل، وإقراره هذا يفسر المراد من قوله أنه والأب واحد، فهو والأب واحد في إطار إرادته سبحانه، مع وجود

(١) ويسلي كلارك متى هنري وغيرهم، تفسير بشارة يوحنا، نقله إلى العربية الدكتور

عزت زكي، ص ١٨٤.

(٢) تفسير الكتاب المقدس، ج ٥، ص ٢٧٣.

(٣) إنجيل يوحنا، الإصحاح العاشر، الفقرات: ٢٤-٣١.

فارق بينهما يتضح في كون الخالق ذو إرادة عليا، وأن عيسى رسول مبلغ شرع الله لعباده منفذ لأوامره مؤيد بالمعجزات من قبله، وهكذا نجد أن معنى الابوة مجازي كمعنى البنوة، كما سبق بيانه.

أما تناول اليهود الحجارة ليرجموه، فليس لأنهم اعتقدوا أنه - عليه السلام - قصد بكلامه ذلك ألوهيته، وأنه إله من إله، بل لما اعتلج في نفوسهم من حسد، ولرفضهم الاعتراف بنبوته وفضله ومكانته عند الله، ويؤكد ذلك قتلهم وايدأؤهم للأنبياء كما هو معروف ومقرر في كتبهم المقدسة. ثم إنني من خلال محاولاتي الوصول إلى نصوص تتحدث عن هذه البنوة في سفر الأعمال، وجدت أن اصحاحاته الأولى خالية من وصف المسيح ببنوته لله، وهو أمر مثير للغاية، خصوصا إذا ما تذكرنا أن النصارى تنسبه إلى لوقا الحواري كاتب الإنجيل الثالث، إذ كيف يمكن لهذا الحواري المقرب من عيسى - عليه السلام - ابن الله - على حسب زعمهم - أن يهمل هذه العقيدة الأساسية المهمة في سفره هذا، في حين يؤكد النصارى أنه تعرض لإثباتها في إنجيله، وفي ذلك تناقض واضح، ينم عن تزعزع الأساس الذي بني عليه هذا المعتقد، لما أهمل لوقا ذكرها بل حرصا منه على تثبيت الحقيقة في قلوب النصارى، إن عدم ذكره لهذه العقيدة في إصحاحاته الأولى من سفر الأعمال، يدل على أنها ليست في مقام العقائد الأساسية التي دعا إليها عيسى، عليه السلام، وأمر تلاميذه بالدعوة إليها فيه بنوة مجازية لأكثر. وهو نبي مقرب من الله - سبحانه -.

لقد كان خلو الإصحاحات الأولى من سفر الأعمال من هذا الوصف من الواضوح بمكان، لم تتمكن معه دائرة المعارف الكتابية من إنكاره، فقررتة ولكنها كعادتها حاولت إيجاد مخرج يناسب تبنيها لهذا المعتقد، وذلك بقولها:

"فيما قبل بولس الرسول: لا يذكر لقب (ابن الله) إلا مرة واحدة

في الإصحاحات الاثني عشر الأولى، وذلك عن موضع

كرازة بولس في المجامع بالمسيح (أن هذا هو ابن الله) (أع:٩:٢)، وهو أمر يدعو للعجب، وبخاصة أن سفر الأعمال تنمه لإنجيل لوقا، والتفسير الوحيد لذلك، هو أن الكنيسة الأولى في أورشليم -فيما قبل بولس- كانت تفضل عدم استخدامه. لاشك في أنهم كانوا يعظمون الرب يسوع، ولكن لعل استخدام هذا اللقب في الكرازة لليهود، كان يثير حفيظتهم، ويؤدي إلى الاصطدام بهم، وهو الأمر الذي كانت تحاول الكنيسة في أيامها الأولى -قبل استشهاد استفانوس- أن تتجنبه. ولا يمكن القول بأن الجيل الأول من الكنيسة، كان يجهل هذا اللقب، حيث أن الرب نفسه قد استخدمه، ولكن لعلمهم -كما يقول كولمان- كانوا يذكرون تحفظ يسوع في استخدامه (كما يظهر ذلك في إنجيل مرقس)^(١).

إن خشية الكنيسة الأولى من يهود القدس إلى الدرجة التي تمنعها من الإعلان عن عقيدتها يعتبر أمراً مرفوضاً بداهة، إذ كيف يعتقد النصارى أن صاحب سفر الأعمال أعلن هذه العقيدة في إنجيله وأخفاها هذا، وكيف لم يخش على نفسه هناك، وخشى عليها هنا؟ ثم إن أحداث الإنجيل كانت سابقة لسفر الأعمال^(٢)، واليهود يدركون مادعا إليه المسيح، وما يدعو إليه أصحابه، وسكوت هذه الإصحاحات عن ذكر هذه العقيدة لم يكن ليمنع اليهود من إلحاق الأذى بالنصارى.

(١) مادة، ابن الله.

(٢) كتب إنجيل لوقا حوالي عام ٥٦م، أما سفر الأعمال فكتب حوالي عام ٦٢ أو ٦٣م.

راجع: قاموس الكتاب المقدس، مادة إنجيل لوقا.

ولكن الذي أجده أكثر إقناعاً هو مقالته كولمان من أن الكاتب والحواريين، الذين يتحدث عنهم سفر الأعمال في إصحاحاته الأولى، كانوا يتذكرون معلمهم المسيح وتحفظه الظاهر في استخدامه لهذا اللقب، فكان حرصهم على تتبع سنته، عليه السلام، وبالتالي امتناعهم عن استخدامه، وهي السنة التي أكدت على عدم أهمية هذا اللفظ من الناحية العقديّة، لأنه لا يعدو أن يكون لفظاً مجازياً، اقترن بالمسيح لبيان فضله ومقامه عند الله، فهو رسول الله، ونبيه أيده الله بوحيه، ومعجزاته وورعايته.

تأييد النصوص اللاهوتية المسيحية لإنسانية المسيح:

لو سلمنا بصحة قولهم إن المسيح ابن الله، خالق لالمخلوق، إلى آخر بنود قانون الإيمان. فلن يكون تسليمنا هذا آخر المطاف إذ إن كثيراً ما يكون حديث الأنجيل بشكل خاص، والعهد الجديد بشكل عام متناقضاً مع هذا القانون، الذي يقرر بنوته لله. فالإنجيل الأول من العهد الجديد يورد للمسيح نسبا بشرياً في أول إصحاحاته، وهو على النحو التالي (كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم. إبراهيم ولد إسحاق. وإسحاق ولد يعقوب. ويعقوب ولد يهوذا وإخوته. ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار. وفارص ولد حصرون. وحصرون ولد أرام. وأرام ولد عمينا داب. وعمينا داب ولد نحشون. ونحشون ولد سلمون. وسلمون ولد بوغز من راحاب. وبوغز ولد عوبيد من راعوث. وعوبيد ولد يسي. ويسي ولد داود الملك. وداود الملك ولد سليمان من التي لأوريا وسليمان ولد رحبعام. ورحبعام ولد ألباً. وألباً ولد آسا. وآسا ولد يهوشافاط. ويهوشافاط ولد يورام. ويورام ولد عزيا. وعزيا ولد يوثام. ويوثام ولد أهاز. وأهاز ولد حزقيا. وحزقيا ولد منسى. ومنسى ولد آمون. وآمون ولد يوشيا، ويوشيا ولد يكنيا وإخوته عند سبى بابل.

وبعد سبى بابل يكنيا ولد شألنتيل. وشألنتيل ولد زربابل. وزربابل ولد ابيهود. وابيهود ولد ألياقيم. وألياقيم ولد عازور. وعازور ولد صادوق. وصادوق ولد أخيم. وأخيم ولد أليود. وأليود ولد اليعازر. واليعازر ولد متان. ومتان ولد يعقوب. ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعي المسيح.

فجميع الأجيال من ابراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً. ومن داود إلى سبى بابل أربعة عشر جيلاً. ومن سبى بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً^(١). وليس الهدف من إبراز هذا النص المطول الخاص بنسب المسيح، كما يرد في إنجيل متى مناقشة صحة النسب أو عدم صحته، ولكن إلقاء الضوء على بعض أوجه التناقض بين تصوص العهد الجديد، وما ذكر في قانون الإيمان من تأكيد على بنوة المسيح لله، فكيف يكون المسيح في اعتقادهم ابن الله، وابنا لداود ليصل نسبه إلى ابراهيم؟ وهل يمكن لأي إنسان يعقل قبول مثل هذا التداخل الذي تطرحه الديانة النصرانية بجعلها نسين للمسيح، أولهما لله، والآخر بشري؟ وقد حلل الشيخ رحمت الله الهندي مشكلة هذا التناقض في نسب المسيح، فأورد ما ذكره لوقا في إنجيله من أنه ابن يوسف، وآدم ابن الله^(٢) فعلق على ذلك بقوله:

"وظاهر أن آدم عليه السلام ليس ابنا لله بالمعنى الحقيقي ولا إلهاً، ولكن لما ولد بلا أبوين نسبه إلى الله، ولله در لوقا لقد أجاد ههنا، لأنه لما كان المسيح عليه السلام مولوداً بلا أب فقط نسبه إلى يوسف النجار، ولما كان آدم عليه السلام مولوداً بلا أبوين نسبه إلى الله."^(٣)

(١) إنجيل متى، الإصحاح الأول، الفقرات: ١-١٧.

(٢) راجع: الإصحاح الثالث، الفقرات: ٢٣-٣٨.

(٣) إظهار الحق، دراسة وتحقيق الدكتور محمد ملكاوي، ج ٣، ص ٧٥٤-٧٥٥. <http://kotob.ha.s.it>

ولا تعدّ قضية النسب التي وجدت في العهد الجديد المظهر الوحيد الذي يتعارض مع البنوة الحقيقية لله - سبحانه عما يشركون - فتعميده، عليه السلام، من قبل يوحنا المعمدان مظهر آخر من مظاهر التناقض، والتعارض مع ماورد في بنود قانون الإيمان التي تجعل منه - عليه السلام - إله من إله، مساوياً له في الجوهر، خالق الكل غير مخلوق.

فقصة التعميد كما يذكرها متى - في إنجيله - تتعارض مع فكرة بنوته لله - عز وجل - فالتعميد في الديانة المسيحية 'علامة على التطهير من الخطيئة والنجاسة...' (١) كما أن معمودية يوحنا المعمدان تسمى "معمودية التوبة لمغفرة الخطايا... وكان طالبو المعمودية يعترفون بخطاياهم وندمهم عليها ويعلنون إيمانهم بالله..." (٢) فقد تحدث إنجيل متى عن تعميد، عيسى، عليه السلام، على يد يوحنا المعمدان بقوله: (جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه. ولكن يوحنا منعه قائلاً أنا محتاج أن أعتد منك وأنت تأتي إلي، فأجاب يسوع وقال له اسمح الآن. لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر. حينئذ سمح له. فلما اعتمد يسوع صعد من الماء (٣)) إن اصرار المسيح أن يتم تعميده من قبل يوحنا عجيب، فإذا كان إله من إله، فكيف يتم تعميده بالمفهوم المسيحي، من قبل مخلوق؟ فهل المخلوق يظهر الإله من الخطايا؟ أو العكس؟ وهل لله خطايا أصلاً؟ وتمضي الأناجيل في سردها لقضية التعميد على شكل لا يوحى بالقدسية، فهي تقول إن المسيح بعد أن تم تعميده جرب من قبل الشيطان، الذي حاول جاهداً تحويله إلى عبد من عبده، إلا أن محاولته باءت بالفشل، فقد ثبت المسيح على إيمانه بالله، عندها

(١) قاموس الكتاب المقدس، مادة معمودية.

(٢) المرجع نفسه، مادة معمودية، يوحنا المعمدان.

(٣) الإصحاح الثالث، الفقرات: ١٣-١٦.

فقط أتت الملائكة لتخدمه.^(١) وهنا نجد أمراً يدعو إلى الحيرة، وهو كيف يمكن لمخلوق -الشیطان- أن يعمل على اختبار الإله المعبود، كما يشير انجيل متى قائلا: (ثم صعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس. فبعد ماصام أربعين يوماً وأربعين ليلة جاع أخيراً. فتقدم إليه المجرب وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً. فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله. ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل. وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك. فعلى أيديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك. قال له يسوع مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك، ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها. وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي. حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد. ثم تركه إبليس وإذ ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه)^(٢).

وتستخرج من النص السابق دلالات أخرى تنقض الاعتقاد في ألوهية عيسى وبنوته لله^(٣)، إذ يذكر النص صوم المسيح لله، والصوم عبادة لا يقوم بأدائها إلا العبد المؤمن، وإقرار النصاري بصومه عليه السلام يلزمهم القول أنه عبد لمن صام له، كما أن الضمير في لفظ (ملائكته) في قوله (لأنه

(١) راجع: شهاب الدين أحمد بن ادریس المالکی القرافي، الأجوبة الفاخرة، ص ١٥٥.

وابن حزم. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٢، ص ١٦-١٧. والدكتور محمد

تقي الدين الهاللي، البراهيم الإنجيلية على أن عيسى، عليه السلام، داخل في العبودية

ولاحظ له في الألوهية، ص ٥-٦.

(٢) الإصحاح الرابع، الفقرات: ١-١١.

(٣) راجع: القرافي، الأجوبة الفاخرة، ص ٦٦-٦٧.

مكتوب أنه يوصي ملائكته....^(١) يعود إلى الله، وهو ما يؤكد أن الملائكة من خلقه وحده، وهي ملك له سبحانه عما يشركون، ويضاف إلى ماسبق أن ردانمسيح جاء ليؤكد ثقته التامة في الله الخالق، الذي لا يمكن أن يكون موضع تجربة منه بطرح نفسه من الجبل تجربة لله، كما ان رفض المسيح للسجود للشيطان هو في حد ذاته إقرار منه بعبادة التوحيد التي أكدها بقوله (لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد)^(٢) ومن الأدلة المهمة التي يمكن استخلاصها في دحض بنوة المسيح، أنه عليه السلام، لم يصرح في أنجيلهم بهذه البنوة المزعومة التي ترتب عليها اعتقادهم في ألوهيته وبنوته لله، وقد أشار رحمت الله الهندي إلى هذه المسألة فقال: "وأعجب... أن عيسى عليه السلام، ما بين هذه العقيدة إلى عروجه ببيان واضح"^(٣).

ثم ناقش رحمت الله الهندي ما ذهب إليه بعض علماء النصرانية في تفسير أسباب عدم إشارة المسيح إلى بنوته للإله بشكز صريح، مثل صاحب ميزان الحق في كتابه المسمى بـ (مفتاح الأسرار) الذي طرح استفسارا جاء فيه إن لو قلت لم لم يبين المسيح ألوهيته ببيان أوضح مما ذكر، ولم لم يقل واضحا ومختصرا أنني أنا الله لاغير؟^(٤) ثم حاول أن يعلل هذا الاستفسار بجملته آراء كان من بينها قوله:

"إن كبار ملة اليهود أرادوا مرارا أن يأخذوه ويرجموه، والحال أنه ماكن بين ألوهيته بين أيديهم إلا على طريق الأغاز"^(٥). أي أن خوفه منهم منعه من ذلك، وقد تناول الشيخ رحمت الله الهندي هذا التعليل بالمناقشة،

(١) إنجيل متى، الإصحاح الرابع، الفقرة: ٦.

(٢) المرجع نفسه، الفقرة: ١٠.

(٣) رحمت الله الهندي، إظهار الحق، دراسة وتحقيق الدكتور محمد ملكاوي، ج ٣، ص ٧٢١

(٤) المرجع نفسه، ص ٧٢١

(٥) المرجع نفسه، ص ٧٢١.

فأشار إلى أن المسيح، عليه السلام.

"ما جاء عندهم إلا لأجل أن يكون كفارة لذنوب الخلق، ويصلبه اليهود، وكان يعلم يقيناً أنهم سيصلبونه، ومتى يصلبونه فأى محل للخوف من اليهود في بيان العقيدة؟ والعجب أن خالق الأرض والسماء والقادر على ما يشاء يخاف من عباده الذين هم من أذل أقوام الدنيا، ولا يبين لأجل خوفه العقيدة التي هي مدار النجاة. وعباده من الأنبياء مثل إرميا واشعيا ويحي عليهم السلام لا يخافون منهم في بيان الحق، ويؤذون إيذاء شديداً ويقتل بعضهم، وأعجب منه أن المسيح عليه السلام يخاف منهم في بيان هذه المسألة العظيمة، ويشدد عليهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غاية التشديد حتى يصل.. إلى السب، ويخاطب الكتبة والفريسيين مشافهة بهذه الألفاظ: ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون. وويل لكم أيها القادة العميان. وأيها الجهال العميان. وأيها الفريسي الأعمى. وأيها الحيات والأفاعي. كيف تهربون من دينونة جهنم؟!".

ويظهر قبائحهم على رؤوس الأشهاد حتى شكوا بعضهم بأنك تشتمنا. كما هو مصرح في الباب الثالث والعشرين من إنجيل متى، والحادي عشر من إنجيل لوقا. وأمثال هذا المذكور في المواضع الأخرى من الإنجيل أيضاً. فكيف يظن بالمسيح عليه السلام أن يترك بيان العقيدة التي هي مدار النجاة لأجل خوفهم؟! حاشا ثم حاشا أن يكون جنبه هكذا^(١).

(١) رحمت الله الهندي، إظهار الحق، دراسة وتحقيق الدكتور محمد ملكاوي،

بل إنه، عليه السلام، لم يتطرق إلى هذه العقيدة في أول وعظ وجهه لأتباعه، هذا ما يطالعنا به إنجيل متى^(١)، وهو أمر يثير التساؤل بشكل واسع، فكيف تخلو خطبته الأولى تماماً من أي إشارة يمكن عدّها مدخلاً للقول بتلك البنية المزعومة ولو على سبيل المجاز، بل إن مضمون الخطبة وشمولها لنواحي العقيدة والشريعة جعل هذا الأمر أشدّ غرابة. فهل يعقل أن يهمل المسيح لو كان حقاً ابن الله -بنوة حقيقية- تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً -تقرير هذه الحقيقة فلا يتطرق إليها ولو بالإشارة، وإن كانت الإشارة لا تكفي لتقرير العقائد. في حين أنه يصرح وبوضوح يغني عن التفسير أنه لم يأت ليغير ديانة بني إسرائيل، بل أتى لإكمالها، كما أنه يشير إلى مراده من هذا الإكمال فيتحدث عن الشرائع التي تغيرت في عهده عليه السلام -حديثاً مفصلاً- مطولاً وهو بين الحين والآخر يذكر السامعين بأن الإله الخالق هو في السماء.

فيقول: (لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات)^(٢)

و(فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل)^(٣)

و(فصلوا أنتم هكذا "أبائنا الذي في السموات")^(٤)

و(يغفر لكم أيضاً أبوك السماوي....)^(٥)

وتدل هذه العبارات وأمثالها، التي تنتشر بكثرة في هذه الخطبة، على حقيقة كونه نبياً مرسلًا من الله الذي في السماء، كما أن استخدامه، عليه السلام، للفظ الأبوة الظاهر في الأمثلة السابقة والمنتشرة أيضاً في خطبته عند وصفه للإله، هو استخدام مجازي باتفاق أهل الكتاب، وكذلك استخدامه للفظ البنية عند حديثه عن المؤمنين.

(١) راجع: إنجيل متى، الإصحاح الخامس والسادس والسابع، وإنجيل لوقا، الإصحاح السادس.

(٢) إنجيل متى. الإصحاح الخامس، الفقرة: ١٦.

(٣) الإصحاح نفسه، الفقرة ٤٨.

(٤) إنجيل متى، الإصحاح السادس، الفقرة: ٩.

(٥) الإصحاح نفسه الفقرة: ١٤.

وقد قال في هذا الشأن (طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون)^(١).
كما قال في موضع آخر (وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم. لكي
تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات)^(٢).

ولاشك أن تكرار استخدامه، عليه السلام، للفظ الأبوة والبنوة بالمعنى
المجازي، وبهذه الكيفية في أول وعظ يوجهه لأتباعه أهمية كبرى، إذ إنه
يوضح من خلالها أن البنوة بمعناها البشري قد تأخذ بعدا من الشرف والكمال
أكبر بكثير من البنوة الحقيقية، إذ قصد بالإين الحب والولاء والتقدير للآب^(٣)،
وقصد بالآب العطف والرحمة والرعاية والإحسان. وحينئذ قد تصبح البنوة
المجازية أهم من البنوة الحقيقية^(٤). وهذا ما أشار إليه المسيح عندما نهاهم عن
إطلاق هذا المعنى على أحد من أهل الأرض وذلك بقوله:

(لاتدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات. ولاتدعوا
معلمين لأن معلمكم واحد المسيح)^(٥).

ومن ثم يتضح الفرق بين المسيح، عليه السلام، وخالقه سبحانه إذ
حصر بقوله هذا الأبوة المجازية للعباد جميعاً في الإله الواحد دون أن يكون
له، عليه السلام، تميز ببنوة حقيقية ترفعه على سائر العباد.

(١) إنجيل متى، الإصحاح الخامس، الفقرة: ١٠.

(٢) الإنجيل نفسه، الإصحاح السادس. الفقرة: ٤٤.

(٣) راجع: محمد حسن بن عبد الرحمن، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،
ص ٨٧.

(٤) راجع: أبا حامد الغزالي، الرد الجميل الإلهيه عيسى بصريح الإنجيل، دراسة
وتحقيق الدكتور محمد عبدالله الشرقاوي، ص ١٧٢-١٧٤.

(٥) إنجيل متى، الإصحاح الثالث والعشرون، الفقرة: ٩.

المبحث الثاني

الفداء

أشرت في التمهيد لهذا الباب إلى أهمية الفداء كعقيدة مسيحية، وإلى العلاقة القوية بين هذه العقيدة، وعقيدة الخطيئة الأولى، وهو ما عرض له هنا بشئ من التفصيل.

المعنى اللغوي لمصطلح الفداء

يقصد بكلمة الفداء في اللغة العبرية "الترضية وإزالة الأحقاد بعد دفع التعويض".^(١) ويقصد بها في العربية "استنقذه بمال أو غيره فخلصه مما كان فيه، يقال فداه بمال وفداه بنفسه فهو فاد"^(٢).

المعنى الإصطلاحي للفداء

أما المعنى الإصطلاحي للفداء فيقصد به كما يذكر هنري أبو خاطر: "الفداء خلاصا للبشرية، وهو من صلب العقيدة المسيحية، والعقيدة تنهار والفداء يفقد معناه إن لم يتجسد الله ويخلص البشرية من شوائب الخطيئة الأصلية"^(٣). وفي توضيح آخر نجد أن المقصود بعقيدة الفداء هو:

"علم فداء الإنسان اللاهوتي، علم خلاصه... كما أن الله بذاته في تدبير الخلاص الفعالي والعطية التي يقدمها من ذاتيته، بالمعنى القوي للكلمة، هو خلاص الإنسان، هكذا بإمكاننا أن ننظر، تحت شكلها الخلاصي، إلى كل حقيقة هي موضوع الوحي والعقيدة، إذ أن تكون عقيدة الخلاص جزءا بسيطا،

(١) عوض سمعان، فلسفة الغفران في المسيحية، القسم الأول، ص ٨١.

(٢) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مادة فدي، ج ٢، ص ٦٧٧.

(٣) نظرات في الحتمية والجبرية والحرية، ص ١٣٥.

محدودا موضوعيا، من العقيدة^(١).

وبعد هذه اللمحة السريعة حول مفهوم الفداء لغة، واصطلاحا، يتبين لنا أن المقصود به في العقيدة المسيحية، فداء الإنسان من الخطيئة الأصلية التي انتقلت إليه من أبويه آدم وحواء، فتحمل وزرها وشقي بسببها. وقد أصبحت هذه العقيدة بحسب مضمونها الاصطلاحي المسيحي إلزامية لمعتنقي هذه الديانة منذ عام (٣٥٢م) إثر قيام مجمع نيقية، واعتماده لقانون الإيمان، الذي أشرت إلى بعض قراراته عند الحديث عن بنوة المسيح. وبما أن الحديث هنا يتعلق بالفداء فنقوم بعرض الجزء الخاص بهذه العقيدة كما وردت في هذا القانون إذ جاء فيه:

"...الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل -أي المسيح- وتجسد وتأنس وتألم ومات، وقام أيضا في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وسيأتي من هناك ليدين الأحياء والأموات بالروح القدس..."^(٢).

وقد حاولت الوصول إلى نصوص إنجيلية تتحدث عن هذه العقيدة، للأهمية التي تتسم بها الأناجيل من الناحية العقيدية، لمقارنتها بغيرها من أسفار العهد الجديد، فوجدت أن الحديث فيها عن الفداء يكاد يكون معدوما، وبالتالي رجعت إلى بقية أسفار العهد الجديد لعلني أجد مايمكن وصفه مصدرا أصيلا لعقيدة الفداء. فوفقت على جملة من النصوص التي تتحدث عن هذه العقيدة في الرسائل المسيحية.

والسؤال الذي يطرح هنا ما تعليل علماء النصارى حول مسألة قلة الحديث عنها في الأناجيل وكثرتها في ماعداها من أسفار العهد الجديد. وقد وجدت في كتاب (المسيحية نشأتها وتطورها) جوابا عن هذا

(١) معجم اللاهوت الكاثوليكي، مادة عقيدة الفداء.

(٢) القس الياس مقار، إيماني، ص ٦٦.

الإستفسار إذ يقول مؤلفه عن الحواريين "إن موت عيسى في نظر الاتنى عشر ليس بالتضحية التكفيرية"^(١).

وانطلاقاً من محور البحث هذا، وهو عرض عقائد الديانة المسيحية كما يؤمن بها أصحابها اليوم، فسوف أشرع في عرض بعض نصوص العهد الجديد التي أشارت إلى المفهوم المسيحي لهذه العقيدة، آخذة في الحسبان عرض بعض ماورد من إشارات في هذا الشأن في الأناجيل.

١- فقد جاء في إنجيل متى في الإصحاح العشرين: (إن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليُخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين).^(٢).

لقد علق على أهمية هذا النص بالنسبة للنصارى أحد مفسري العهد الجديد فقال:

"(يبذل نفسه فديه)... تتيح هذه الجملة المهمة إحدى المناسبات القليلة التي فيها تذكر عقيدة الكفارة البديلية في الأناجيل الثلاثة الأولى"^(٣).

٢- وجاء في إنجيل يوحنا (لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم).^(٤).

ومما فسر به هذا النص قول أحدهم:

"هل.. تعطينا نفس أقوال يسوع أو هل تعطينا تفسير البشير عن مهمة المسيح، وبلاشك أن البشير قد دخل بعمق إلى فكر يسوع، وإذا كانت هذه الأقوال ليست كلماته بالذات، فإنها، بالتأكيد تحوي نفس قلب البشري المجيدة. على أنه ليس عندنا مبرر للاستنتاج أن هذه -العبارة- لم تكن ليسوع في مجمل

(١) شارل جنيبير، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود، ص ٩١.

(٢) الفقرة: ٢٨.

(٣) تفسير الكتاب المقدس، ج ٥، ص ٦٩.

(٤) الإصحاح الثالث، الفقرتان: ١٦ و ١٧.

القرينة التي أمامنا"^(١).

ولو كان صاحب هذا التفسير على اقتناع بظاهر ماورد في نص يوحنا، لما أثار هذه الاحتمالات. وإن كان يبدو بتفسيره هذا - محاولاً إقناع نفسه بما تمليه عليه عقيدته المتوارثة.

وسأنتقل الآن من الأناجيل إلى الرسائل المسيحية، حيث من السهل الوقوف على نصوص تتعلق بالفداء، من بينها:

- ١ - ماورد في رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: (الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لايهنا أيضاً معه كل شيء).^(٢)
- ٢ - وكذلك ماورد في الإصحاح الخامس منها: (لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة و عطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح)^(٣).
- ٣ - والنص الذي جاء في رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية، وهو: (ولكن لما جاء ملاء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة تحت الناموس يفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني)^(٤).
- ٤ - وما جاء في رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس: (لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع)^(٥).
- ٥ - ومما نجد في هذا الصدد قول بطرس الرسول في الرسالة الأولى، من الإصحاح الثاني: (الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة

(١) تفسير الكتاب المقدس، ج ٥، ص ٢٤٣.

(٢) الإصحاح الثامن، الفقرة: ٣٢.

(٣) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، الفقرة: ١٧.

(٤) الإصحاح الرابع، الفقرتان: ٤ و ٥.

(٥) الإصحاح الثاني، الفقرتان: ٦ و ٥.

لكي نموت في الخطايا فنحنيا للبر، الذي بجلاته شفيتم^(١).

ويتضح لنا من استعراض النصوص السابقة التي تتعلق بمسألة الفداء في أسفار العهد الجديد، إن المسيح جاء فداء لبني آدم يحمل عنهم أوزارهم، وخطاياهم التي حلت عليهم بموجب الخطيئة الأولى.

أهم المبررات التي استند إليها علماء المسيحية في تقرير عقيدة الفداء:

يلاحظ الباحث في عقيدة الفداء أن علماء المسيحية حاولوا جاهدين تقديم تبريرات تساند ترسيخ القول بعقيدة الفداء، مما جعلها مدار اهتمام كثير منهم، فعملوا جاهدين في مؤلفاتهم العقيدية للإجابة عن التساؤلات التي قد تطرح من قبل معتقي المسيحية وغيرهم، وعن أسباب تحميل الإنسانية وزر الخطيئة الأصلية، وهي خطيئة فردية صدرت عن آدم وحواء.

وفي محاولة منهم لتبرير التصاق وزرها بالبشرية كافة، عمدوا إلى اختلاق تفاسير تقربها من الواقع والمنطق، ليقبل بها أتباع المسيحية دون شكك فيها. ولما كانت الآراء التي تناولت هذا الموضوع من قبل علماء النصرانية كثيرة ومتشعبة، فسوف أعمد إلى إختيار أمثلة منها، لتوضيح أنماط تبريرهم لها، فمن ذلك أن أحد علماء الديانة المسيحية ذهب إلى القول إنه:

”لما كان الإنسان لا يستطيع التكفير عن خطايا بالدرجة التي تفي مطالب عدالة الله التي لاحد لها، وكان الله وحده الذي يستطيع القيام بهذه المهمة... لذلك فإن تكفير الله بنفسه عن خطايانا بمعنى احتمال نتائجها في نفسه... عوضاً عنا قبل أن يغفرها لنا، أمر لايجوز الاختلاف بشأنه على الإطلاق... وكل ما في الأمر أن الله في عفوه عنا يتحمل إساءتنا في

(١) الفقرة: ٢٤.

نفسه، ليس فقط بسبب العطف علينا، بل أيضا لإيفاء مطالب عدالته لأن هذه ليست مجرد شريعة لديه كما هي الحال معنا بل إنها صفة من الصفات التي تتميز بها ذاته، ولذلك من الضروري إيفاء مطالبها بأي حال من الأحوال" (١).

كما ذهب إلى أن الخطيئة الأولى أصبحت جزءا من طبيعة الإنسانية بموجب قانون الوراثة، إذ:

"لا يمكن لكائنا أن يلد آخر مغاير له... وبما أن آدم الذي ولد منه البشر جميعا كان قد فقد بعصيانه حياة الاستقامة الذي خلقه الله عليها وأصبح خاطئا قبل أن ينجب نسلًا، إذا كان أمراً بديهياً أن يولد أبناؤه جميعا خطاه بطبيعتهم نظيره لأننا مهما جلنا بأبصارنا في الكون لانجد لسنة الله تبديلا أو تحويلاً، ولذلك قال الوحي (بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم) رومية ٥: ١٢-٢١" (٢).

في حين يذهب كالوين أحد زعماء البروتستانتية إلى القول:
 "حينما يقال إننا استحققنا العذاب الإلهي من أجل خطيئة آدم، فليس يعني ذلك أننا بدورنا كنا معصومين أبرياء، وقد حملنا -ظلمًا- ذنب آدم... الحقيقة أننا لم نتوارث من آدم (العقاب) فقد، بل الحق أن وباء الخطيئة مستقر في أعماقنا على سبيل الإنصاف الكامل، وكذلك الطفل الرضيع تضعه أمه مستحقا للعقاب، وهذا العقاب يرجع إلى ذنبه هو، وليس من ذنب أحد

(١) عوض سمعان، فلسفة الغفران في المسيحية، القسم الأول، ص ١١٦-١١٧.

(٢) عوض سمعان، فلسفة الغفران في المسيحية، القسم الأول، ص ١٨. وراجع أيضا: القس أميل زكي، والقس فايز فارس، والقس منيسي عبد للنور، إيماني الإنجيلي،

غيره^(١)، فالخطيئة في نظر كالوين مستقرة في نفوسنا وهو ما يجعلنا كبشر مستحقين العقوبة. وقد بالغ في إظهاره هذا الإستحقاق عندما أكد استحقاق الطفل الرضيع للعقاب لأنه يعد مذنباً. ويمكن القول إن استقرار الخطيئة في نفوس ذرية آدم في ضوء شرح كالوين لا يختلف كثيراً عن رأي القائل بتوارث لعنة الخطيئة الأولى، وقد حاول أحد علماء الديانة المسيحية تخلص المؤمن المسيحي من الإحساس بالظلم نتيجة الإقرار بتحمل خطيئة آدم، فحاول تبرئة آدم من المسؤولية الفردية لتتحول إلى مسؤولية جماعية لعله بذلك يدفع المؤمن إلى قبول المشاركة في العقاب دون اعتراض أو استنكار فقال:

"آدم هو مثال الإنسان، الإنسان الذي وجد في حالة النعمة وسقط، إذن سقوط آدم من النعمة هو سقوط كل إنسان. إذا خطيئة آدم هي خطيئة كل إنسان. فليس المقصود أن الخطيئة تنتقل بالتوارث والتسلسل لأنها ليست تركة أو ميراثاً وإنما المقصود أن آدم - الإنسان قد أخطأ، فأخطأ آدم ان جميع إذا، كل واحد قد أخطأ وذلك لأنه إنسان."^(٢)

أما تبرير قاموس الكتاب المقدس بقبول عقيدة الفداء، فقد جاء على النحو التالي: "مبدأ الفداء الذي أكمله المسيح إذ قدم نفسه لفك كل قيد ورفع كل مسؤولية وافتداء جميع من كانوا تحت رق عبودية الخطيئة بشرط أن يقبل الخاطئ الفادي بإيمان قلبي"^(٣).

(١) الدكتور محمد على حماية، التجسد والصلب، بين الحقيقة والافتراء ص ٢٧ نقلًا عن: CALVIN, Instil > bk 11. Ch. sec 8.

راجع أيضاً: محمد مجدي مرجان، المسيح إنسان أم إله. هذبه وحققه وعلق عليه عبد الرحمن دمشقية، ص ١٣٨. واسبيروا جبور، في التوبة، ص ٦٩-٧١.

(٢) ندره إليازجي، رد على اليهودية واليهودية المسيحية، ص ١٠٥.

(٣) مادة، فاد، افتدى.

فهم يبررون تحقيق خلاص الإنسانية من ميراث الخطيئة بموت المسيح بن الله -على زعمهم- دون غيره من المفروض، والأسباب، كشرط لغفران الله لخطيئة آدم، بأن صفات الله الكاملة لا يمكن أن تطغى إحداهما على الأخرى، فصفة العدل ثابتة لله، وكذلك صفة الرحمة، والله يرحم عباده ويرغب في نجاتهم من هذه العقوبة الموروثة، ولكن العدل لا بد أن يتحقق فينال الخاطيء العقوبة التي تناسب خطيئته فلا سبيل لطغيان صفة الرحمة على العدل وإلا كان ذلك تقيصاً في صفات الله الكاملة. وعلى هذا كان الحل الأمثل -لديهم- للخروج بالإنسان المخطئ إلى بر الرحمة هو نزول الإبن-المسيح- وتجسده وصلبه وموته فداء عن الخطيئة، هذا ما تحدثت عنه كتب العقيدة المسيحية.

وقد قال القس ليبب ميخائيل في شرحه لهذه الموازنه:

"إن الله الرحيم هو أيضا إله عادل، وأن الله المحب هو أيضا إله قدوس يكره الخطيئة! وإذا تركزت هذه الصورة في أذهاننا... سندرك على الفور أن صفات الله الأدبية الكاملة لا يمكن أن تسمح بغفران الخطيئة دون أن تتال قصاصها، وقد أعلن الله عن عقاب الخطيئة في الكلمات (ها كل النفوس هي لي. نفس الأب كنفس الإبن. كلاهما لي. النفس التي تخطئ هي تموت) حز ٤: ١٨، فالخطيئة إذا ليست من السهولة حتى يمكن غفرانها بكلمة دون أن تتال القصاص. وعلى هذا فإن الصليب يبدو أماننا ضرورة حتمية للتوفيق بين عدل الله ورحمته"^(١).

(١) قضية الصليب، ص ٢٧. راجع أيضاً: الشماس عبد الله زاخر الحنبي، البرهان

الصريح في حقيقة سري دين المسيح وهما سر تثليث وسر التجسد. ص ٨٥-٨٧.

وابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى، ص ٣٦.

أما هنري أبو خاطر فيؤكد أهمية الصلب لتحقيق الفداء ويوضح أن هذه الأهمية ترجع إلى فداحة الخطيئة الأصلية بقوله: "... واستعادة الإنسان كانت على قدر معصيته، والمعصية كبيرة، والاستعادة أطلت على صلب المسيح

وعلى موت المسيح".^(١) وقد عبر عوض سمعان عن المسألة تعبيراً مختلفاً بقوله "الله يتأثر مع روحانيته المطلقة بالخطايا التي نأتيها... كما أن العدالة لديه.. صفة ثابتة فيه يجب إيفاء مطالبها مهما كانت الظروف والأحوال.. ومن ثم لا يمكن أن يصفح إلا إذا كان الصفح قانونياً، أو بالحرى متوافقاً مع عدالته المطلقة كل التوافق"^(٢).

إن هذا الكلام المتناقض يوقع من يقرأه في حيرة من أمره، ويدفع به إلى التساؤل عن مقصود وروحانية الله؟ وعن معنى التأثر هنا؟ لقد جاء عوض سمعان بكلام جعل فيه الإله في منزلة البشر، فهو مع روحانيته يتأثر من الخطايا، ومن ثم يعجز - سبحانه - أمام بنود القانون عن تحقيق المغفرة، لو أراد، هنا جاءت الأسباب الموجبة لعقيدة الفداء.

ويحرص عوض سمعان على تأكيد عجز الله التام أمام غفران الخطايا دون قصاص، أو رفع القصاص دون فداء. ويمضي في نقاشه، وجدله لإثبات مبدأ الفداء، فيقول:

" لو كان من الجائز أن تقل عدالة الله وقداسته عن رحمته ومحبته، لكان من الجائز أن ينقذ جميع البشر من خطاياهم ويقربهم إلى حضرته بكلمة واحدة، كما خلق العالم من قبل بمثل هذه الكلمة... إذا فمع رحمته ومحبته اللتين لا حد لهما. فإن من مستلزمات الكمال الذي يتصف به، ألا يتساهل في شيء من مطالب

(١) نظرات في الحتمية والجبرية والحرية، ص ١٣٣.

(٢) فلسفة الغفران في المسيحية، القسم الأول، ص ٨٤.

عدالته وقداسته، وبما أنه لا يستطيع سواه إيفاء مطالب هذه وتلك، إذا لاسبيل للخلاص من الخطيئة ونتائجها إلا بقيامه بافتدائنا بنفسه... لأن هذا يكون أكثر موافقة لكماله من الصفح عنا وتقربنا إليه بوسيلة لا تتفق مع عدالته وقداسته^(١).

ولقد إنتهى عوض سمعان، كغيره من علماء النصارى إلى أن الحل الأمثل لمشكلة الإنسان الأزلية تنحصر في تحمل المسيح الفداء.

على أن هذه الفكرة لا ترتبط فقط بعلماء المسيحية المحدثين، وإنما ترجع إلى أقدم المصادر المسيحية، حيث نجد محاولات لتأصيلها، وافتعال المبررات لها، فعن هذه العقيدة تحدث بولس قائلًا: (الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا)^(٢).

وقال أيضاً (ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاه مات المسيح لأجلنا. فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب)^(٣).

وقد علق القس لبيب ميخائيل، على هذين النصين فقال "قدم يسوع المسيح المهراق على الصليب هو الوسيلة الوحيدة للغفران والتبرير لأنه (بدون سفك دم لا تحصل مغفرة) عب ٩: ٢٢"^(٤).

ومن الملاحظ أن هناك صلة وثيقة بين الدين والفداء في مختلف الأديان، ومن أمثلة ذلك ماورد في سفر اللاويين الإصحاح السابع عشر (لأن نفس الجسد هي في الدم فأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم.

(١) عوض سمعان، فلسفة الغفران في المسيحية، القسم الأول، ص ١٢٢-١٢٣. راجع

أيضاً: القديس أثناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة، عربه القس مرقس داوود

ص ٤١-٤٣. ومكس ميشيل، حياة المسيح، ص ١٠١-١٠٥.

(٢) رسالة بولس إلى أهل أفسس، الإصحاح الأول، الفقرة: ٧.

(٣) رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح الخامس، الفقرتان: ٨ و ٩.

(٤) قضية الصليب، ص ١٢٧.

لأن الدم يكفر عن النفس^(١)، غير أن النصارى انطلقوا من هذه الفكرة الشائعة إلى تقرير إحدى عقائدهم الأساسية، لأن الخطيئة الأولى لم تكن لتزول بسفك دم حيوان، فاستعادة الإنسان لحالته الأصلية قبل المعصية تتطلب سفك دم أزكى، وأطهر، وأقدس من جميع الذبائح الحيوانية^(٢). ويتضح هذا المسلك في الرسالة إلى العبرانيين التي جاء فيها: (لأنه إن كان دم ثيران وثيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدس إلى طهارة الجسد فكم بالحرى يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدّم نفسه لله بلا عيب يطهر ضما نركم من أعمال ميته لتخدموا الله الحي.

ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد لكي يكون المدعوون إذ صار موت لفظاء التعديات التي في العهد الأول ينالون وعد الميراث الأبدي^(٣). إن هذه الأقوال التي تؤكد أنه -سبحانه- ملزم أمام الخطيئة، أما بتنفيذ القصاص وأما فداء الإنسانية بسفك دم المسيح، لم تكن موضع تأييد من علماء العقيدة المسيحية، فبعضهم يعتقد أنه -سبحانه- لم يكن مجبراً على ذلك، وهو ما ذكره معجم اللاهوت الكاثوليكي بقوله:

"فلا يجوز أن تصور الله كما لو كان مجبراً أن يقاصص خطيئة الإنسان (كما تصنع سلطة بشرية لضعفها بعقوبة ليس الهدف منها إلا القصاص. إن عقوبة الخطيئة ليست سوى الحقيقة الواقعية التي صنعها الله حراً والتي يجابها الإنسان الخاطئ عندما يضيع هدفه"^(٤).

(١) الفقرة ١١.

(٢) راجع: الأسقف دافيد براون، هل صلب المسيح، نقله إلى العربية، جاد المنفلوطي، ص ١٠٩-١١٧.

(٣) الإصحاح التاسع، الفقرات ١٣-١٥.

(٤) معجم اللاهوت الكاثوليكي، مادة عقوبة الخطيئة.

يظهر أن أصحاب هذا القول أرادوا تنزيه الله - سبحانه - ورفع الإلزامية عنه والتبعية لإحدى صفاته، أو لقانون وضعه بنفسه.

وقد دفعت بهم رغبتهم في تصوير شناعة الخطيئة وحاجتها إلى المسيح، إلى القول إن التوبة الصادقة، والأعمال الصالحة لن تنجي صاحبها من لعنة الخطيئة، بل لن تخفف حتى من وطأتها عليهم، وتأكيداً لما ذهبوا إليه في هذا الشأن قالوا إن أنبياء الله خطاة، كما عبر عن ذلك أحد علماءهم قائلاً:

الأنبياء وإن كانوا أفضل من غيرهم من الناس، غير أنهم في ذواتهم خطاة مثلهم وإن لم يكن بالفعل فبالقول والفكر... لذلك فإنهم من تلقاء أنفسهم لا يتوافقون مع الله في صفاته السامية كما يقعون من جهة استحقاقهم الذاتي تحت طائلة قصاصه الأبدي^(١).

كما ذهب آخر إلى القول إن موسى، عليه السلام، يعد:

"من أعظم وأقدر القديسين الأتقياء الذين عاشوا في أي وقت.. وبالرغم من عظمته فقد كان إنساناً وأخطأ. وقد عاقبه الله على الخطيئة وحرمه من إتمام رغبته العظمى في الدخول إلى أرض الموعد. ومهما كانت عظمة موسى فإنه لولا نعمة المسيح له لكان قد هلك واستحق عقاباً أبدياً على خطيئته. إن الله قد خلصه كما أنه يخلص جميع الذين يتوكلون على المسيح"^(٢).

بل إنهم عندما تحدثوا عن بلعام أحد أنبياء بني إسرائيل قالوا "من الغيابة أن تدعوه بأي شيء غير أنه نبي حقيقي، وهذا لا يعني بالطبع أنه كان إنساناً كاملاً، لقد ارتكب خطايا شنيعة جداً"^(٣).

(١) عوض سمعان فلسفة الغفران في المسيحية، القسم الأول، ص ٧٦. راجع أيضاً: محمد مجي مرجان، المسيح إنسان أم إله، هذبته وحققه وعلق عليه عبد الرحمن دمشقية، ١٣٥-١٣٦.

(٢) تفسير الكتاب المقدس، ج ١، ص ٣٨٥.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٩١.

كما قال آخر "إن ... اليمبس -أي جهنم- مقراً لأرواح الصالحين الأبرار الذين أوصدت في وجههم أبواب السماء بسبب خطيئة آدم الأولى، فلبثوا حتى مجئ آدم الثاني -أي المسيح-"^(١) فما قيمة الأعمال الصالحة؟ وما قيمة التوبة الصادقة إذا كانت لعنة الخطيئة تصل الصالحين والأنبياء وتجعل مقرهم السعير؟

ويتحدث عوض سمعان عن فشل التوبة في تحقيق نجاة الإنسان أو إخفاء شناعة الخطيئة فيقول:

"إذا تاب الإنسان توبة حقيقية عن الخطيئة في كل مظهر من مظاهرها، وإن كان هذا من المتعذر على الإنسان القيام به من تلقاء ذاته،...؟ فإنه لا يكون قد فعل أكثر مما يجب عليه، أو بالحرى لا يكون قد أتى جميلاً يمكن أن يكون تعويضاً عن خطاياها الماضية، حقاً قد ينسى الإنسان هذه الخطايا، وقد ينساها الناس أيضاً، لكن الله لا ينساها فالماضي والحاضر والمستقبل حاضر أمامه. ولذلك قال الحكيم (الله يطلب ما قد مضى) (الجامعة ٣: ١٥) فالتوبة مهما كان شأنها، ليست بكافية للصفح عما مضى من خطايا..."^(٢).

فإذا كانت توبة المؤمن الصادق عن خطايا الأمس، ليست كافية للصفح، كما تقرر الديانة المسيحية، فهل إتجاه المؤمن المسيحي للأعمال الصالحة يخفف عنه وزره.

عن هذا يتحدث القس لبيب ميخائيل فيقول:

(١) بولس سلامة، مع المسيح، ص ٢١٣، راجع أيضاً: عبيدة الخزرجي، بين الإسلام والمسيحية، حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور محمد شامة، ص ١٧٤.

(٢) فلسفة الغفران في المسيحية، القسم الأول، ص ٦٩.

"الواقع أن الأعمال الصالحة حينما تؤدي بقصد الخلاص من عقاب الخطيئة، تعتبر إهانة كبرى لذات الله، إذ انها دليل على اعتقاد من يقوم بها بأن في قدرته إزالة الإساءة التي أحدثتها الخطيئة في قلب الله عن طريق عمل الصالحات، وتأدية بعض الفرائض والصلوات... وكان قلب الله لا يتحرك بالحنان، إلا بأعمال الإنسان!! وباله من فكر شرير مهين!!".

يقول بولس الرسول:

(الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس ... لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما... لأنه إن كان بالناموس بر، فالمسيح إذ مات بلا سبب) غلا ٢: ١٦، ٢١... ومع هذا فإن الأعمال الصالحة تعتبر تعبيراً جميلاً عن إحساننا بمحبة الله لنا، إذا صدرت عن قلب يعرف فضله عليه، ويشعر بحبه الغامر الذي ظهر على الصليب... فإننا نستطيع القول بأن الأعمال الصالحة هي تعبير عن شكرنا لله.... وإذا ففي مقدورنا أن نقرر بأن أعمالنا وصلحنا، وذباتنا، وعطايانا، كل هذه لا تستطيع أن تغطي الإساءة التي أحدثتها الخطيئة في قلب الله! (١).

وهكذا عدت الديانة المسيحية حرص الإنسان المؤمن على التزام السلوك السوي، واجتنابه المنكرات، أمراً لا يؤجر عليه، فحاله كحال المسيحي الذي يرتكب المعاصي ولا يابيه بالصالح من الأعمال، وقد تحدث بولس الرسول عن ذلك فقال: "أما الذي يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل نعمة بل علي سبيل دين. وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر فإيمانه يحسب له برًا." (٢)

(١) القس لبيب ميخائيل، قضية الصليب، ص ١١٣-١١٦.

(٢) رسالة بولس الرسول الى أهل رومية، الإصحاح الرابع، الفقرتان: ٤ و٥ <http://kotob.hashtab.com>

المبحث الثالث

عالمية المسيحية

انبتق عن عقيدة الفداء عند النصارى الإيمان بعالمية المسيحية، لأن الفداء في تفسيرهم اللاهوتي لم يكن فداء لبني إسرائيل قوم المسيح دون غيرهم، بل شمل العالم أجمع، وإلا عد هذا تحيزاً لهم وظلماً لغيرهم، وهو محال، فصفة العدل من صفات الإله الثابتة في الديانة المسيحية. رغم كثرة تخبطهم في تصورهم لهذه الصفة.

وقد أكد الدكتور جورد فورد عمومية الفداء بقوله: "العاقل يعلم أن شروط الخلاص والهلاك أجل وأعدل من أن تكون مذهبية وأن تتنوع وتختلف باختلاف الشعوب والنحل"^(١). فالفداء كان فداء للإنسانية من حمل الخطيئة الأولى ولعنتها التي إنتقلت إليها إثر معصية آدم وحواء، ومن ثم كان الأمل في النجاة من هذا الميراث المضمي منحصرًا في الإيمان بالمسيح الفادي.

معالجة نصوص العهد الجديد وشرائحه لهذه العالمية:

يمكن تقسيم نصوص العهد الجديد التي يستند إليها النصارى في القول بعالمية المسيحية إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول : يشرح شمولية الفداء ويؤكدها.

القسم الثاني : ينسب للمسيح أقوالاً تؤكد قوله بهذه العالمية.

القسم الثالث : يتحدث عن المسيح كديان للعالم.

وستكون الإشارة إلى كل من هذه الأقسام على حدة، مع ذكر رأي

شراح العهد الجديد لهذه العالمية من خلال تفسيرهم لبعض هذه النصوص،

(١) نور العالم، ص ٣٨.

ومن ثم الإشارة إلى مفهوم بعض علمائهم لهذه العالمية.

القسم الأول:

تبين مما سبق قول النصارى بالفداء، فالسبيل الوحيد -عندهم- للخلاص هو الإيمان بالفادي الذي بذل دمه فداء للإنسانية من حمل الخطيئة الأولى، في هذا الشأن يتحدث العهد الجديد فيقول:

١- ماورد في إنجيل مرقس الإصحاح السادس عشر. (من آمن واعتمد خلص. ومن لم يؤمن يُدن).^(١)، ويلاحظ على النص السابق عموميته في التأكيد على عقيدة الخلاص الذي يتحقق بالإيمان.

٢- وفي رسالة يوحنا الأولى هناك مايفيد هذه العمومية بشكل واضح وقد جاء فيه: (فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار هو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم)^(٢).

٣- كما ورد في سفر الأعمال الإصحاح العاشر منه: (أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا).^(٣).

وقد قام أحد مفسري العهد الجديد بتفسير هذا النص فأكد هذه

العمومية قائلا:

"إن كل من يؤمن به سواء كان يهوديا أو إميّا، (ينال باسمه غفران الخطايا) حتى لو لم يكن قد عرف الله من قبل، أو قام بأعمال البر"^(٤)، ويؤكد هذا التفسير قولهم بعالمية المسيحية على أساس أن الخلاص المشار إليه في نص سفر الأعمال وماشابهه خلاص للعالم أجمع دون تميز، ودون شروط

(١) الفقرة: ١٦.

(٢) الإصحاح الثاني، الفقرة: ٢.

(٣) الفقرة: ٤٣.

(٤) جون ويسلي وآخرون، تفسير أعمال الرسل، نقله الى العربية الدكتور عزت زكي.

سوى الإيمان بالمسيح الفادي، وقد علل الدكتور جورج فورد هذه العالمية مؤكداً لفحواها بقوله:

تفكما أن الله لكل البشر لا يمكن تخصيصه بفئة أو ملة أو أمة دون غيرها، يجب أن يصح ذلك أيضاً في من هو ابن الله الوحيد... وتخصيص النصارى إياه بهم وحدهم خطأ عظيم ناتج عن إهمالهم درس الإنجيل وعدم اعتمادهم تعاليمه. فيسوع ابن مريم مسيح كل من يقبله من بني البشر أجمعين في كل زمان ومكان ودعوته عمومية لجميع الناس بقطع النظر عن المذهب والجنس. وكل ذلك مؤيد وموضح في الإنجيل.

كل الأنوار التي من صنعة البشر تكون محصورة في مكان واحد معلوم بخلاف الذي خلقه الله فهو عام ويضيء على كل العالم وفرق كهذا ظاهر بين الدين الذي هو ابتداء بشري ليحصر زعيمه وكتابه في فئة واحدة من البشر وبين الذي يوحيه الله ويعلنه للناس فيكون عاماً ويشمل البشر جميعاً ولا يتحمل الإنحصار أو الإحتكار.

فيسوع المسيح مخلص لكل البشر والكتاب المقدس أي التوراة والإنجيل رسالة موجهة لكل البشر على السواء.^(١)

القسم الثاني:

لم يستند النصارى في إثبات عالمية الديانة المسيحية إلى أساس عالمية الفداء، وشمولية الخلاص للعالم فقط، بل استندوا في ذلك -أيضاً- إلى بعض النصوص الواردة في العهد الجديد التي تتحدث في مجملها عن

ظهور الفادي - المسيح - لتلاميذه وأمره لهم بنشر الدعوة بين الناس، وكذا النصوص التي تتحدث عن ظهوره، لبولس أثناء توجهه لدمشق للنيل من اتباع الديانة المسيحية، حيث تلقى بولس الأمر بنشر الدعوة المسيحية بين الأمم من المسيح نفسه، وسوف نستعرض فيما يأتي بعض هذه النصوص.

أ- مسألة ظهور المسيح لتلاميذه

فقد ورد في إنجيل متى ما يشير إلى هذا حيث جاء فيه على لسان المسيح (فأذهبوا وتلمذوا جميع الأمم)^(١)، كما تحدث إنجيل مرقس في الإصحاح السادس عشر عن هذه القصة فقال: (أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكونون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروهم قد قام، وقال لهم إذهبوا إلى العالم اجمع واكرزوا* بالإنجيل للخليفة كلها. من آمن واعتمد خلص. ومن لم يؤمن يدن)^(٢)، وعندما فسر جون ويسلي هذه الوصية أكد عالمية المسيحية بقوله:

"يتكلم الرب دون حدود أو قيود، ولذا فلو لم يسمع أي مخلوق في أي سن بهذا الإنجيل، فأما أولئك الذين كان يجب أن يبشروا ولم يفعلوا والذين كان يجب أن يسمعوا أو كلاهما قد خالف وصية الله هنا"^(٣).

بل إن بعض علماء الديانة المسيحية عدّ هذا النص بمثابة إلزام لا بد من تطبيقه فقالوا: "هذه الكنمات تلزم الكنيسة في جميع الأجيال بإرسال

(١) الإصحاح الثامن والعشرون، الفقرة: ١٩ .

* الكرازة: في معناها الواسع... اعلان كلمة الله يقوم به من أعطوا رسالة لذلك في الكنيسة باسم المسيح.

والكرازة في اليونانية... بشارة، معجم اللاهوت الكاثوليكي، مادة الكرازة.

(٢) إنجيل مرقس، الإصحاح السادس عشر - الفقرات: ١٤-١٦ .

(٣) جون ويسلي، تفسير إنجيل مرقس نقله إلى العربية إدوارد وديع عبد المسيح، ص ٩٣ .

الإنجيل إلى كافة العالم إلى أن تتلمذ كل شعوب الارض:(١).
غير أن نص مرقس الذي يتركز عليه تأكيد النصارى في القول
بعالمية المسيحية، يعتره كثيرا من ضعف، بسبب ما ألمح إليه أكثر علمائهم
من عدم معرفة مصدر الفقرات الإثنى عشرة الأخيرة من الإصحاح السادس
عشر وهي التي إمتدت على النص المشار إليه، ومما ورد في هذا الشأن ما
ذكر من أن:

"هذه الأعداد الإثنى عشر الأخيرة تعرض مشكلة هي من
كبريات المشكلات النصية في العهد الجديد. تكون التفاصيل
الرئيسية على النحو التالي، لايبورد المخطوط السينائي،
والمخطوط الفاتيكانى شيئا من هذا القسم مع أن الذين
نسوخوما ربما كانوا على علم به. وتأتي أربع مخطوطات
أخرى أقل وزنا وشأنا بخاتمة مغايرة وأقصر جدا... أما معظم
المخطوطة الأخرى المكتوبة بالخطوط الكبيرة والخطوط
العادية الجارية... فتؤيد إدراج الأعداد ٩-٣٠ من الإصحاح
السادس عشر... الرأي المقبول عامة وهو إما أن يكون إنجيل
مرقس قد أصيب بتشويه في آخر صفحة منه في وقت جد
مبكر وإما أن مرقس لم يكن بوسعه أن يتمه. ربما بسبب تقاوم
الإضطهاد. ويبقى هناك على كل حال إمكانية رغبة مرقس
في أن يختم الكلام على نحو فجائي منقطع عند العدد
الثامن..."(٢).

(١) تفسير العهد الجديد، ص ١٢٨.

(٢) تفسير الكتاب المقدس، ج ٥، ص ١٦٦. راجع أيضا: دائرة المعارف الكتابية.

مادة إنجيل مرقس. وقاموس الكتاب المقدس مادة إنجيل مرقس.

إن كل الإحتمالات التي وردت في النص السابق تدفع إلى فرض مضمون نص مرقس بما يشمله من تفسير . فهو نص لم يتمكن علماءهم من إثبات صحة نسبته لمرقس كاتب هذا الإنجيل، ولا تعرف كيف نال هذا النص من علماءهم الإقرار والتقدير على ما فيه من غموض، أدى إلى قولهم أنه من أكبر المشكلات النصية في العهد الجديد لعدم وجوده في المخطوطات المعتمدة لديهم، أو أن السبب في ذلك قد يعود إلى ما أصاب إنجيل مرقس من تشويه، أو لعدم تمكن مرقس من كتابته أصلاً لخوف أصابه من تزايد الإضطهاد، أو لرغبته في عدم إضافتها.

ب - مسألة ظهور المسيح لبولس^(١)

أورد سفر الأعمال هذه القصة على لسان بولس فذكر أنه تلقى تكليف المسيح له بنشر دينه بين الأمم قائلاً له: (قم وقف على رجلك لأني لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به منقذاً إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا...)^(٢).

لقد حدد بولس بكلامه هذا السياسة التي اعتمد عليها في نشر الديانة المسيحية، وجعل غفران الخطايا الأساس في هذه الدعوة، كما أكد أن من لم

(١) بولس: ذكر إنه كان من ألد أعداء المسيح وهو يوناني الجنسية، واسع الثقافة وبعد حادثة الصلب بأربع سنين يفاجئ الناس باعتناقه المسيحية ودفاعه عنها وبتكريس وقته، وماله للدعوة إلى المسيحية، كتب "١٤" رسالة أرسلها إلى مختلف الأمصار، وقد لقيح المسيحية بكثير من الأفكار والعقائد العالمية حتى يضمن لها القبول في مختلف الأصقاع ومات سنة ٦٧ أو ٦٨ ب.م. راجع: دائرة المعارف الكتابية. مادة بولس الرسول وقاموس الكتاب المقدس. مادة بولس.

(٢) سفر الأعمال. الإصحاح السادس والعشرون، الفقرات: ١٦-١٨

يؤمن بالفادي، وهو يعمل البر لن ينال من بره هذا شيئاً وإلى الجحيم مصيره،

وفي هذا الشأن تحدث بولس إلى أهل رومية قائلاً: (الذي يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل نعمة بل على سبيل دين. وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر بإيمانه يحسب له برًا)^(١)، ويتبين لنا مما سبق أن الحديث عن عالمية الديانة المسيحية كان يستدعي الإشارة إلى بولس الذي أخذ على عاتقه نشر هذه الديانة في أرجاء المعمورة وقتئذٍ، وقد فسرت دائرة المعارف الكتابية هذه المسألة لتأكيد تكليف المسيح لبولس، وجاء هذا التأكيد على النحو التالي:

"القناعة ... التي أصبحت واضحة أمام بولس، هي أن الرب يسوع المسيح قد اختاره ليكون رسولاً للأمم يحمل إليهم رسالة الرب الذي صلب وقام، ولكي يأتي بهم إلى وحدة الجسد في المسيح كان واثقاً أن الرب أعطاه فهما جديداً لتدبير الفداء"^(٢).

القسم الثالث:

ومن الدلالات التي إعتدتها المسيحية لتثبيت فكرة عالمية المسيحية، ماورد في العهد الجديد عن المسيح كديان للعالم، مقرررة أن خالق السموات والأرض موجد البشر لن يتولى حساب ذرية آدم، فحسابهم من إختصاص المسيح، وقد وردت جملة من النصوص المسيحية تدل على ذلك، منها:

١- ماورد في إنجيل يوحنا: (لأن الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للإبن)^(٣).

(١) الإصحاح الرابع، الفقرتان: ٤ و ٥.

(٢) مادة بولس الرسول. راجع أيضاً: المستشار محمد عزت الطهطاوي، اتميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق، ص ٤١٦.

(٣) الإصحاح الخامس، الفقرة: ٢٢.

٢- كما ورد في إنجيل متى: (ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة قديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده. ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء. فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار. ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم... ثم يقول أيضا للذين عن اليسار اذهبوا عني يا ملاحين إلى النار الأبدية المعدة لأبليس وملائكته...)(١).

وللدلالة على الأهمية التي شملتها هذه العقيدة يكفينا النظر إلى قرار مجمع نيقية المعتمد عام ٣٢٥م، والذي تحدث عن المسيح فقد قال: (وسياتي من هناك -أي السماء- ليدين الأحياء والأموات)(٢).

وقد فصلت دائرة المعارف الكتابية ما سيحدث في هذا اليوم مبينة حالة المؤمنين الحقيقيين بقولها: "سيكون كل المؤمنين بجانب المسيح عند الدينونة..."(٣).

كما أكدت أن هذا الحساب سيكون شاملا للإنسانية كلها إذ قالت: "والذين سيقفون أمام المسيح للدينونة هم كل البشر ابتداء من آدم وبلا إستثناء ولكن بخاصة كل المدينين..."(٤).

(١) إنجيل متى، الإصحاح الخامس والعشرون، الفقرات: ٣١-٤١.

(٢) القس إلياس مقار، إيماني، ص ٦٦.

(٣) مادة مجئ المسيح، راجع أيضاً القديس أغوستينوس خواطر فيلسوف في حياة الروحية للقديس أغوستينوس، نقلها إلى العربية الخوري يوحنا الحلو، ص ٥٩.

(٤) دائرة المعارف الكتابية، مادة مجئ المسيح. راجع أيضاً: القديس أغوستينوس، خواطر فيلسوف في حياة الروحية للقديس أغوستينوس، نقله إلى العربية، الخوري يوحنا الحلو، ص ٥٤.

كما قررت أن التفرقة بين السعيد والشقي في يوم الدينونة تكون على أساس الإيمان بالمسيح بقولها:

"وأما جماعة المؤمنين القديسين الذين تبرهن أعمالهم على إيمانهم وبرهم، فسوف لا يأتون إلى الدينونة... وسوف يدين المسيح الناس حسب أعمالهم... وحيث إن أساس كل عمل خاطئ إنما هو عدم الإيمان، فسيكون الفصل هو الإيمان أو عدم الإيمان"^(١).

وهكذا أصبح هذا اليوم يمثل في نفوس اتباع الديانة المسيحية الحلم الذي يتطلعون إليه، ويعقدون الأمل على حدوثه، فإيمانهم بالفادي سيحقق لهم السعادة، والنعيم، والنجاة، من الخطايا.

وعن هذه القضية تتحدث رسالة رومية قائل (إذا لاشئ من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح. لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقتني من ناموس الخطية والموت)^(٢).

كما يقرر علماء المسيحية أن حدوث هذا اليوم محال ما لم تنتشر دعوة المسيحية في ذرية آدم، التي حملت الخطيئة عن أبيها واحتاجت فداء المسيح وخلصه، وعن ذلك تحدث إلياس مقار فقال:

"ثمة علامة أكيدة تسبق مجئ المسيح، وهي وصول رسالة الإنجيل إلى كل العالم، إذ يقول السيد: (ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم) (مت ٢٤: ١٢) ولا ينازع أحد قط في ضرورة وصول هذه

(١) دائرة المعارف الكتابية، مادة مجئ المسيح. راجع أيضا: القديس أغوستينوس، خواطر فيلسوف في حياة الروحانية للقديس أغوستينوس. نقله إلى العربية الخوري يوحنا الحلو، ص ٥٩-٦٠.

(٢) في الأصحاح الثامن، الفقرتان: ١ و ٢.

الرسالة إلى جميع أطراف الأرض قبل مجئ المسيح... إذ ستصبح الأرض كلها للرب ولمسيحه، وتحكم مبادئ الإنجيل... حياة الناس، وجميع تصرفاتهم وأعمالهم، وعليه فيمكننا أن نؤكد مبدئياً أن الكرازة بالإنجيل في كل الأرض هي القدر المتيقن المتفق عليه عند الجميع، وإنها لا بد أن تتم قبل مجئ المسيح^(١).

ويتبين لنا مما سبق عظم الإهتمام بمبدأ عالمية المسيحية فلا يتصور الإيمان بها دون العمل على نشرها في أصقاع المعمورة، ولذا نجد النصارى يعملون بجد على تحقيق هذا المبدأ مستخدمين شتى الوسائل في إقناع الأمم بالفادي المسيح. وستكون لنا رجعة إلى هذا الموضوع، لإلقاء الضوء على جانب آخر يتعارض وقولهم بالعالمية، تفادي النصارى الوقوف عنده، لقوة حجته في دحض قولهم بهذه العقيدة.

(١) إيماني، ص ٥٣٧.

الفصل الثاني

الإثم الفردي والغفران في تصور الكنيسة

يتبين لنا من العرض المتقدم أن الأساس الأول في الديانة المسيحية هو عقيدة الخلاص، فالمسيح المخلص نزل من السماء وصلب ومات ليخلص المؤمنين من وزر الخطيئة الأولى، التي تحملتها البشرية قرّونا طويلة، فالإبتلاء في عرف المسيحية ليس إلا نتيجة للعنة الخطيئة التي أوقعها الإله على آدم وذريته بعد السقوط، وقد أشار إلى ذلك معجم اللاهوت الكاثوليكي فذكر "أن سبب العذاب والألم والموت هو الخطيئة عينها -أي الخطيئة الأصلية-"^(١)، وهذا يعني أن موت المسيح كان لرفع هذه اللعنة، كما أشار القس إلياس مقار إلى هذه المسألة فقال: "موت المسيح كان كفارة وفداء عن العقوبة التي وقعت على الجنس البشري كله بسقوط نائبه الأول"^(٢).

ورغبة منه في توضيح غاية الخلاص قال إنها ليست هي رفع الخطيئة كعقوبة فحسب، بل أكثر من ذلك التحرر منها كعادة وسرطان ومرض.^(٣)

واعتماداً على هذه العقيدة فإن المؤمن المسيحي يتحول بعد الفداء إلى حالة النقاء التي خلق عليها الإنسان الأول قبل السقوط خال من الخطيئة ولعنيتها، سعيداً كما كان قبلها. غير أننا لو تناولنا هذا الأمر من منظور واقعي

(١) مادة الخطيئة الأصلية.

(٢) إيماني، ص ٣٩٨.

(٣) القس إلياس مقار، إيماني، ص ٤١٠. راجع أيضاً: شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي القرافي، الأجوبة الفاخرة ص ١٠٩. وعبد المجيد الشرفي، الفكر الإسلامي في نرد على النصارى - إلى نهاية القرن الرابع/العاشر، ص ٣٩٩-٤٠٠.

فسنجد أن الحياة المسيحية لم تتغير، فما زالت كما عرفها التاريخ تشوبها المكاره ويعتريها الشقاء، والمؤمن المسيحي مازال متقلا بالمصائب يشقى ويتعب، والشروع لم تزل تحيط بمجتمعات ترفع الصليب فوق رؤسها.

وقد أثار هذا التناقض بين الواقع الذي يعيشه الفرد المسيحي، والعقيدة التي آمنوا بها، سؤالاً مهماً هو، لم إذا صلب المسيح ومات، مادام ذلك لم يغير معالم الواقع المر؟ وأين الخلاص الذي وعدوا به؟ ولم يكن مصدر هذا السؤال استنتاجاً بني على الظن، فقد إعترف بوجوده كثير من علماء الديانة المسيحية، ومنهم القس إلياس مقار، الذي حاول في كتابه (إيماني) تفسير ما يتضمنه من تناقض، قائلاً:

"ولكن السؤال ما يزال يتابعنا، إذ بأى معنى يخلص المسيح من الخطية؟ ومن الواضح إذا كان مخلصاً حقاً، فلا بد أن يخلص إلى التمام من جميع ما تطبعه أو تتركه الخطية في حياة الإنسان وفي لغة أخرى لا بد أن يتمم"^(١).

وأمام تلك التناقضات إنقسم المؤمنون بالمسيح إلى قسمين: قسم حاول تطبيق تعاليم المسيح المثالية إعتقاداً منهم أنهم نالوا الخلاص بإيمانهم به، منتظرين تغير حالهم تحقيقاً لوعدهم قدم لهم من رجال الكنيسة، ليفاجئوا بأن الشقاء مازال ملازماً لهم والمصائب تزورهم بين الحين والآخر، الأمر الذي أصابهم بخيبة مريرة دفعتهم للإبتعاد عن الكنيسة ورجالها، رافضين سلطانها وتعاليمها، فقد أثبتت التجربة الواقعية فساد أقوال رجالها وتعاليمهم.

وقسم آخر إتبع هواه مرتكباً المخازي غير أبه بالفضائل الأخلاقية التي نادى بها الأديان السماوية، إعتقاداً منه على الخلاص الذي وعد به من

قبل الكنيسة فبايمانه يخلص لا بالأعمال، فالفاسق والصالح سواء بإيمانها بالمسيح الفادي، وهكذا ابتعد هذا القسم عن الكنيسة، فما الداعي للإرتباط بها وتنفيذ تعاليمها مادام المسيحي قد نال الخلاص بإيمانه القلبي لا بالأعمال.

وعن الإعتقاد بهذا الخلاص، تحدث بولس في رسالته إلى أهل رومية بقوله: (برُّ الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون. لأنه لا فرق. إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله لإظهار بره في الزمان الحاضر ليكون باراً ويبرر من هو من الإيمان بيسوع. فأين الإفتخار. قد إنتفى بأي ناموس. أبناموس الأعمال. كلا. بل بناموس الإيمان. إذا نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس)^(١).

كما ورد في السفر نفسه في الإصحاح الخامس منه أنه قال: (لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون فبالأولى كثيراً نعمة الله والعطية بالنعمة التي بالإسنان الواحد يسوع المسيح قد إزدادت للكثيرين. وليس كما بواحد قد أخطأ هكذا العطية. لأن الحكم من واحد للدينونة. وأما الهبة فمن جرى خطايا كثيرة للتبرير. لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح. فإذا كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة. لأنه كما بمعصية الإسنان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً.)^(٢).

(١) رسالة بولس الى أهل رومية. الإصحاح الثالث، الفقرات: ٢٢-٢٨.

(٢) الرسالة نفسها، الفقرات: ١٥-١٩.

ولمعالجة هذا الإنقسام الذي سبب حرجا لرجال الكنيسة، حاول بعض الباحثين المسيحيين التفرقة بين الخطيئة الأصلية التي إنتقلت للبشرية من آدم والخطيئة الفعلية التي تصدر عن الإنسان بذاته هو.

أما كيف يمكن أن يرتكب المؤمن الخطايا وهو الذي تطهر من الخطيئة الأولى ولعنتها ليصبح كما كان عليه الإنسان الأول قبل السقوط نقيًا خاليًا من أي فساد. فقد حاول تفسيره أحد رجال الدين المسيحي فقال:

"الإنسان لا يرث من أبويه مجيئه إلى العالم بما يحفل به هذا المجد من شقاء أو ضيق أو ألم أو تعاسة أو شدة قد يلاقيها في هذه الأرض، بل يرث أكثر من ذلك مركز أبويه القانوني أمام الله..."

-الخطيئة الأصلية- التي تلاحق مولود كل امرأة بنص الكتاب والواقع، فالكتاب يفيد بأن الجنس البشري ورث الأبوين الأولين في سقوطهما الجرم وفساد الطبيعة، ألم يقل داود في ذلك: (هاأنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بي أُمي) (مزاه: ٥) وقال بولس (من أجل ذلك كاتبًا بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا إجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع) (رو ٥: ١٢). والواقع يشهد بذلك تماما لأن آدم وحواء إما أنهما كانا في سقوطهما نائبين عن الجنس البشري. أو أن هذا السقوط كان قاصرا عليهما دون أن يمتد إلى أولادهما، فإذا كان الأمر الأخير فمعنى ذلك أننا نولد أبرياء في استقلال تام عن كل نزعة أو ميل أو إتحراف إلى الشر أو الفساد أو الخطية،... وهذا مالا يستطيع التسليم به على وجه الإطلاق!!... فإذا أمكن التسليم بالطبيعة البشرية الفاسدة من واقع الاختبار

الملموس في حياة الناس، فإن النتيجة تنتهي بنا بالدليل العكسي إلى قبول السبب والتسليم بحقيقة الوراثة الآتية إلينا من الأبوين الأولين، فإذا أضيف إلى هذا أننا خطاة ومدينون ليس على أساس الخطية الأصلية فحسب، بل على أساس ما ارتكبت من خطايا فعلية مستمرة دائمة أمام الله، أضحي مركز كل بشري مركز المدين أمام الله بدين الخطية الأصلي والفعلي معا... لقد خلق الله الإنسان وربطه بطبيعته تعالى ونظامه وناموسه الأدبي، وكل خروج على هذه الطبيعة وحكمها الأدبي وعدالتها وحقها وقداستها لا بد أن ينال الجزاء، والإنسان بهذا المعنى مدين من هامة رأسه إلى أخمص القدم، وفي حاجة إلى الخلاص من دين الخطية^(١).

وهكذا أصبح المؤمن المسيحي في وضع لا يحسد عليه، فما كاد يفرح بالخلاص المزعوم حتى اعتراه الأسى، فقد وقع بما خلص منه، فهاهي ذي خطاياها تضيق خناقها عليه بسلاسل الشقاء والألم والحزن.

وهذا ما أرادت الكنيسة أن يحدث، فهي تريد مهزوما ضعيفا لاجئا إليها يبحث عن النجاة، والإجابة عن هذه القضايا التي عجز العقل عن فهمها، فكيف يحمل وزر خطية أبويه وخطيئته الشخصية، في حين يحمل أبواه وزر خطيئتهما فقط، وإذا كان العدل تحقق بصلب المسيح فداء من الخطيئة الأولى وميراثها، فهذا الفداء نعمة لأدم وحواء الذين نجوا بالفداء من خطيئتهما، وأصبحا نقيين من الدنس كحالتهم الأولى قبل السقوط، أما ابن آدم فبعد الفداء من الخطيئة الأصلية، مازالت عليه الخطايا الفعلية التي صدرت منه نتيجة ميراث فساد الطبيعة الذي إنتقل إليه من أصله الأول.

(١) القس إلياس مقار، إيماني، ص ٣٨٥-٣٨٧.

فما السبيل للنجاة من هذه الخطايا، إذا كانت التوبة والأعمال لا تؤدي إليها. ولقد عمدت الكنيسة عند رؤية أتباعها وهم على هذه الحالة من الإضطراب، أن تصدرت عقولهم مقررة أن مفتاح النجاة بأيدي رجالها، فهي التي بإمكانها غفران هذه الخطايا الفردية أو جزء منها مقابل الاعتراف وأداء التعويض الذي يقرره رجل الدين.

ولتطفي على ذلك ثوب الشرعية أصدرت قانونا بمنح هذه الصلاحية لرجل الدين، وهو الصادر عن المجمع الثاني عشر المنعقد في روما عام ١٢١٥م.^(١)، فقد كان من أهم قرارات هذا المجمع مانصه "الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء"^(٢)، ولكن رجال الكنيسة، وعلى رأسهم البابا "الرئيس الأعلى للكنيسة كلها حسب التعليم الكاثوليكي"^(٣)، من ذرية آدم، فإذا غفرت خطيئتهم الأصلية بالفداء كما يقرر دينهم، فمازالت خطاياهم الشخصية تلاحقهم أينما ذهبوا، فكيف يتسنى لمخطئ تبرئة مخطئ وكيف يمنح الغفران من هو في حاجة إليه^(٤)، ولتفادي هذا الاحتجاج الذي ترتفع به أصوات الكثيرين، أصدروا قراراً آخر يفيد عصمة البابا، وهو القرار الصادر عن المجمع العشرين المنعقد في روما عام ١٨٦٩م.^(٥).

وهكذا أصبحت قرارات الكنيسة قرارات تتسم بالعصمة من الضلال، فرأسها البابا معصوم، وعصمته تلك تنتقل بالتالي لقراراته. ولكن ما هي

(١) راجع: متولي يوسف شلبي، أضواء على المسيحية ص ١١٥. راجع أيضاً: الدكتور

رؤوف شلبي، يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ص ٢٤٧.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) معجم اللاهوت الكاثوليكي، مادة البابا.

(٤) راجع: كتاب المباحث في إعتقادات بعض الكنائس، ص ٥٦-٦٣.

(٥) راجع: متولي يوسف شلبي، أضواء على المسيحية، ص ١١٦. راجع أيضاً: الدكتور

العصمة وما حدودها؟ فقد تكفل معجم اللاهوت الكاثوليكي ببيان المراد منها فقال:

تعني هذه الكلمة أن تعليم الكنيسة عندما يعرض عقيدة إيمانية بصورة نهائية وموجبة، هو معصوم بالنعمة من كل ضلال... وبما أن الكنيسة هي وجود تاريخي في يسوع المسيح لإرادة النعمة الإلهية وبالتالي، في الحقيقة والمحبة، للخلاص النهائي الذي لا يناهضه شيء في هذه الحياة، فإنه من الواجب أن تعصم بمجملها بقوة نعمة الله (وليس بقوى أعضائها البشرية) لكي لا تحبط عن الحقيقة الإلهية^(١).

أما من أين استمدت الكنيسة هذا الوجود التاريخي في يسوع المسيح، فيشير إليه القس إلياس مقار، إذ يقول:

"إن للكنيسة سلطان لأشبهه فيه، وهي تستمد هذا السلطان من وعد المسيح وأمره إذ قال لبطرس: (وأعطيك مفتاح ملكوت السموات فكل ماتربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات وكل ماتحلته على الأرض يكون محلولاً في السموات) (مت ١٦-١٩) على أن المسيح وهو يعطي هذا السلطان لبطرس لم يعطه إياه كفرد، بل كالتلميذ المعترف والمؤمن بلاهوت المسيح عندما قال: (أنت هو المسيح ابن الله) وقد أكد المسيح هذا بما لا يدع مجالاً للبس، إذ بين أن هذا سلطان الكنيسة كلها: (وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار. الحق أقول لكم كل ماتربطونه على الأرض يكون مربوطاً في

(١) معجم اللاهوت الكاثوليكي، مادة العصمة.

السماء وكل ماتحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء) (مت ١٨: ١٧ و ١٨). وقد تأيد هذا السلطان بأمر المسيح قبل الصعود عندما قال: (دفع إلى كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والإبن والروح القدس) (مت ٢٨: ١٨ و ١٩) وهذا حق لأن الكنيسة كمنظمة على الأرض ينبغي أن يكون لها سلطان يقرر وينظم ويدعم كيانها ورسالتها وأعمالها...^(١).

وهكذا أرست الكنيسة سلطانها في نفوس أتباعها بنصوص من الأنجيل، وبقرارات مجمعية، لتتحول بعد ذلك لكيفية استثمار هذه السلطة فأصدرت ما أسمته بالوصايا الخمس، وجعلت تطبيقها ملزماً لكل مسيحي بعد التعميد^(٢) وبلوغه السابعة من العمر.^(٣) والذي يهمننا هنا من تلك الوصايا الوصية الرابعة فقد جاء فيها: "الإعتراف السنوي (إذ كانت هناك خطايا مميتة)"^(٤).

كما تكفل معجم اللاهوت الكاثوليكي ببيان ماهية هذا الإعتراف تحت مسمى "سر التوبة"، مبيناً أنه يكون سراً بين الكاهن والخطي الذي يعترف

(١) إيماني، ص ٤٧٩. راجع أيضاً: معجم اللاهوت الكاثوليكي، مادة الكنيسة.

(٢) المعمودية في العهد الجديد تشبه الختان في العهد القديم، وكلاهما علامة على العهد. ويصرح الله للمعمد، بواسطة هذه العلامة. بغفران الخطايا، ومنح الخلاص، أما للمعمد فيتعهد هو أو المسئولون عنه، بالطاعة لكلمة الله والتكريس لخدمته... أي أن المعمودية تختم وتشهد على إتحاد المؤمنين بالله، والبنوة وغفران الخطايا وبموت المسيح وقيامته...، راجع: قاموس الكتاب المقدس، مادة معمودية.

(٣) راجع: معجم اللاهوت الكاثوليكي، مادة وصايا الكنيسة. والدكتور رؤوف شلبي.

يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، ص ٢٦٠.

(٤) المرجع نفسه.

بذنبه، مضيفاً أنه:

"بواسطة هذا السر يبعد الهلاك عن الإنسان ويمحي الفعل الذي به سَلِمَ الخاطئ لسُلطان الشيطان...

إن الندامة الباطنية التي أساسها الإيمان هي شرط مسبق ضروري لتتيمم السر بصورة صحيحة وفعالة ... إن الاعتراف يجب أن يعم الخطايا الثقيلة كلها التي بعد فحص ضمير جدي يتعرف الإنسان إلى مسؤوليته شخصياً في إرتكابها ويقر بذنبه. على هذه الخطايا وحدها يدور الإعتراف وأيضا على جنس الخطايا وعددها مع ما هناك أيضا من خطايا نسيت في إعتراف سابق... إن الإعتراف تغطيه السرية التي تتبع من طبيعة السر... ومنذ المجمع اللائق الرابع هناك واجب، فرضته الكنيسة. واجب جذري بالإعتراف بصورة صحيحة مرة في السنة إذ ماتعرفنا إلى خطايانا الثقيلة وذنوبنا... أن السلطان المعطي للكاهن يتضمن الحق والواجب بأن يفرض على التائب -حسب فطنته الروحية- تعويضا يوازي بشكراً ما تقل الخطيئة ومعطيات التائب الروحية ...

وأن أساس فرض هذه التوبة هو في أن غفران الخطيئة المرتكبة بعد العماد لايمحو ضرورة كل نتائج الخطيئة وعقوبتها، بل عكس ذلك إن الإنسان بواسطة عقوبات الخطيئة التي لا بد منها، والتي يتحملها بصبر وبواسطة نظام التوبة التي يقبلها بإرادته أو التي تفرض عليه، يعني جدية العدل الإلهي وتقل الخطيئة ويدخل في أعماق مشاركة المسيح في آلامه... إن خادم سر التوبة هو الكاهن الذي، لكي يعمل

بصورة صحيحة بالسلطان السري المعطي له لغفران الخطايا^(١).
ويتضح لنا من النص أن إعراف المؤمن وتوبته في قانون الكنيسة
ليسا كافيين للخلاص من الخطيئة الفردية، فلا بد من تعويض يوازي خطيئته
يفرضه الكاهن عليه اعتمادا على فطنته الروحية في تحديده. وللتعويض
أهمية كبرى في الديانة المسيحية - فقد قرر علماءها أن:

"التعويض السري في سر التوبة هو جزء من هذا السر... ومن
المهم أن يتم هذا التعويض السري بضمير ووعي، كتعويض لما
هدمته الخطيئة في الإنسان كتعويض مثلا لحب مجروح. لضرر
أرتكب لصيت تلب.. الخ.. فإذا لم تتمم التعويض السري بعد أن
نكون قد أكدنا إرادتنا كليا للتعويض يظل السر صحيحا، إنما
يجب أن نقوم بذلك التعويض متحملين نتائج الحقيقة الأليمة"^(٢).

أما لو امتنع المسيحي عن أداء التعويض الذي فرض عليه من قبل
الكاهن، فسيكون مصيره دخول المطهر بعد الموت مباشرة كمرحلة تطهيرية
قبل يوم الدينونة، هذا ما ذكره معجم اللاهوت الكاثوليكي بقوله:

"الإنسان يخضع لهذه المراحل التطهيرية إذ يموت مبررا بالنعمة
بمقدار ماتكون حالة "العقاب" (المستحق) لاتزال موجودة فيه ولم
تزل بزوال الخطايا بالغفران يوم التبرير، وبمقدار ما بالإمكان
أن تزيل هذه الحالة عقوبات تعويضه.

أما عن طبيعة هذه المراحل الصحيحة وعن مكان هذه العقوبات فليس
لنا في الكتاب المقدس أي دليل... لا يجب أن تمنعنا كلمة المطهر من أن نجد

(١) مادة سر التوبة.

(٢) معجم اللاهوت الكاثوليكي، مادة التعويض.

كلمة أصح وأحسن لننل على هذه المراحل التي نوهنا عنها ... التي تعني حرفياً النار المطهرة^(١)

وهكذا استطاعت الكنيسة إرساء سلطانها على أتباعها، فلا بد لهم من طاعتها طاعة تامة، فهي مؤسسة بأمر المسيح معصومة رأس وقراراتها إزامية، مما أهلها لغفران خطايا رعاياها بحسب ماترى، وعلى المؤمن المسيحي إن أراد الخلاص من خطايا الشخصيّة التّقدم إليها مرة كل عام على الأقل ليعترف ويتلقى أمرها بتنفيذ التعويض.

وكأني بها تريد من كل فرد من أتباعها أن يدفع ضريبة كنيسة لتتمكن من إدارة شئونها وتوسعة سلطانها وسيطرتها على أتباعها، إلا أن مطامع رجالها لم تنزل تنزاي وتتسع، فأصدروا صكوك الغفران التي عادت عليهم بمزيد من الأرباح^(٢)، ولقد نقل ويل ديورانت عن أحد المعارضين - وهو الكاثوليكي - المساوي التي نتجت عن فرض صكوك الغفران فقال:

"إن المساوي ذات الصلة بصكوك الغفران تشأ كلها تقريبا من سبب واحد وهو أن المؤمنين بعد أن يشهدوا مراسم التكفير وهي الشرط المقرر المعترف به لنيل المغفرة، يطلب أن يقدموا من المال مايتناسب مع ثرائهم وبذلك أصبح المال الذي يؤدي للأعمال الخيرية

وهو الذي يجب أن يكون من الأعمال الناقلة التي لايلزم بها إنسان،

(١) مادة المطهر.

(٢) راجع: لابن محمد عبد الله الترجمان الميروي، تحفة لأريب في الرد على أهل الصليب، دراسة وتعليق عمر وفيق الداغوق، ص ١٦٩-١٧١. ونورمان كانتور، العصور الوسطى إنباكرة-القرن الثالث /التاسع الميلادي، ترجمة وتعليق الدكتور هاشم عبده هاشم، ص ١٤٣-١٤٥، والدكتور قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص ٣٣.

أصبح هذا المال في بعض الحالات هو الشرط الأساسي لغفران الذنوب.. وكثيرا ما أصبح المال لا العمل الصالح هو الغاية المقصودة من الغفران ولسنا ننكر أن العبارات التي صيغت فيها قرارات البابوية يخيّل إلى الإنسان معها أنها لاتحيد مطلقا عن عقائد الكنيسة وأن الاعتراف والندم والأعمال الصالحة المنصوص عليها في هذه العقائد هي الشرط الأساسي لنيل المغفرة، إلا أن الجانب المالي كان يبدو واضحا في جميع الأحوال وكان للهيئات المالية المقام الأول في هذا الأمر كله مما يسربل الكنيسة بالعار ويجعلها مضغة في الأفواه. اتخذت صكوك الغفران شيئا فشيئا صورة الصفقات المالية، وأدى هذا إلى كثير من النزاع بين السلطات الزمنية التي كانت تتطلب على الدوام حظها من هذه الموارد.

ولا يقل عن بيع صكوك الغفران دلالة على حب الكنيسة للمال قبولها أو طلبها المال أو الهبات أو الوصايا نظير تلاوة الأدعية والصلوات التي يقولون إنها تقصر المدة التي تقضيها روح الميت في المطهر لتعاقب عن ذنوبها وكان الصالحون الأتقياء من الناس يخصصون من أموالهم جزءا كبيرا لهذا الغرض لتتجو به روح قريب لهم أو ميت فارق الحياة الدنيا أو ليقصروا المدة هم أنفسهم في المطهر بعد موتهم أو يلغوها إغناء تاما. ولهذا أخذ الفقراء يشكون من أن عجزهم عن أداء الأموال نظير الأدعية والصلوات أو لابتیاع صكوك الغفران يجعل الأغنياء على الأرض لا الوادعين هم الذين يرثون ملكوت السموات، ولقد كان كوليس حصيفا حين امتدح المال لأن (من يمتلك المال يستطيع نقل الأرواح إلى الجنة)^(١)

(١) ويل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة الدكتور عبد الحميد يونس، م٦، ج١،

الباب الثالث

الإسلام والخطيئة الأولى

الفصل الأول: قصة الخطيئة الأولى كما يعرضها الإسلام.

الفصل الثاني: موقف الإسلام من الآثار الناشئة عن

الخطيئة الأولى في اليهودية.

الفصل الثالث: موقف الإسلام من العقائد المرتبطة

بالخطيئة الأولى في المسيحية.

تمهيد:

لم يقر الإسلام بكل ماورد في الكتاب المقدس حول قصة الخطيئة الأولى، بل قرر بعض ماورد فيه وأنكر البعض الآخر، كما أن له موقفا من قضية الآثار التي نتجت عن الإيمان بالخطيئة الأولى في الديانتين السابقتين، كما سيتبين من خلال الحديث في هذا الباب - إن شاء الله.

الفصل الأول

قصة الخطيئة الأولى كما يعرضها الإسلام

عندما نعرض لمعصية آدم وحواء في الإسلام، لابد أن نسترشد بما ذكر في القرآن الكريم المرجع الأول للمسلمين، إذ تكررت الإشارة إليها في أكثر من موضع فيه، وهذا التكرار يدل على الأهمية التي يوليها الإسلام لمضمون هذه القصة.

والمأمل في القرآن الكريم يلحظ أن هذه القصة ترد مجملة في بعض السور، في حين تتوسع في سور أخرى لتورد تفاصيل إضافية عنها، دون أن يكون هناك أي تعارض في الحالتين، لأن الآيات الكريمة تلتقي جميعها حول مضمون واحد، يختلف اختلافا كبيرا في سرد أحداثها عما ذكر في التوراة. فالمضمون القرآني لهذه القصة يبدأ دائما بشرح أسباب العداوة الأزرية بين بني آدم والشيطان، وهو شرح له أهميته إذ به يستطيع الإنسان أن يقدر عداوة هذا المخلوق وشره، مما يدفع به إلى الحذر منه وتجنب غوايته وضلاله.

ومن الآيات التي نجد فيها تصويراً تفصيلياً لهذه القصة قوله تعالى: [ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة أسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين، قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فأخرج إناك من الصاغرين، قال أنظرني إلى يوم يبعثون، قال إناك من المنظرين، قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لأتبنهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ولأتجد أكثرهم

شاكرين، قل أخرج منها مذعوماً مححوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين^(١).

ونجد هنا أن الله سبحانه وتعالى يخبرنا أنه بعد أن أتم خلق الإنسان أمر ملائكته بالسجود والخضوع له إظهاراً لفضله، فامتثل جميع الملائكة لأمره، إلا إبليس الذي امتنع عن الإمتثال لهذا الأمر، كما يؤكد ذلك قوله تعالى: **[إِذَا ابْلِيسُ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ]**^(٢). ولا يعني الإستثناء في هذه الآية الكريمة أنه /لعنه الله/ كان من الملائكة، وقد وضع ذلك الأستاذ سيد قطب بقوله:

"يُوحى السياق أن إبليس لم يكن من جنس الملائكة، إنما كان معهم - فلو كان منهم ماعصى. وصفتهم الأولى أنهم **[لَا يَعصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُأْمُرُونَ]*** والإستثناء هنا لا يدل على أنه من جنسهم فكونه معهم - يجيز هذا الإستثناء، كما تقول: جاء بنو فولان إلا أحمد. وليس منهم إنما هو عشيرتهم"^(٣).

والواقع إن القرآن نفسه يوضح جنس إبليس ويبين أنه ليس من الملائكة، كما أشير إلى ذلك في قوله تعالى: **[وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا ابْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ]**^(٤). أما السبب الذي يكمن وراء عصيانه وعدم خضوعه لأمره سبحانه فيعود إلى كبره وغطرسته، إذ اعتقد بأفضلية أصله على أصل آدم المخلوق من طين،

(١) سورة الأعراف، الآيات ١١: ١٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١١.

* سورة التحريم، الآية ٦.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ١، ص ٥٨.

(٤) سورة الكهف، الآية ٥٠.

ولم ينظر لعنه الله إلى التشريف الذي لحق بهذا المخلوق، عندما خلقه الله سبحانه بيده نافخاً فيه من روحه^(١)، ولم يلتفت إلى خاصية العلم التي تفرد بها آدم عليه السلام -بفضل علام الغيوب- فزاده ذلك شرفاً. قال تعالى: [إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين]^(٢). وقال: [قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين]^(٣).

كما قال سبحانه عن علم آدم: [وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون]^(٤). وقد كان الجزاء عصيان إبليس وتمرده عن الإمتثال لأمر الله، أن طرد من الجنة وكتبت عليه الذلة والمهانة، وبين القرآن الكريم حال إبليس بعد أن صدر حكم الله عليه، إذ نذر نفسه لغواية الإنسان وإضلاله، ولتحقيق ذلك طلب من الله سبحانه أن ينظره إلى يوم الدين، وما أن سمع أنه من المنظرين حتى أعلن عداوته وحقده على هذا المخلوق وذريته، مقررراً عزمه على إضلال وإغواء من يقدر عليه منهم وبكل الوسائل، وبدلاً من أن يتوجه إلى الله تائباً طالباً العفو والصفح معترفاً بذنبه، توجه إليه طالباً إمهاله ليتمكن من إغواء الإنسان بغضاً وحقداً منه وحسداً، وكأنني به - لعنه الله - قد علّق

(١) راجع: ابن كثير، تأثير القرآن العظيم. ج ٢، ص ٢٠٣، وعبد الرحمن ابن ناصر

السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ٣، ص ٨.

(٢) سورة ص، الآيتان ٧١ و٧٢.

(٣) سورة ص، الآية ٧٥.

(٤) سورة البقرة، الآيات من ٣١-٣٣.

ذنوبه وشروره وتمرده على آدم، فدفعته قوى الشر فيه إلى إلحاق لعنته بمن فضله الله تعالى عليه، وبمن كان حسب ظنه المتسبب لما أصابه من طرد وذلة ومهانة، وبعد أن أخبرنا تعالى بمدى عداوة إبليس لآدم تحدث عن معصية آدم - الخطيئة الأولى - لتكون لنا عبرة ودرساً فيزيدنا ذلك حذراً منه، فقد أسكن الله سبحانه وتعالى آدم وزوجه الجنة، وأوصاهما بعدم الإقتراب من شجرة عينها لهما، مبيحاً لهما كل شئ عداها، وتوضيح ذلك في قوله تعالى: **[ويا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين]**^(١) فأمر الله سبحانه وتعالى - كما تبين في الآية الكريم - لا يقتصر على تحريم الأكل من الشجرة المعينة على آدم وحواء بل شمل كذلك تحريم الإقتراب منها، ولم يقتصر أمر الله سبحانه على تحذيرهما من كيد الشيطان، بل أظهر لهما عداوته وما ينوي بهما من شر، قال تعالى: **[فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى، إن لك ألا تجوع فيها ولا تعري وإنك لانتظما فيها ولا تضقى]**^(٢).

وكان على آدم الإلتزام بما أمره وأوصاه به الله سبحانه وتعالى، غير أنه نسي وضعف عزمه فعصى أمر الله متبعاً كيد الشيطان عدوه، قال تعالى: **[ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً]**^(٣).

إذا إستجاب آدم وحواء لوسوسة الشيطان وإغوائه وقد قال الله في ذلك: **[فوسوس لهم الشيطان ليبدى لهما ما ورى عنهما من سوءاتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين. وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين، فدلاهما**

(١) سورة الأعراف، الآية ١٩.

(٢) سورة طه، الآيات من ١١٧-١١٩.

(٣) سورة طه، الآية ١١٥.

بغور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهما عن تلكما الشجرة وأقل لهما إن الشيطان لهما عدو مبين^(١). فلقد خدعهما الشيطان بوسوته، عندما أعاد السبب في نهي الله سبحانه لهما عن الأكل من الشجرة المحرمة لكي لا يصبحا من الملائكة، أو حتى لا يكونا من الخالدين، وإمعانا في تأكيد كلامه هذا أقسم أنه لهما من الناصحين، فاغترا بقسمه واتبعا غوايته، ليقعا في المعصية بأكلهما من الشجرة المحرمة. وهكذا ظهرت عورتها بعد أن كانت مستورة كنتيجة فورية مباشرة للمعصية، فأخذا في سترها على الفور بما وقع تحت أيديهما من أوراق الجنة خجلاً منهما وندما على ما اقترفا من معصية.

وقد عاتبها الله ووبخها على معصيتها لأمره واتباعها لكيد إبليس وغوايته، مما زاد في ندمها على ما قدمت أيديهما، فتوجهها إلى الله سبحانه تائبين طالبين المغفرة. قال تعالى: **[قَالَ رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ]**^(٢).

فقبل سبحانه توبتهما وعفى عنهما بفضلته ومنه، قال سبحانه: **[وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى]**^(٣)، ليتحقق بعد ذلك قدر الله سبحانه باستخلاف آدم في الأرض. وقد أشار تعالى لملائكته إلى هذا الاستخلاف إذ وجدوا في أنفسهم شيئا من استخلاف جنس يفسد في الأرض ويسفك الدماء. فبين لهم جل شأنه أنها خلافة قائمة على العلم بطبائع الأشياء، وهو ما ينقص الملائكة رغم تأصل الطاعة فيهم وما فطروا عليه من العبادة، قال تعالى:

(١) سورة الأعراف، الآيات من ٢٠-٢٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٢٣.

(٣) سورة طه، الآيتان ١٢١ و١٢٢.

[وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون. وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون] ^(١).

والآيات الكريمة تبين أن الله سبحانه وتعالى وضع حقيقة هذه الحياة. وأنها تختلف عما عهدته في الجنة، فلا نعيم مقيم ولا راحة دائمة، بل ابتلاء يعقبه حساب وجزاء، فمن اختار طريق الهدى واتبع ماجاءت به رسل الله فلا خوف عليه في الآخرة. أما من اختار طريق الضلال فمأواه جهنم وبئس المصير.

قال تعالى: [قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون] ^(٢).

هذه قصة معصية آدم وحواء كما وردت في الإسلام، ومن مجموع الآيات التي تحدثت عن هذه القصة يتضح الآتي:

أولاً: إن المعصية وقعت من آدم وحواء، فقد نسب القرآن الكريم الذنب لكليهما، ولم يجعل حواء المسئول الأول عن المعصية على نحو ما ذكرت التوراة، بل نجد بعض الآيات تخص آدم عليه السلام بالمسئولية، كما في قوله تعالى: [فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك

(١) سورة البقرة، الآيات من ٣٠-٣٣.

(٢) سورة البقرة، الآيات ٣٨ و٣٩.

ولزوجك فلا يخرجكما من الجنة فتشقى. إن لك إلا تجوع فيها ولا تعري، وأنك لا تظموا فيها ولا تضحي^(١).
 وقوله سبحانه [وعصم آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى]^(٢). ولعل ذلك يدل على سمة القوامة التي اختص الله بها الرجل.

ثانياً: إن القرآن الكريم لا يتضمن أي تحديد لنوع الشجرة المحرمة، فجميع الآيات التي تتحدث عنها لم تشر إلى نوعها. وقد أشار الطبري إلى ذلك بقوله: "لاعلم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن ولافي السنة الصحيحة"^(٣).
 بخلاف ما ذكره العهد القديم وشراحه من أهل الكتاب. مما أوقعهم في كثير من اللبس على نحو ماسبق بيانه.

ثالثاً: إن الحية لادور لها في هذه المعصية، إذ لم ترد أي إشارة إليها في النص القرآني، بل إن جميع الآيات التي تحدثت عن معصية آدم نصت على أن إبليس هو الموسوس المباشر، مظهرة عمق عداوته للإنسان، وقد أشار الطبري إلى هذه الحقيقة بقوله:

"الحق عندنا ما كان لكتاب الله موافقا، وقد أخبر الله تعالى ذكره عن إبليس أنه وسوس لأدم وزوجته ليبيدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما، وأنه قال لهما مانباكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين من الخالدين وأنه قاسمهما أني لكما من الناصحين مدليا لهما بغرور، ففي إخباره جل

(١) سورة طه، الآيات من ١١٧-١١٩.

(٢) سورة طه الآيتان ١٢١ و١٢٢.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن، م ١، ص ١٨٥. راجع أيضاً: ابن كثير، تفسير القرآن

العظيم، ج ١، ص ٧٩. ومحمد رشيد رضا، تفسير القرآن تحكيم، م ١، ص ٢٧٨.

ثأوه عن عدو الله أنه قاسم آدم وزوجته بقوله لهما أني لكما
من الناصحين الدليل على أنه قد باشر خطابهما بنفسه أما
ظاهراً لأعينهما وإما مستجناً في غيره^(١).

ونذكر أن مانصت عليه التوراة من إسناد الإغواء إلى الحية وماترتب
على هذا الإسناد، كان موضع تساؤلات كثيرة لم نجد لها إجابة مقنعة
لا من النصوص المقدسة، ولا من تعليق الشراح عليها^(٢).

رابعاً: إن القرآن الكريم ركز على إظهار العداء الذي يكنه إبليس حيال آدم
وحواء بل حيال الجنس البشري كله، على حين لم تشر التوراة إلى هذه
العداوة على الإطلاق في عرضها لقصة الخطيئة الأولى.

خامساً: يقرر القرآن الكريم أن آدم وحواء تابا ورجعا عن المعصية طالبين
الغفران من الله سبحانه وأنه - بفضلِه ومنه - قبل توبتهما، بل
ألهمهما صيغة التوبة [فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه
هو التواب الرحيم]^(٣) والكلمات هي ما ذكرته الآية الكريمة [قالا
ربنا ظلما أنفستنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين]^(٤).

وعلى هذا فلم يحمل آدم وحواء ثقل معصيتهما بعد أن هبطا إلى
الأرض على نحو ما تقرره التوراة، بل إن القرآن الكريم ليشير إلى أن آدم
أصبح بعد ذلك نبياً يتمتع بنعمة الاجتناب. [وعصم آدم ربه فغوى، ثم
اجتباه ربه فتاب عليه وهدي]^(٥) وفضل الاصطفاء [إن الله اصطفى
آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران علم العالمين. ذرية بعضها

(١) جامع البيان في تفسير القرآن، م ١، ص ١٨٩.

(٢) انظر الكتاب، ص ٢٦-٣٢.

(٣) سورة البقرة، الآية ٣٧.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٢٣.

من بعض والله سميع عليم^(١) وقد قرر الإسلام اصطفاء آدم ونبوته، عليه السلام، بالكتاب والسنة، فقد ورد أن أبا ذر رضي الله عنه (قال: قلت: يا تبيي الله فأبي الأنبياء كان أول؟ قال: آدم عليه السلام. قال: قلت يا تبيي الله أو نبي كان آدم؟ قال: نعم نبي مكرم ...) ^(٢).

وجدير بالملاحظة أن نبوة آدم، عليه السلام، قضية مسلم بها عند اليهود، وهو ما أكده سعد بن منصور بن كموته اليهودي بقوله: "قالت اليهود إن الأمر الإلهي إتصل أولاً بآدم أبي البشر، عليه السلام. فكان نبياً"^(٣).
سادساً: إن معصية آدم وحواء إنتهت بعد توبتهما ولم تورث لذريتهما، وهذه القضية مهمة جداً لأنها تنتهي في القرآن ببيان قانون العدل الإلهي الذي يقرر بأن [من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى].^(٤)

فليس لمعصية آدم أي علاقة برضى الله علينا أو غضبه فكل منا ينال جزاء عمله.^(٥) فأين هذا التوجيه الإلهي الرفيع من ما ذكرته التوراة من ملاحقة المعصية، لأجيال الإنسانية جيلاً بعد جيل، وكذلك استمرار ناتج هذه المعصية من آثار، بما لا يتفق مع مبدأ العدل الإلهي، وكذلك منطق العقل السليم، هذا هو أهم ما تشير إليه قصة الخطيئة الأولى في الإسلام.

(١) سورة آل عمران، الآيتان ٣٣ و٣٤.

(٢) من حديث طويل أخرجه الإمام أحمد في مسنده لرواته عن أبي أمامة الباهلي، د، ص ٣٦٥.

(٣) تنقيح الأبحاث للمل للثلاث، اليهودية والمسيحية والإسلام، ص ٢٢.

(٤) سورة الإسراء، الآية ١٥.

(٥) راجع: إبراهيم خليل أحمد، الغفران بين الإسلام والمسيحية، ص ١٠٩-١١٠.

الفصل الثاني

موقف الإسلام من الآثار الناشئة عن الخطيئة الأولى في اليهودية

من خلال البحث في الآثار الناشئة عن إيمان اليهود الراسخ لمضمون قصة الخطيئة الأولى. ظهر أنه بالإمكان تقسيمها إلى قسمين رئيسين، الأول.. يتعلق بالعقيدة اليهودية وماطراً عليها نتيجة تأثر اليهود بذلك الإيمان. أما الآخر فيتعلق بالشرعة التي تأثرت بدورها بذلك الإيمان. وكما أشرت في مستهل هذا الباب، فإن الإسلام له موقف خاص من العتد والآثار الشرعية المرتبطة بقصة الخطيئة الأولى في اليهودية، وهو ما سأبينه في هذا الفصل - إن شاء الله.

الآثار المتعلقة بالعقيدة:

سبق حصر الآثار الناشئة عن إيمان اليهود بقصة الخطيئة الأولى

والمعلقة بالعقيدة في الآتي:

أولاً : الصفات الإلهية.

ثانياً : القضاء والقدر.

ثالثاً : النبوات.

رابعاً : الإيمان باليوم الآخر.

وسأتبع هذا الترتيب في بيان موقف الإسلام من هذه الآثار.

أولاً: الصفات الإلهية:

إن الإسلام عندما يتحدث عن الله عز وجل يتحدث عنه بصورة

تتناسب وجلاله وعظمته، فهو فاطر السموات والأرض وما بينهما، وهو الذي

تجب له جميع صفات الكمال التي تليق بذاته سبحانه، وهو بذلك على عكس

اليهودية التي تصور الإله عن حديثها عنه على شكل يبعده عن هذا الكمال الواجب له، فهي تصفه تارة بالجهل وتارة بالظلم والقسوة، فتوراتهم كم تبيير فيما سبق، أظهرت الإله جاهلاً بمعصية آدم إلى أن أخبره آدم بذلك، لتصفه فيما بعد بالقسوة فقد كان قاسياً في حكمه على آدم وحواء، كما لم يقصر هذا الحكم عليهما بل جعله متعدياً إلى نسلهما، وقد ولد اعتقادهم بظلم الإله إحساساً مريراً في نفوسهم بسبب رفضهم لمبدأ توارث خطيئة آدم ولعنته مما أدى إلى إعتراض كثير منهم. وهو مانسبه العهد القديم لنبيهم داود.

وتمشياً مع هذا الاتجاه تحدث كتابهم المقدس عن حقه وظلمه، إذ قررت نصوصه أنه لا يغفر الذنب البتة، بل يحاسب الأحفاد بجرائم الأجداد. وهو في ذلك لا يفرق بين عمل مكلف وعمل غيره، وقد كان ما أشرت إليه سابقاً هو مجمل ما تحدثت عنه في معرض تناولي لموقف اليهود من الصفات الإلهية، ومدى تأثير إيمانهم بخطيئة الأولى على هذا الموقف.

ويختلف موقف الإسلام من الصفات الإلهية إختلافاً تاماً عنه في اليهودية، فالإسلام يعتقد في الذات الإلهية بأنها "غاية ما يتصوره العقل البشري من كمال في أشرف الصفات"^(١).

وقد أثبت الدكتور رفقي علي زاهر تفرد سبحانه بهذا الكمال فقال:
 "ليدرك الحس ما شاء من الصور، ليستوحي العقل ما استطاع
 من المثل، ليضرب الخيال ما شاء من شعاب الكون، أو ليطر
 بأجنحته في آفاق الوهم، فهيهات أن يكون بين جميع
 المدرجات ما يدنو منه سبحانه في كماله الأزلي - كل ما خطر
 ببالك، فالله بخلاف ذلك - هذا ما تقتضيه طبيعة الفرق بين
 المحدود الهالك واللامحدود الأبدى. [ليس كمثل شئ وهو

(١) عباس محمود العقاد. حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، ص ٤٠.

السميع البصير*^(١)

أما سبب كون هذه الصفات الإلهية لا تقبل إلا هذا الكمال فيوضحه ما ذكره الشيخ عبد الرحمن حينكة بقوله: "وذلك أن الربوبية لا يمكن عقلا أن يوجد معها شئ يكافئها أو يدانيها، سواء في أصل الوجود، أو في كمال الصفات، وهذا هو المقتضى الحتمي لمعنى الرب الخالق للكون كله."^(٢)

وهكذا أثبت العلماء والمفكرون إتصافه سبحانه بصفات الكمال، بل تفرد به هذا الكمال.

١ - صفة العلم:

عندما ينزه الإسلام الله تعالى عما وصفه به العهد القديم من جهل، يثبت له صفة العلم الكامل الشامل الذي لا يعزبُ عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض.

والدليل على ذلك قوله تعالى: [يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور]^(٣).

وقوله سبحانه: [وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى]^(٤).

كما قال جل وعلا: [يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً]^(٥).

وقال أيضا: [إن الله كان بكل شئ عليماً]^(٦).

* سورة الشورى. الآية ١١.

(١) قصة الأديان، ص ٣٠٠.

(٢) العقيدة الإسلامية وأسسها، ص ١٩٣.

(٣) سورة غافر، الآية ١٩.

(٤) سورة طه، الآية ٧.

(٥) سورة طه الآية ١١٠.

(٦) سورة النساء، الآية ٣٢.

وقوله: [وعنده مغامح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار]^(١).

وقل عز من قائل: [إلا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير]^(٢).

وفي هذه الآيات المعجزة الموجزة إشارة إلى ما تحتوي عليه العقيدة اليهودية من تناقض فاضح، فقد قرر سفر التكوين أنه سبحانه خالق كل شيء ثم مالبت أن تذكر أنه غابت عن علمه بعض الأشياء من خلقه، كجهله بمعصية آدم حتى أخبره بها، كما أنه لا يعرف المؤمن من الكافر إلا بإشارة مميزة، إلى آخر هذا الخلط الذي سبقت الإشارة إليه في عرض العقيدة اليهودية.^(٣)

والواقع أن هذا العلم لازم من لوازم الألوهية، إذ لا يستطيع العقل الإنساني الراشد أن يتصور إلهاً جاهلاً أو ناقص العلم، فمثل هذا التصور يكشف عن تناقض لا يليق به سبحانه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن المتأمل في نظام الكون يدرك أن خالقه لا بد أن يكون عالماً بكل كبيرة وصغيرة تتعلق به، وقد عمد عدد كبير من العلماء إلى إثبات صفة العلم له سبحانه. ومن هؤلاء على سبيل المثال، الشيخ محمد عبده الذي قال:

"من أدلة ثبوت العلم الواجب ما نشاهده من نظام الممكنات من الأحكام والإتقان ووضع كل شيء في موضعه، وقرن كل ممكن بما يحتاج إليه في وجوده وبقائه وذلك ظاهر لجلي النظر بما يشاهد في الأعيان كبيرها وصغيرها علويها وسفليها، فهذه الروابط بين الكواكب والنسب الثابتة بينها

(١) سورة الأنعام، الآيتان ٥٩ و٦٠.

(٢) سورة الملك، الآية ١٤.

(٣) أنظر الكتاب، ص ٦٠-٦٣.

وتقدير حركتها على قاعدة تكفل لها البقاء على الوضع الذي قدر لها والزام كل كوكب بمدار لو خرج منه لاختل نظام عالمه أو العالم بأسره وغير ذلك مما فصل في علوم الهيئة الفلكية كل ذلك يشهد بعلم صانعه وحكمة مدبره...^(١). إلى أن قال: "هذا الصنيع الذي إنما تتفاضل العقول في فهم أسرارها والوقوف على دقائق حكمه ألا يدل على أن مصدره وهو العالم بكل شيء الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، هل يمكن لمجرد الإتفاق المسمى بالصدفة أن يكون ينبوعاً لهذا النظام وواضعا لتلك القواعد التي يقوم عليها وجود الأكوان، عظيمها وحقيرها، كلا، بل منبع ذلك كله هو ما لا يعزب عن علمه متقال ذرة في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم."^(٢).

وهكذا استطاع الشيخ محمد عبده إثبات أن صفة العلم لله جل وعلا ممكنة عقلاً كما أنها ثابتة نقلاً.

ونستطيع بعد عرض هذه الأدلة بنوعيتها النقلية والعقلية أن نقرر أن إتصاف الله - سبحانه - بصفة العلم يتفق وعقل الإنسان السليم، وإذا إتفقنا على هذا كان ذلك إتفاقاً على تنزيه الله سبحانه عن الإتصاف بالجهل، وبالتالي رفض ما ورد حول هذه الصفة في العهد القديم بشكل عام، وما ورد في قصة الخطيئة الأولى بوجه خاص .

٢- القسوة :

يقف الإسلام من وصفه تعالى بالقسوة كما تفعل اليهودية موقفاً

رافضاً، فهو:

(١) رسالة التوحيد، ص ٢٨.

(٢) المرجع نفسه ص ٢٩-٣٠.

"رحيم في قوته فلا يشوب قوته شئ من قسوة ، قوي في رحمته فلا يمازج رحمته شئ من ضعف، منتقم إذا شاء، ولكن غلب رضاه غضبه وسبقت رحمته عذابه فهو يعفو بفضله، أو يقتص بعدله."^(١).

وقد وصف الله سبحانه نفسه بالرحمة في آيات كثيرة، من بينها قوله

عز وجل:

[وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم]^(٢). وقوله تعالى: [وإن ربك ل ذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب]^(٣).

وقوله: [قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم]^(٤). وكذلك في الآية الكريمة: [وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى]^(٥). أما قوله سبحانه: [وعص آدم ربه فغوى، ثم اجتبا به ربه فتاب عليه وهدي]^(٦)، ففيه إشارة ذات دلالة واضحة على رفض الإسلام لمزاعم اليهود بأن قسوة الإله هي التي دفعت به إلى عدم مغفرة معصية آدم وحواء، فالقرآن الكريم يؤكد رحمته سبحانه فقد قبل بفضله وكرمه - توبة آدم، عليه السلام، وزوجه وغفر لهما، بل إنه -بمنه-

(١) الدكتور رفقي زاهر، قصة الأديان، ص ٣٠١.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٥٤.

(٣) سورة الرعد، الآية ٦.

(٤) سورة الزمر، الآية ٥٣.

(٥) سورة طه، الآية ٨٢.

(٦) سورة طه، الآيتان ١٢١-١٢٢.

أكرم آدم، عليه السلام، بعد ذلك بالنبوة فاجتنباه واصطفاه.^(١)
 كما نزه الإسلام الله سبحانه عن الظلم، الذي صور الإله عليه - وفق
 زعمهم - مما أدى إلى وراثته الإنسانية الخطيئة الأولى ولعنتها، فإلهه بجلاله
 وعظمته يحاسب كل إمري على قدر عمله، فلا يحرم المحسن من إحسانه،
 ولا يمنع عقابه عن المستحق - إلا بمشيتته - ولا يخلط بين هذا أو ذاك سواء
 في إحسانه أو عقابه، فكل منا محاسب على عمله أمامه سبحانه.

قال تعالى: [ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً]^(٢).

كما قال: [وما الله يريد ظلماً للعالمين]^(٣).

وقال: [وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون]^(٤).

وقال أيضاً: [إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها

ويؤت من لده أجرأ عظيماً]^(٥).

وبعد هذا العرض بإمكاننا أن نقرر أن رفض الإسلام للصفات الإلهية
 الناشئة عن إيمان اليهود بالخطيئة الأولى، يتوافق مع العقل السليم والفطرة
 الإنسانية السليمة، فالعقل لا يقبل إتصاف فاطر السموات والأرض وما بينهما
 بالجهل كما يرفض أن يوصف بأي من صفات النقص التي لا تليق بألوهيته
 سبحانه.

ثانياً: القضاء والقدر

تبيين من موقف اليهودية من مسألة القضاء والقدر، كما هو موضح
 في الباب الأول من هذه الدراسة، أن ما يهمهم من فحوى هذه العقيدة هو

(١) أنظر الكتاب، ص ١٨٠.

(٢) سورة الكهف، الآية ٤٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٠٨.

(٤) سورة هود، الآية ١١٧.

(٥) سورة النساء، الآية ٤٠.

تفسيرها تفسيراً يتفق وميولهم العنصرية الفاسدة، فهم بقضاء الله وقدره شعبه المختار. وهم العاصون بسبب قضائه وقدره، كما أنه أجرى قضاءه بتوارث بني آدم للخطيئة الأولى. وهكذا أصبح عنصراً لإيجاري في النفس الإنسانية المسيرة للفساد دون اختيار. فإذا صدر عنها ما يغضب خالقها لاتكون بذلك حسب اعتقادهم مخالفة لأمره سبحانه، بل مسيرة لما كتب عليها منذ وقوع الخطيئة الأولى، كما أن الشقاء والعناء وما أصابهم ويصيبهم من تشتت هو نتيجة للعنة الإله التي أرسلها على آدم وحواء وذريتهما، غير أن حبه لهم خاصة وتفضيلهم على غيرهم من بني آدم جعل من قضائه وقدره نعمة لهم ولعنة على غيرهم، فهم من خلال هذه النعمة سوف يتمكنون من تسلّم أعتاب السلطة العالمية^(١).

أما الإسلام فيقف من عقيدة القضاء والقدر عند اليهود موقفاً رافضاً لها مصححاً لخللها، فهي تختلف في منظوره إختلافاً تاماً عن تفسير اليهود لها.

ويجدر قبل البدء في بيان هذا الموقف، أن أذكر أن الإيمان بهذه العقيدة في الإسلام يعد عنصراً أساسياً في حقيقة الإيمان والكفر به كفر يخلد في النار، ويشير القرآن الكريم في أكثر من موضع إلى أهمية هذه العقيدة. نذكر منها قوله تعالى: [قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلّم الله فليتوكل المؤمنون]^(٢)، وقوله سبحانه: [إنا كل شئ خلقناه بقدر]^(٣).

كما يشير إلى أهمية الإيمان بها أيضاً الحديث المعروف بحديث جبريل، الذي سأل الرسول عليه الصلاة والسلام - فيه - عن الإيمان فقال

(١) أنظر الكتاب، ص ٦٣-٦٦.

(٢) سورة التوبة، الآية ٥١.

(٣) سورة القمر، الآية ٤٩.

عليه الصلاة والسلام: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث، وتؤمن بالقدر كله...)^(١).

ويتبين لنا مما سبق الأهمية التي يوليها الإسلام لهذه العقيدة. أما من ناحية إختلاف جوهرها عنها في اليهودية، فيوضحها تفسير الإسلام للكدر الإنساني الذي صور في اليهودية كأحد آثار لعنة الخطيئة الأولى، والذي أصبح في تصورهم قضاءاً وقدرًا متسبباً في شقاء البشرية، في حين أن الإسلام ينظر إلى الكدر بوصفه إبتلاء يجابهه الإنسان تمحيصاً لإيمانه وإختباراً لثباته وتحديدًا لموقفه من الطاعة والمعصية.

وقد وضع الدكتور فاروق دسوقي هذا المفهوم بشكل جيد إذ قال: "إن حدوث الإبتلاء يجري على انعبد إجبارياً، إلا أنه مطالب حيال هذا الفعل الإجباري بسلوك خلقي معين نابع من إرادته وواقع باختياره وفاعليته بالابتلاء بمعنى الامتحان والاختبار، والتمحيص يعني دخول العبد الموقف الإبتلاني دخولا إضطرارياً إجبارياً، يواجهه العبد بسلوكين متضادين، عليه أن يختار واحد منهما"^(٢)

ومن هنا يتضح لنا أنه لا توجد علاقة بين ما يسميه اليهود بلعنة الخطيئة الأولى، وما يجري على بني آدم أو منهم في هذه الحياة، فالإنسان بفطرته يستطيع أن يفعل الخير أو الشر، وهذا هو مناط التكليف، فهو فيها مخير غير مسير، والدليل على ذلك قوله تعالى: [إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً]^(٣) وقوله سبحانه: [وقل الحق من ربكم فمن شاء

(١) من حديث طويل، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أشرط الساعة، ج ١، ص ١٦٥.

(٢) القضاء والقدر في الإسلام، ج ١، ص ١٧٨-١٧٩.

(٣) سورة الإنسان، الآية ٣.

فليؤمن ومن شاء فليكفر^(١).

أما ما يصيبه من بلاء مقدر عليه من الله - سبحانه وتعالى - فهو خارج نطاق تكليفه، وليس له أمامه غير الصبر الذي يثبته الله عليه، أو الجزع الذي يستحق عليه العقاب، هذا إذا كان ابتلاءً بالمحن والشدائد، أما إذا كان ابتلاءً بالخير فليس له أمامه سوى الشكر وأداء حق الله وحق عباده فيه، وإلا ناله غضب الله وعقابه^(٢).

وقد وضع لنا الله عز وجل ذلك بقوله: [وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون]^(٣).

وكذا قوله تعالى: [ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإينا ترجعون]^(٤)، كما قال سبحانه: [ومن الناس من يعبد الله علم حرفة فإن أصابه خير إطمأن به، وإن أصابته فتنة إنقلب علم وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين]^(٥).

ورود في الحديث النبوي الشريف عن صهيب، رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خير له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خير له)^(٦).

(١) سورة الكهف، الآية ٢٩.

(٢) راجع: الدكتور فاروق دسوقي، القضاء والقدر في الإسلام، ج ١، ص ٢١٣. ومحمد الغزالي، عقيدة المسلم، ص ١٠٥-١٠٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٦٨.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٣٥.

(٥) سورة الحج، الآية ١١.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد، باب في أحاديث متفرقة، ج ١٨، ص ١٢٥.

وأخبرنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن مناقشة جرت بين موسى و آدم، عليهما السلام، حول توارث بني آدم للعنة الخطيئة الأولى. إنتهت بنفي وجود أي علاقة، بين ما اقترفه آدم في حق نفسه وبين ما وجد ويوجد على هذه الأرض من ابتلاء، فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: (حاج موسى آدم فقال له: أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم. قال: قال آدم: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه. أتلومني على أمر كتبه الله عليّ، قبل أن يخلقتي أو قدره عليّ قبل أن يخلقتي؟ قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فحج آدم موسى^(١)).

وقد علق الشيخ محمد الغزالي على هذا الحديث، وعلى تفسير البعض الابتلاء من منطلق فهمهم القاصر له على أنه ناتج عن معصية آدم فقال:

"أما ترتيب وجود العالم الزاخر بآلامه وآماله على هذه المعصية، فهذا قدر إلهي محض لم يرد بخلد آدم، ولا يجوز أن يعاتب عليه...، أما مسئولية آدم الخاصة عن ذنبه الذي استغفر الله منه. فلا صلة له بهذا الحديث. إن خطيئة آدم ليست سبباً شرعياً ولا علة عقلية لوجود العالم وانتشار الناس في القارات الكبرى يشقون ويكدحون، ولما توهم موسى ذلك، عاتبه آدم ورده إلى أن ذلك القضاء مكتوب فلا يجوز لأي امرئ أن يحمل الأب الأول هذه الأوزار كلها."^(٢)

وقد ذهب إلى ذلك من قبل شيخ الإسلام ابن تيمية عندما قال: "فمن احتج على ترك المأمور، وجذع من حصول ما يكرهه من المقدور فقد عكس الإيمان والدين، وصار من حزب الملحدّين المنافقين، وهذا حال المحتجين

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة طه، ج ٦، ص ١٢١.

(٢) عقيدة المسلم، ص ١١٥.

بالقدر. (١)

وهكذا يتضح موقف الإسلام لمفهوم توارث الخطيئة الأولى ولعنتها.

ثالثاً: النبوات

يقف الإسلام أيضاً موقف المنكر الراض لما تنسبه اليهودية من دنايا إلى أنبياء الله، سبحانه وتعالى، مستندة في ذلك إلى قولها بتوارث بني آدم الحتمي لإثم الخطيئة الأولى، فهم صفوة الله من خلقه اصطفاهم سبحانه واختارهم لحمل الرسالة وأداء الأمانة، وهم المنزهون عن الاتصاف بتلك المخازي والمفاسد التي تقشعر منها الأبدان.

بل إن قوله تعالى: **[اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ]** (٢). لكاف للدلالة على رفض الإسلام لموقف اليهودية المتهاافت من وصفهم - عليهم الصلاة والسلام- بما لا يليق بذواتهم الشريفة، فالله أعلم بمخاير عباده وطبايعهم، وهو عند اختياره لأحدهم لحمل رسالته وشرعه يجتبي أفضلهم خلقاً، ليكون ذلك عوناً لهم في نشر دينه وليكونوا محل اقتداء عباده، فعلى فرض صحة مانسبه إليهم العهد القديم -وهو محال- فإن ذلك يكون حجة لأقوامهم على سلوك طرق الضلال والاتصاف برذائل الأخلاق. لذا اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون أنبياء الله، عليهم الصلاة والسلام، معصومون من الضلالات التي تؤدي إلى الكفر أو تتمثل في مفارقة الكبائر:

"قالامة الإسلامية مجمعة على أن مثل هذه الذنوب التي نسبها اليهود والنصارى إلى أنبياء الله كالزنى والسرقة والمخادعة وصناعة الأصنام وعبادتها... لا يمكن أن تقع من أحد من الأنبياء والرسول بحال من الأحوال، وأنهم معصومون من ذلك" (٣).

(١) الفتاوى، ج ٢٢، ص ٣٢٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٢٤.

(٣) الدكتور عمر سليمان الأشقر، الرسل والرسالات، ص ١٠٦.

ولإلقاء الضوء على هذا الموقف الإسلامي الراض لما ورد في الكتاب المقدس في حق أنبياء الله وأصفيائه، سأطرح السيرة الإسلامية العطرة لبعض الأنبياء الذين سبق وأن أشرت في الباب الأول في هذه الدراسة لكيفية معالجة وتشويه الكتاب المقدس لها.

١ - إبراهيم عليه السلام:

"فها هو ذا إبراهيم عليه السلام الذي صورته سفر التكوين متاجراً بالشرف متهاوناً في الفضيلة، يصوره القرآن الكريم مستهيناً بكل صعب مضحياً بكل عزيز في سبيل كلمة الحق"^(١)، مثبتاً له أكمل الفضائل، منكرًا أن يكون خوفه على حياته ودينه فاق خوفه من الله، قال تعالى: [إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين. شاكراً لأنعمه اجتنابه وهداه إلى صراط مستقيماً، وأتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين] ^(٢). فهذه الكلمات الربانية المعجزة تدل على علو صفات هذا النبي الكريم.

بل إن الله سبحانه يؤكد في موضع آخر رسوخ اعتماد إبراهيم، عليه السلام، على ربه في كل ما يعرض له من كبار الأمور وهيناتها، بما في ذلك قضية الرزق الأمر الذي يقطع أي شبهة في إمكان تضحيته بذرة من شرفه في سبيل الحصول على عرض من عرض الحياة - كما تدعي التوراة -^(٣). فقد أخبر الله أن إبراهيم "عليه السلام" خاطب أباه وقومه منكرًا بقوله: [أفأريتم ما كنتم تعبدون. أنتم وأباؤكم الأقدمون. فإنهم عدو لي إلا رب العالمين، الذي خلقني فهو يهدين، والذي هو يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين، والذي يمينني ثم

(١) الدكتور رفقي زاهر، قصة الأديان، ص ٣٠٣.

(٢) سورة النحل، الآيات من ١٢٠-١٢٢.

(٣) أنظر الكتاب، ص ٦٧-٧١.

يحيين^(١)، إلى أن قال: [ولا تخزني يوم يبعثون، يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلا من أتى الله بقلب سليم]^(٢).

إن أسلوب التصرف في قوله تعالى: [والذي هو يطعمني ويسقي]^(٣)، يفيد إيمانه، عليه الصلاة والسلام، بقصر الرزق على الله، فالإنسان بهذه العقيدة القوية والإيمان الحار لا يمكن أن يتصور أن يقدم على بذل عرضه في سبيل حصوله على الرزق.

ولا يختلف موقفه، عليه السلام، من قضية الأجل عن موقفه من قضية الرزق، فهو على يقين أن الأجل بيد الخالق سبحانه ولا قدرة لبشر أن يزيد في الأجل لحظة أو ينقص منه لحظة، وذلك ما يشير إليه قوله تعالى على لسان إبراهيم، عليه السلام: [والذي يميني ثم يحيين]^(٤).

كما أن عباراته تلك تدل على استهانتها بزينة الحياة الدنيا، فالمال والبنون من الأمور التي لا تثير اهتمامه إذا ما قورنت برضى الله سبحانه. كما يعرض لنا القرآن الكريم موقفاً آخر يدل على ثقته، عليه الصلاة والسلام، ويقينه أن الرزق بيد الله الرازق دون سواه، مهما امتنعت الأسباب البشرية، ففي قصته مع زوجه هاجر وابنه البكر إسماعيل، وتركه لهما في وادٍ غير ذي زرع تنفيذاً منه لأمر الله، ثم توجهه بالدعاء إليه سبحانه أن يتكفل برزقهم، أكبر دليل على نفي الإسلام لمزاعم اليهود بتخليه، عليه السلام، عن عرضه خوفاً وطمعاً.

قال تعالى على لسان النبي الكريم إبراهيم، عليه السلام: [ربنا إنني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا

(١) سورة الشعراء. الآيات من ٧٥-٨١.

(٢) سورة الشعراء. الآيات من ٨٧-٨٩.

(٣) سورة الشعراء. الآية ٧٩.

(٤) سورة الشعراء. الآية ٨١.

ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا^(١)].

أما زعم اليهود من أن خوفه على حياته من ملك جرار فاق خوفه من الله. فإن في محاوره إبراهيم، عليه السلام، لأحد جبابرة الأرض رداً قاطعاً لهذا الزعم.

قال تعالى: [ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك، إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لايهدي القوم الظالمين] ^(٢) فلم يمنعه خوفه ولا بطش من هذا الملك الجبار المتأله من مجادلته في الله وإقامة الحجة عليه، وإثبات عجزه ونقصه، وبالتالي استحقاؤه سبحانه للعبادة دون غيره، وهو في الوقت نفسه لا يخشى في الله لومة لائم، بل يستهين بكل عزيز أمام عقيدته، وهذا ما حكاه القرآن الكريم عند بيان موقفه، عليه السلام، من شرك أبيه مينا له خطر الشرك والضلال غير آبه لتهديده ووعيده إذا لم يمتنع عن دعوته، وقد جاء في هذا السياق قوله تعالى: [واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً. إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً، يا أبت إنني قد جاءني من العلم ما لم يات: فاتبعني أهك صراطاً سوياً. يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً، يا أبت إنني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً. قال أرأغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً. قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيماً. وأعتراكم وما تدعون من دون الله وأدعو

(١) سورة إبراهيم، الآية ٣٧.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٨.

ربم علم ألا أكون بدعاء ربي شقياً. (١)

فلم يخش إبراهيم عليه السلام بأس أبيه وتهديده، ولم يهادنه على حساب عقيدته، وهو لم يكتف بدعوة أبيه، بل واجه قومه بالحق ودين الله، وسخر منهم ومن آلهتهم التي لاتنفع ولا تضر. مما دفع بهم إلى الإجماع على إحراقه وتعذيبه، ونقل القرآن الكريم على أسنتهم ذلك الموقف كما تبينه الآية الكريمة بقولها: [قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين] (٢).

ولم يكن ذلك الإجماع ليزعزع إبراهيم، عليه السلام، أو يسكته عن دين الله خشية على نفسه مما سيناله من كيد قومه، فهو الثابت بإيمانه المتيقن بنصرته سبحانه، وهو ما كان، يدل عليه قوله تعالى: [قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم. وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين] (٣).

"هذا هو ذا إبراهيم في ولاته للحق واستمساكه بالعقيدة واستقامته على الطريق، ابتلاه الله فصبر، وأنعم عليه فشكر، فاستحق أن يكون * للناس إماماً ولرب الناس خليلاً: [وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً*]

[واتخذ الله إبراهيم خليلاً*].

[إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً ولم يك من المشركين.

شاكراً لأنعمه اجتنابه وهداه إلى صراط مستقيماً. وأتيانه في الدنيا

(١) سورة مريم، الآيات من ٤١-٤٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٦٨.

(٣) سورة الأنبياء، الآيتان ٦٩ و٧٠.

* سورة البقرة، الآية ١٢٤.

** سورة النساء، الآية ١٢٥.

حسنة وإنه في الأخرة لمن الصالحين]*^(١)

وقال تعالى : [قد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم]^(٢)

ولنا أن نقول إن رجلاً على صفة إبراهيم، عليه السلام، الواردة في الأسفار المقدسة لا يمكن أن يكون محلاً للاقتداء، فالفطرة الإنسانية على اختلاف ملل أصحابها تأبى ذلك.

فكيف بمن يكون خليلاً لله ومثالاً مضروباً للتأسي والاقتداء، بل إن رسولنا الكريم محمداً، عليه الصلاة والسلام، يرفض أن يوصف بخير البرية وينسب هذا الوصف لإبراهيم الخليل، فعن أنس بن مالك، قال: (جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا خير البرية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذلك إبراهيم عليه السلام)^(٣)، فهل يعقل أن يكون خير البرية على شاكلة ما ذكره العهد القديم - معاذ الله أن يكون - ولم يكن بالإمكان إنهاء هذا الحديث العطر للسيرة الإسلامية لهذا النبي الكريم دون التوقف عند قوله تعالى : [واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً]^(٤).

(والصديق) كما قال الزمخشري : "من أبنية المبالغة ... والمراد فرط

صدقه..."^(٥).

* سورة النحل ، الآيات من ١٢٠ - ١٢٢ .

(١) الدكتور رفقي زاهر ، قصة الأديان ، ص ٣٠٤ .

(٢) سورة الممتحنة ، الآية ٤ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل إبراهيم، عليه الصلاة

والسلام، ج ١٥، ص ١٢١ .

(٤) سورة مريم ، الآية ٤١ .

(٥) تفسير الكشاف ، ج ٣ ، ص ١٨ .

وفي ذلك رد قاطع على ما سطرته التوراة في حق خليل الله، عليه الصلاة والسلام.

ويعد هذا العرض نجد أن الإسلام أنصف إبراهيم، عليه السلام، عندما نفى عنه ما ينسبه اليهود إليه، ونزّهه عن تلك المخازي التي تعافها النفس البشرية السليمة على اختلاف مللها ونحلها .

وهكذا عاش، عليه السلام، ومات مثلاً رفيعاً لتحقيق ما يحبه الله ويرضاه متمسكاً بدينه حريصاً عليه.^(١)

٢- إسحاق عليه السلام:

أما ما تدعيه أسفار العهد القديم من أن إسحاق عليه السلام اتخذ من أبيه إبراهيم مثلاً متخلياً عن عرضه مقابل مصلحته، فهو من الوجهة الإسلامية لأساس له من الصحة فالإسلام ينزهه، عليه السلام، كأيّيه عن كل ذلك، فقد أورد القرآن الكريم عبارات واضحة موجزة تكفي لهدم ذلك الادعاء الباطل.

قال تعالى: **[وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلّا جعلنا نبياً، وهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً]**^(٢) ولقد كان إسحاق، عليه السلام، صادقاً لا ينطق الكذب متمتعاً بالتبجيل والتقدير، وهو محال تصوّره لمن يكذب جاعلاً عرضه دون نفسه، وقال سبحانه في حقه:

[وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين، وباركنا عليه وعلمنا إسحاقاً...]^(٣).
وقال: **[واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولم الأيدي**

(١) راجع : الدكتور صابر طعيمه، بنو إسرائيل في نبي القرآن الكريم وخبر العهد القديم، ص ٢٩٧-٣٠٣ .

(٢) سورة مريم ، الآيتان ٤٩ و ٥٠ .

(٣) سورة الصافات ، الآيتان ١١٢ و ١١٣ .

والأبصار، إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار، وإنهم عندنا لمن
المصطفين الأخيار^(١).

وهكذا ينفي الإسلام مقولة توارث الخطيئة الأولى منزهة إسحاق،
عليه السلام، عن تلك الرذائل فهو نبي من اتصالحين المصطفين الأخيار كأبيه
عليه السلام، يمكن أن يجري على يديه ونفسه ما نسبته إليه تلك الأسفار
المفتراة.

٣- هارون عليه السلام :

كما ينكر الإسلام ما أوردته نصوص العهد القديم وشراحه من ضعف
إيمان هارون وصناعته للعجل ودعوته لبني إسرائيل التوجه له بالعبادة، فيؤكد
على براءة هذا النبي الكريم من هذا الفعل وفي المقابل ينسب إليه شجبه لهذه
العبادة المنكرة.

إذ ذكر القرآن الكريم أنه، عليه السلام، قال لعبد العجل : [يا قوم
إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري، قالوا
لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى]^(٢) . مما دفعهم إلى
الإطاحة به في محاولة لقتله، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك فيما ينقله عنه،
عليه السلام، عندما قال لأخيه موسى: (ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا
يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين)^(٣).

وقد تناولت هذه الواقعة آيات في سورة طه أيضاً بما يؤكد نفي
مازعمه اليهود عن هارون، عليه السلام: (قال بينوم لا تأخذ بلحيتي ولا
برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي)^(٤).

(١) سورة ص ، الآيات من ٤٥ - ٤٧ .

(٢) سورة طه، الآيتان ٩٠ و٩١ .

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٥٠ .

(٤) الآية ٩٤ .

٤- موسى عليه السلام:

أما فيما يخص موسى، عليه السلام، فقد أشارت أسفار العهد القديم إلى حرمان موسى وهارون من دخول الأرض المقدسة، بسبب عدم تنفيذ موسى لأمر الله فيما يتعلق بمعالجة تمرد بني إسرائيل إثر قحط أصابهم، إذ طغت غيرة موسى، عليه السلام، على دين الله فانفعل وغضب على تمرد قومه وتناولهم، فكانت تلك المخالفة وراء غضب الله عليهما فحرمهما دخول الأرض المقدسة بإماتتهما قبل وصول بني إسرائيل إليها مجرياً عقابه هذا على موسى وأخيه هارون أيضاً، فالإسلام لا ينكر غضب موسى المتكرر على قومه، ولكنه يجعل السبب في ذلك غيرته، عليه السلام، على دينه، وقد وردت في القرآن، الكريم أمثلة كثيرة توضح ذلك في سياق تأييد موسى، عليه السلام، وإقرار موقفه، كما وردت أيضاً آيات أخرى كثيرة تدل على إنكاره سبحانه على بني إسرائيل كثرة تمردهم وعصيانهم، أما من ناحية وفاة موسى وهارون، عليهما السلام، قبل دخول بني إسرائيل الأرض المقدسة فالإسلام يقر بهذا ولا ينكره.

فقد روى عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أنه قال: (أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه صكه. فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت؟ فرد الله عليه عينه. وقال: ارجع فقل له يضع يده على متن ثور. فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة. قال أي ورب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن. فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر).^(١) وقد فسر ابن حجر المقصود (رمية بحجر) قائلاً "أدنتني إليها - أي الأرض المقدسة - حتى يكون بيني وبينها هذا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من أحب الدفن في الأرض

المقدسة أو نحوها، ج ٢، ص ١١٣.

القدر" (١).

ليشير بعد ذلك إلى الحكمة من اكتفائه عليه السلام بذلك الدنو دون الدخول إليها بقوله:

"حكى ابن بطال عن غيره أن الحكمة في أنه لم يطلب دخولها ليعمي موضع قبره لنلا تعبده الجهال من ملته انتهى. ويحتمل أن يكون سر ذلك أن الله لما منع بني إسرائيل من دخول بيت المقدس وتركهم في التيه أربعين سنة إلى أن أفنهم الموت فلم يدخل معه أحد ممن امتنع أولاً أن يدخلها... ومات هارون ثم موسى، عليهما السلام، قبل فتح الأرض المقدسة على الصحيح" (٢)

بل إن بعض المفسرين (٣) يؤكدون عدم دخول أحد منهم الأرض المقدسة إذ وافتهم الأجال خلال فترة التيه، وإنما دخلها أولادهم، و"إبني خلدون" في المسألة تعليل خاص أرى أن أشير إليه هاهنا، فهو يقرر أن الحكمة وراء فترة الأربعين سنة التي إستغرقتها التيه، هي أن ينشأ جيل جديد من بني إسرائيل، يخالف في مقوماته النفسية ماكان عليه جيل الأبناء من التانهين، وبهذا يكون هذا الجيل الجديد مؤهلاً لدخول الأرض المقدسة. (٤).

ونورد فيما يأتي جملة من الآيات الكريمة التي عرضت لتمرد بني إسرائيل على نبيهم موسى، عليه السلام، عندما أمرهم بدخول الأرض

(١) فتح الباري، كتاب الجنائز، باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها، م، ٣، ص ٢٠٧.

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها..

(٣) راجع: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الكريم، م، ٦، ص ٣٣٧-٣٣٨.

(٤) راجع: ابن خلدون، المقدمة، تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافي، ج ٢، ص ٥٤٦.

ومحمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، م، ٦، ص ٣٣٧-٣٣٨.

المقدسة، وما عرضت له الآيات من عقوبة التيهه أربعين سنة، وهي الآيات التي تظهر تأييد الله سبحانه وتعالى وموافقته لغضب موسى، عليه السلام، على تمرد قومه، كما تؤكد اختصاصهم بالحرمان من دخول الأرض المقدسة والتهه أربعين سنة دون أن يشمل ذلك موسى وهارون، عليهما السلام.

قال تعالى: [يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا علم أدباركم فتنقلبوا خاسرين، قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون. قال رجلان من الذين يخافون نعم الله عليهما ادخلوا عليهما الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلم الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين، قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتل إنا هاهنا قاعدون. قال ربي إني لأملك إلا نغسي وأخي فأفرق بيننا وبين القوم الفاسقين، قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس علم القوم الفاسقين^(١).

واستخدام القرآن الكريم لضمير الغائب في حديثه إلى موسى، عليه السلام عن ما سينزل على بني إسرائيل من تيهه بقوله: [فإنها محرمة عليهم]، وقوله: [يتيهون في الأرض] يدل على أن موسى وهارون عليهما السلام لا يدخلان في نطاق الكلام، وهو ما يدل دلالة قوية على أنهما لم تشملهما عقوبة التيهه. فوفاته هو وأخيه، عليهما السلام، تحققت بالفعل قبل دخول الأرض الموعودة، ولكنها كانت رحمة من الله بهما لا لعنة وعقابا كما زعم سفر العدد^(٢).

وهكذا نجد أن الإسلام عندما يتحدث عن هذين النبيين يتحدث عنهما

(١) سورة المائدة، الآيات من ٢١-٢٦.

(٢) راجع: الإصحاح العشرين، الفقرات: ١-١٣.

حديثاً مفعماً بالتقدير والإجلال، فيصفهما بصفات تليق بمكانتهما عند الله كنبين كريمين فهما من صفوة خلقه، إختارهم سبحانه لأداء الأمانة فأديها على أكمل وجه.

٥- داود عليه السلام:

أما داود، عليه السلام، الذي صورته أسفارهم المقدسة ملكاً عربيداً لاهم له إلا إشباع غرائزه الحيوانية مهما كلفه ذلك من عصيان فهو يزني ويحتال ويقتل. يفعل كل ذلك دون أن يخشى غضب الله أو عقابه، فإن الإسلام يصوره في صورة مخالفة، فهو المؤمن التقي الذي نذر نفسه للعبادة جاعلاً منه مثلاً للاقتداء على مر العصور، وهو بالتالي في المنظور الإسلامي محل اقتداء الأنبياء قبل عامة الناس، فقد أمر الله سبحانه رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم باتخاذ داود، عليه السلام، مثلاً للاقتداء في صبره، قال تعالى: [اصبر علم ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب]^(١).

كما جعل منه القرآن الكريم مثلاً للتسبيح والإستغفار إلى حد أنه سبحانه سخر الجبال والطيور لترديد تسيحه، وفي السياق نفسه يشير سبحانه إلى مآتاه من الحكمة. فيقول تعالى: [إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطيور محشورة كل له أواب، وشددنا ملكه وأتيناه الحكمة وفصل الخطاب]^(٢). ويقول سبحانه [ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب]^(٣).

وبين لنا النبي، صلى الله عليه وسلم فضل داود ورفعة مكانته عليه السلام، فيما يرويه عنه ابن عمر، رضي الله عنهما، أنه قال: (أحب الصيام

(١) سورة ص، الآية ١٧.

(٢) سورة ص، الآيات من ١٨-٢٠.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٦٩.

الى الله صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه وينام سدسه^(١).

بل إن نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، عندما أراد توجيه شباب أمته لما فيه عفافهم، كان الصوم - منهاج داود عليه السلام في حياته - الوسيلة المثلى لعفاف من لم يستطع الزواج منهم، وذلك لما في الصوم من كسر شهوة الصائم.

فمن عبد الله بن مسعود، رضي الله تعالى عنه، قال: (قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء...)^(٢).

وبعد فإن نبياً يوصف بمثل هذه الصفات المشرفة للعابد، ويجعل مثالا يقتدى به لا أخاله يملك الوقت أو الرغبة في اقتراف المعاصي أو ارتكاب تلك المنكرات لاسيما وهو في مستوى المسئولية العظمى عن أمته وفي ظل ظروف عصيبة، حيث يقارع جيشه جيش الأعداء.

٦ - سليمان عليه السلام:

أما سليمان، عليه السلام، الذي وصم في أسفارهم بالشرك يعبد آلهة زوجاته تقرباً إليهن، فإن الإسلام يدفع عنه كل ذلك فهو كأبيه داود، عليهما السلام، في حكمته وفي عبادته لايشغله عن أداء حق الله شاغل، شاكراً لأنعم الله معترفاً بفضل سبحاته، قال تعالى: [ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين، وورث

(١) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الصيام، باب ماجاء في صيام داود، عليه السلام، ج ١، ص ٥٤٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب إستحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه ووجد مؤنة وإشتغال من عجز عن المؤمن بالصوم، ج ٩، ص ١٧٢.

سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ إن هذا لهو الفضل المبين^(١).

بل إن قول الله سبحانه في حقه عليه السلام: [وما كفر سليمان]^(٢) يعد رداً صريحاً على ما ينسب إليه العهد القديم من كفر فقد كان يقابل أنعم الله عليه بالشكر، في ذلك ينقل القرآن قوله، عليه السلام: [هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن ربي غني كريم]^(٣).

وتفيدنا النصوص الإسلامية بأن شكر الله سبحانه دليل توحيده، وقد حسم القرآن الكريم كل شبهة يمكن أن تلحق بإيمان سليمان، عليه السلام، عندما بين لنا القرآن الكريم أن نهاية هذا النبي العظيم كانت بأن مات في ميدان العمل شاكراً لله عز وجل على عكس ما نسبه إليه العهد القديم من أنه قضى أيامه الأخيرة وثنياً متكاثلاً، ونجد ذلك البيان صريحاً في قوله تعالى عقب حديثه عن تسخير الجن له [يعملون له ما يشاء من محاريب وتمائيل وجفان كالجواب وقدور راسيات أعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور، فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلم خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين]^(٤).

على أن المبدأ الإسلامي الذي لا يجوز أن يتطرق إليه شك، يقضي الإيمان بأن جميع الأنبياء عليهم السلام، لا يعرض لهم الشرك ولا يصدر عنهم الكفر، وهما جانبان ضروريان من جوانب العصمة، وهو ما يشير إليه سبحانه

(١) سورة النمل، الآيتان ١٥ و١٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٠٢.

(٣) سورة النمل، الآية ٤٠.

(٤) سورة سبأ، الآيتان ١٣ و١٤.

وتعالى في قوله: [ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك إن أشركت
ليحبطن عملك وتكونن من الخاسرين، بل الله فأعبد وكن من
الشاكرين] (١).

وهكذا يتضح لنا الفرق الشاسع بين سيرة أنبياء الله الواردة في أسفار
العهد القديم، التي تأثرت بإيمان أصحابها بمبدأ توارث الخطيئة الأولى وبين
سيرتهم العطرة الزكية النقية في الدين الإسلامي الذي يتوافق مع فطرة
الإنسان ورجاحة عقله، وهذا التوافق يبطل قولهم بسلطة الخطيئة الأولى
وتوارثها التي سلطت بأمر الإله على رعوس العباد أجمعين دون التفريق
بينهم، فالأنبياء وعامة الناس واقعون تحت سيطرتها لأمجال لنجاتهم منها، كما
يفضح غرضهم من قولهم بتوارث الخطيئة الأولى ومن نسبة هذه المفاصد إلى
الأنبياء، فهم كما يشير الدكتور رقي زاهر: "خلعوا على الأنبياء من ذوات
أنفسهم فهبطوا بهم إلى مستوى الخطيئة" (٢).

رابعاً: عقيدة البعث واليوم الآخر:

ظهر لنا مما سبق أن إنكار اليهود لعقيدة البعث واليوم الآخر، في
العصور المتقدمة يرجع إلى إيمانهم بمضمون قصة الخطيئة الأولى الواردة
في التوراة، والتي لم تشر إلى وجود مثل هذا اليوم في حين أشارت وبوضوح
إلى أن الموت هو النهاية الأخيرة للحياة الإنسانية، وهو مانجده في كثير من
النصوص اليهودية التي تطرقت في حديثها إلى لعنة الموت أو بمعنى آخر
عن نهاية الحياة الإنسانية بالفناء.

ومثل هذه العقيدة لا تثير دهشة الباحث، عندما يدرك الأهمية الكبرى
التي توليها اليهودية لمضمون نص الخطيئة الأولى التوراتي.

غير أن ما قد يثير الدهشة والاستغراب هو ذلك الاستياء العام الذي يظهر

(١) سورة الزمر، الآيتان ٦٥ و٦٦.

(٢) قصة الأديان، ص ٣٠٩.

من خلال نصوص أخرى في العهد القديم تتحدث بمرارة عن هذه النهاية المظلمة، التي يعد التسليم بأساويتها إقراراً ضمنياً بظلم الخالق سبحانه، فجملة تلك النصوص تقرر أن السعادة والشقاء مرتبطان بالدنيا، فالنعيم وإطالة الحياة على هذه الأرض هو عنوان رضى الخالق، بينما الشقاء والعناء وقصر العمر الإنساني عنوان غضبه وسخطه، لتنتهي حياة كلا الطرفين بالفناء، فنهاية من نال رضى الإله تماثل نهاية من نال غضبه كلاهما إلى الفناء، وهذا الاستياء مقبول من الناحية العقلية فهو يستند إلى أسس قوية. فكما قال الدكتور رقي زاهر:

"ليست هناك أي ضرورة تحتم أن ينال المرء في هذه الحياة جزاءه المناسب عن عمله، بل إن الواقع المشاهد ليؤكد أن كثيراً من الناس يفعلون الخير ولا يجدون في دنياهم إلا شقاء موصولاً وهما مقيماً بينما يعيش آخرون متمتعين بسعادة على الرغم من ممارستهم للشرور ومقارفتهم للأثام، فلو كان الموت هو خاتمة الرواية ولا شئ بعده لكانت الحياة في جملتها عبثاً لا يحتمل وجحيماً لا يطاق."^(١)

إلا أن اليهود غيروا إيمانهم فيما يختص بهذه العقيدة المتقدمة نتيجة لما أصابهم من شقاء كثير في تاريخهم، وبالتالي فقد أصبح القول بعدم وجود حياة بعد الموت يتم فيها حساب الخالق لعباده، قولاً لا يتناسب مع اعتقادهم بفضلهم على البشر، فهم شعب الله المختار المقربون منه سبحانه. وهم على حسب عقيدتهم المنكرة للبعث وقولهم إن النعيم نعيم الدنيا وأن الشقاء شقاؤها هم المستحقون -دون غيرهم- السعادة طوال أيامهم فيها، ولكن لما كان واقع الحال خلاف ذلك من خلال حصول أعدائهم - وهم أعداء بارئهم المستحقون بهذه العداوة الشقاء الدائم في هذه الحياة - على خير كثير تشهد به كتب

(١) قصة الأديان، ص ٣١٠.

التاريخ الإنساني ويشهد به اليهود قبل غيرهم، فقد أدى ذلك بهم إلى تغيير مضمون هذه العقيدة المتأخرة لتكون متوافقة مع واقعهم المرير ولتخدم مصالحهم خاصة، فذهبوا إلى القول بوجود حياة بعد الموت يتم فيها محاسبة أعدائهم خاصة من قبل إلههم المحب لهم، قالوا ذلك بهدف زرع الخوف في قلوب أعدائهم كي يتمتعوا عن إلحاق الأذى بهم.

إذاً فإن الأساس الذي قام عليه إيمان اليهود بوجود البعث لم يكن للاعتراف بأنه سيؤدي إلى الفصل بين العباد حسب إيمانهم وأعمالهم، ولكن لياكدوا على تميزهم، فالحساب في ظنهم سوف يعتمد فيه على يهودية الفرد أو أمميته، فهو يوم وجد لبني إسرائيل خاصة.

وهذه العقيدة بشكليها المتقدم والمتأخر باطلة تماماً من وجهة نظر الإسلام الذي يجعل من عقيدة البعث عنصراً أساسياً من عناصر الإيمان. والكفر به هو كفر بالله عز وجل. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: [ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً] (١) فقد جعل سبحانه الإيمان باليوم الآخر في سياق واحد مع الإيمان به جل وعلا، الأمر الذي يؤكد على عظم أمر هذه العقيدة في الدين الإسلامي، والإيمان بهذه العقيدة من وجهة نظر الإسلام سوف يؤدي بمعتقدتها إلى فعل الخيرات وتجنب الرذائل كارها الوقوع في ما نهى الله عنه، دون الاهتمام بالقوانين الوضعية الزاجرة أو انتظار تقدير أصحابها، فهو إن أقبل على الخير فله وإن ترك الشر فله سبحانه أيضاً.

ويتفق هذا الموقف الإسلامي في مجمله مع الفطرة الإنسانية السليمة، لأن الإنسان السوي يرفض أن تكون نهاية عمل صالح تماثل نهاية آخر طالع، كما يرفض أن يكون الحكم في الحياة الآخرة قائماً على أساس الجنس، ومن ثم يقرر الإسلام في كثير من المواضع أن الحكمة التي تكمن وراء

(١) سورة النساء الآية ١٣٦.

البعث تؤكد أنه مظهر من مظاهر تحقيق العدالة الإلهية، حيث يكافأ كل من الصالحين والظالمين بما قدمت أيديهم في دنياهم، إذ لا يتفق مع هذه العدالة أن يتساوى الأخيار والأشرار فضلاً عن أن يفوز الأشرار بالسعادة، ويستأثروا دون الأخيار لتحقيق أكبر قدر من اللذائذ الدنيوية، ثم لا يكون شئ بعد الموت، يقول سبحانه في هذا الصدد: [أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار] (١). كما يقول تعالى: [أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون] (٢) كما يقول جل وعلا: [أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستورن، أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون، وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون] (٣).

وبالتالي فإن مقياس الثواب والعقاب في اليوم الآخر من المنطلق الإسلامي الذي توافقه عليه فطرة الإنسان هو الإيمان والعمل دون أن يكون للعنصر أو الخصائص القومية دخل في ذلك على عكس ما تكشف عنه إشارات العهد القديم، وهذا جانب من جوانب عظمة الإسلام وروعته يؤكد سموه وشموخته على غيره من الأديان التي عبثت بها يد التحريف.

يقول سبحانه .. [ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا

(١) سورة ص، الآية ٢٨.

(٢) سورة الجاثية، الآية ٢١.

(٣) سورة السجدة، الآيات من ١٨-٢٠.

يظلمون نقيراً^(١)].

وجدير بالذكر أن عقيدة البعث في التوراة الصحيحة لا تختلف عنها في الإسلام، وقد أشار القرآن الكريم نفسه إلى ذلك عندما ذكر بأن الإيمان بالبعث كان جزءاً أساسياً من وحي موسى، عليه السلام، بل ومن التوراة أيضاً، فالآية الكريمة تحدثنا عن أول مرة تلقى فيها موسى الوحي متضمناً أصول الإيمان، وذلك في قوله تعالى: [إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري، إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى، فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى].^(٢)

كما تحدثنا عن دعوته، عليه السلام، في مصر فتؤكد أن الإيمان باليوم الآخر كان جزءاً أساسياً من هذه الدعوة، بدليل ما جاء على السنة السحرة فيما ينقله عنهم كتابنا العزيز فقد قال سبحانه وتعالى: [قالوا لن نؤثرك علم ما جاءنا من البينات والذبي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا، إنا آمنة بربنا لا نخشى لكنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى، إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى، ومن يأت مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى، جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى].^(٣)

كما يذكر القرآن الكريم في النهاية أن هذه العقيدة شغلت حيزاً مناسباً من التوراة التي ورثها بنو إسرائيل فما لبثوا أن عبثوا بها وحرفوا فيها وفقاً لأهوائهم القومية وظروفهم التاريخية، يقول تعالى: [قد أفلم من تزكى، وذكر اسم ربه فصلح، بل توثرون الحياة الدنيا، والآخرة خير

(١) سورة النساء، الآيتان ١٢٣ و١٢٤.

(٢) سورة طه، الآيات من ٤-١٦.

(٣) سورة طه، الآيات من ٧٢-٧٦.

وأبغى، إن هذا لغم الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى^(١). وبعد هذا العرض لموقف الإسلام من الآثار الناشئة عن إيمان اليهود بمضمون الخطيئة الأولى على عقيدتهم بفروعها الأربع المذكورة يتبين فساد ما عتراها بسبب ذلك الإيمان، وهو أمر ليس بغريب إذ إن الأساس الذي قامت عليه هذه القعائد فاسد وهو نص الخطيئة الأولى الذي ذكره سفر التكوين. الآثار المتعلقة بالشرعية:

من خلال دراستي للأحكام الشرعية التي تأثرت بإيمان اليهود بنص الخطيئة الأولى، انتهيت إلى إمكان تقسيمها من حيث ارتباطها بهذه العقيدة بشكل عام إلى قسمين: قسم يتعلق بجواء وبناتها على اعتبارها أحد المسيبات الأساسية للخطيئة الأولى، وقسم نستطيع أن نطلق عليه مصطلح - لعنة الموت - التي أصدرها ياهو كما يحكي سفر التكوين ضد آدم بعد المعصية التي إنتقلت منه إلى عامة البشر.

وقد وقف الإسلام موقف الإنكار الشديد لما قررته الأسفار اليهودية، متفرداً بتلك النظرات الرائعة التي تضع الأمور في نصابها الصحيح، وتكشف في الوقت ذاته عما في الأسفار اليهودية من خلل وفساد، وسأحاول أن أعرض موقف الإسلام بهذا الخصوص عرضاً مجملًا يتفق مع طبيعة هذا البحث.

أولاً: الشرائع النسائية:

حاصرت الشريعة اليهودية الجنس الأنثوي بأحكام وأغلال خانقة كان الغرض منها الاستمرارية في التكاثر بها إذ إن نص الخطيئة الأولى الوارد في التوراة عد حواء العنصر الأساسي وراء السقوط، وهو في الوقت ذاته يذكر لعنة ياهو الأبدية عليها وعلى بناتها بسبب ذلك.

وقد أدى الإيمان بذلك كله إلى احتواء الشريعة اليهودية على أحكام

(١) سورة الأعلى، الآيات من ١٤-١٩.

شرعية كثيرة ارتبطت بشكل أو بآخر بلعنة ياهو على حواء وبناتها من بعدها، إذ وجدت الشريعة اليهودية في بعض خصائص الأنثى عنصرا لاجباري لتطبيق لعنة ياهو، من مثل الحيض والولادة وما يرتبط بهما من أحوال مما يعد مؤشراً قوياً على توارث بنات حواء للعنة أمهن، فوضعوا لها أحكاماً من البداهة القول بقسوتها وظلمها كما سبق أن وضح في الباب الأول من هذه الدراسة.

ويختلف الإسلام في نظرتة إلى تلك الخصائص إختلافاً كلياً عن اليهودية، فهي في ضوء تعاليمه السمحة وجدت لتحقيق حكمة إلهية الغرض منها استخلاف الإنسان على هذه الأرض، إذ مكن الله تعالى حواء وبناتها من إنجاب ذرية آدم إعتماًداً عليه سبحانه، ثم على تلك الخواص الإثوية التي تتميز بها على الرجل، كما جعل الإسلام الرجل متكفلاً برعاية المرأة لتتفرغ هي لأداء مهمتها تلك.

وقد فسر الإسلام الأمور الخاصة بالمرأة تفسيراً عقلانياً سامياً، خالف فيها ما وصفتها به اليهودية من دونية إرتكازاً على نص الخطيئة الأولى، فالحائض في الشريعة الإسلامية تنحصر نجاستها في موضع الحيض دون سائر بدنها:

قال تعالى: [ويسألونك عن المحيض، قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى ينظرن فإذا نظرن فَأْتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين]^(١).

قال صاحب الكشاف في تفسيره لهذه الآية:

"فاعتزلوا النساء" يعني فاجتنبوا مجامعتهن، روى أن أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود

والمجوس، فلما نزلت أخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فأخرجوهن من بيوتهن. فقال ناس من الأعراب: (يارسول الله البرد شديد والثياب قليلة، فإآثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت، وإن إستأثرنا بها هلكت الحيض. فقال عليه الصلاة والسلام: إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن، ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم.*) وقيل: "إن النصارى كانوا يجامعونهن ولايبالون بالحيض، واليهود كانوا يعتزلوهن في كل شئ، فأمر الله بالإقتصاد بين الأمرين"^(١).

كما أورد ابن حجر نقولاً في تفسير ذلك منها قولاً للخطابي جاء فيه: "أن المحيض أذى يعتزل من المرأة موضعه ولا يتعدى ذلك إلى بقية بدنها."^(٢)

إذا فنجاسة الحيض الموضوعية في الشريعة الإسلامية ناشئة عن استقذاره لا لكونه نتيجة من نتائج لعنة الخطيئة الأولى. فالحيض في العرف الإسلامي وجد لحكمة تربية الولد، هذا ما أشار إليه ابن قدامة بقوله: "الحيض دم يرقيه الرحم إذا بلغت المرأة ثم يعتادها في أوقات معلومة لحكمة تربية الولد، فإذا حملت إنصرف ذلك الدم بإذن الله إلى تغذيته ولذلك لا تحيض الحامل فإذا وضعت قلبه الله تعالى بحكمته لبناً يتغذى به الطفل ولذلك قلما

* أخرجه مسلم في صحيحه بنحوه، كتاب الحيض، باب جواز قراءة القرآن في حجر الحائض، ج ٣، ص ٢١١-٢١٢. وأخرجه أبو داود في سننه بنحوه، كتاب الطهارة، باب مؤاكلة الحائض ومجامعتها، ج ١، ص ١٧٧.

(١) الزمخشري، تفسير الكشاف، ج ١، ص ٢٦٥.

(٢) فتح الباري، كتاب الحيض، م ١، ص ٣٩٩.

تحيض المرضع^(١).

كما تحفل السنة النبوية بعدد كبير من الأحاديث الشريفة التي تحصر نجاسة الحائض في موضع الحيض دون سائر بدنها. فقد كان الرسول، عليه الصلاة والسلام، يتكئ على حجر زوجته الحائض تاليا القرآن مثبتا بفعله الشريف طهارة بدن المرأة الحائض في غير موضع الحيض.

وهو ماترويه عائشة، رضي الله عنها، بقولها: (إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتكئ في حجري وأنا حائض ثم يقرأ القرآن)^(٢).

ولقد أراد الرسول، عليه الصلاة والسلام، عندما منع زوجته الحائض من فراق فراشه أن يثبت في سلوكه سنته المتبعة، فالحائض طاهر البدن والحيض ليس جرما لتجنبها وهجرها.

فقد ورد عن أم مسلمة، رضي الله عنها، أنها قالت: (بيت أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم مضطجة في خميصة إذ حضت، فانسلت فأخذت ثياب حيضي، قال أنفست قلت نعم، فدعاني فاضطجت معه في الخميصة)^(٣).

كما أكد الإسلام طهارة الحائض عندما أباح معاشره الزوج لزوجته الحائض ليدحض بذلك مانسبته إليها اليهودية من نجاسة مفرطة.

فقد ورد عن عائشة، رضي الله عنها، إنها قالت: (كأنت أهدنا إذ كانت حائضاً فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يباشرها أمرها أن تنز من فور حيضتها ثم يباشرها قالت وأيكم يملك إربه كما كان النبي

(١) المغني، ج ١، ص ٣١٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحيض، باب قراءة الرجل في حجر امرأته وهي حائض، ج ١، ص ٨٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحيض، باب من سمي النفاس حائضاً، ج ١، ص ٨٢.

صلى الله عليه وسلم يملك إربه^(١).

كما أكد الإسلام بما لاجمال للشك فيه ماسبق تقريره عندما أقر قيامها ببعض مناسكها الشرعية، فهامى ذي أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، وقد أبكاها حيضها وهي في الطريق لأداء مناسك الحج تتلقى رحمة الله بإباحة الإسلام قيام الحائض بجميع مناسك الحج سوى الطواف، الذي هو في مقام الصلاة، هذا ماؤكدته السنة الشريفة، وقد ورد أن عائشة، رضي الله عنها، قالت: (خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لانذكر إلا الحج فلما جننا سرف طمئت فدخل عليّ النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقال مايبكيك قلت لوددت والله إني لم أحج العام قال لعكك نفسي قلت نعم قال فإن ذلك شئ كتبه الله على بنات آدم فافعلي ما يفعل الحاج غير أن لاتطوفي بالبيت حتى تطهري)^(٢).

أما كيفية خروج المرأة المسلمة من هذه النجاسة الموضعية فإن الأمر لايجتاج لأن تبقى في عزلة سبعة أيام، ثم تتقدم بعدها إلى الكاهن بذيحة الخطية ليكفر عنها كما زعمت اليهودية، إنما يكفيها أن تغتسل من حيضها، فقد ورد عن عائشة، رضي الله عنها أنها قالت: (قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة وإذا أدبرت فأغسلي عنك الدم وصلي)^(٣).

وإذا ما رغبتا التحدث عن أحوال المستحاضة في الشريعة الإسلامية فإنه يكفينا لبيان إنصاف الإسلام لها الإشارة أنها مؤدية لجميع أنواع العبادة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض، ج ١، ص ٨٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب تقضي الحائض مناسك الحج كلها إلا الطواف بالبيت، ج ١، ص ٨٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحيض، باب إذا رأت المستحاضة الطهر، ج ١، ص ٩٠.

بما فيها الصلاة والطواف التي من شروط صحتها الطهارة، فما بها من دم لا يعد حيضاً وبذا لا تكون نجاستها الموضعية مانعة لأداء التكاليف الشرعية.^(١)

فقد ورد عن عائشة، رضي الله عنها، أنها قالت: (قالت فاطمة بنت أبي حبيش لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله إني لأظهر أفأدع الصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ذلك عرق وليس بالحيضة فإذا أقبلت الحيضة فاتركي الصلاة فإذا ذهب قدرها فاغسلي عنك الدم وصلي)^(٢).

ولا يختلف موقف الشريعة الإسلامية بالنسبة للنفساء عن موقفه من الحائض ذلك لأن: "النفس كالحيض سواء فإن دم النفاس هو دم الحيض إنما كان في مدة الحمل ينصرف إلى غذاء الولد في حين خرج الولد خرج الدم لعدم مصرفه وسمي نفاساً"^(٣).

وعلى هذا فنجاسة النفاس موضعية كالحيض تماماً يستوجب الخروج منها الغسل فقط وهو ما أشار إليه ابن قدامة بقوله "لاخلاف في وجوب الغسل بالحيض والنفاس"^(٤).

وهذا الموقف الإنساني الكريم من الإسلام يخالف موقف الشريعة اليهودية التي عدت النفاس أحد الآثار الكبرى للخطيئة الأولى فقرضت عليها طقوساً قاسية للخروج مما وصفته بالنجاسة المشددة، لتنتهي هذه الطقوس بتقديم ذبيحة الخطيئة تكفيراً عنها.

وعندما سن الإسلام الذبيحة عقب إتمام الولادة لم يسنها عن الوالدة، فالذبيحة التي تسمى في الشريعة الإسلامية بالعقيقة خاصة بالمولود لا بالإم

(١) راجع: ابن قدامة، المغني، ج ١، ص ٣٢٤-٣٢٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحيض، باب الإستحاضة، ج ١ ص ٨٤.

(٣) ابن قدامة، المغني، ج ١، ص ٢٠٩.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٠٨.

ولغاية إسلامية ذات فوائد جمة، وقد ذكر الإمام ابن القيم كثيرا من وجوه الحكمة في مشروعية العقيدة فكان مما قال:

"من فوائدها: أنه قربان يقرب به عن المولود في أول أوقات خروجه إلى الدنيا، والمولود ينتفع بذلك غاية الإنتفاع، كما ينتفع بالدعاء له..."

ومن فوائدها أنها فدية يفدي بها المولود، كما فدى الله سبحانه إسماعيل الذبيح بالكبش...^(١) - إلى أن قال :- "قالذبيحة عن الولد، فيها معنى القربان والشكران والفاء والصدقة وإطعام الطعام عند حوادث السرور والعظام، شكرا لله وإظهارا لنعمة"^(٢).

ومع عظم فوائد العقيدة إلا أنها لاتخرج عن كونها سنة يثاب فاعلها ولايعاقب تاركها، كما يؤكد ابن قدامة بقوله: "والعقيدة سنة في القول عامة أهل العلم، منهم ابن عباس وابن عمر وعائشة وفقهاء التابعين وأئمة الأمصار"^(٣).

"واستدل الجمهور بأن فعله، صلى الله عليه وسلم، دليل على السنية، وبحديث (من ولد له ولد فأحب أن ينسك عن ولده فليفعل*)^(٤).

وبعد هذا العرض الذي بينا فيه موقف الشريعة الإسلامية من المرأة، الذي نزهها في مجمله مما نسب إليها في الديانة اليهودية من نجاسة عظيمة

(١) ابن القيم، تحفة الودود بأحكام المولود، ص ٨٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ٨٧.

(٣) المغني، ج ١١، ص ١١٩.

* أخرجه أبو داود في سنته بنحوه، كتاب الأضاحي، باب في العقيدة. ج ٣، ص ٢٦٢ و٢٦٣.

(٤) محمد ابن إسماعيل الصنعاني، سبل السلام، ج ٤، ص ٩٧.

اعتماداً على تفسيرهم لها على أساس أنها أحد آثار لعنة الخطيئة الأولى، التي أصابت حواء وبناتها من بعدها، ندرك أسباب الاختلاف في النظر إلى صفات الكمال الخاصة بالمرأة بين الإسلام من جهة وبين اليهودية والمسيحية من جهة أخرى، فالإسلام كما يرى الدكتور محمود شعلان:

"يحفل كثيراً بوجود الصفات النفسية والوجدانية الطيبة عند الزوجة، وعلى رأس تلك الصفات وفي مقدمتها صفة التدين وإليها مرد كل صفات الكمال والجمال النفسي، ..."^(١)

في حين أنها في اليهودية والمسيحية:

"ربما كانت أقل ... الصفات عندهم وأهونها شأنًا، فهم يهتمون بإبراز الصفات المادية ولا يرون في الزوجة إلا عاملة تنسج الصوف والكتان وتبسط يديها بالمغزل وتكون كسفينة التاجر تجلب طعامها من بعيد، تعمل أثناء الليل ولا تأكل خبز الكسل، تطلب حقلاً وتزرعه بيديها ..."^(٢)

الشرائع المشتركة:

ظهر مما سبق مدى مشقة الشرائع اليهودية المرتبطة بالموت، والتي تقع على كاهل من يتكفل بغسل الميت أو الاقتراب منه، فالموت في مفهوم الديانة اليهودية لعنة أطلقها ياهو على آدم وذريته بسبب الخطيئة الأولى، أما الإسلام فلا يقر بما ورد في الشريعة اليهودية حول هذه المسألة فالشريعة الإسلامية تكفل للميت كرامته كما كفلتها له في حياته، فقد جعلت "غسل الميت ودفنه وتكفينه والصلاة عليه فرض كفاية"^(٣) تأثم الأمة إذا لم يتصد نفر منها للقيام بذلك، كما أن ملامسة الميت في الشريعة الإسلامية لا تستوجب

(١) نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام، ج ١، ص ٥١.

(٢) الدكتور محمود شعلان، نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام، ج ١، ص ٥١.

(٣) ابن قدامة، المغني، ج ٢، ص ٣٠٩.

الغسل ولا الوضوء، فقد ورد عن ابن عمر أنه قال: (كنا نغسل الميت فمنا من يغتسل ومنا من لا يغتسل)^(١).

كما يذكر ابن قدامه بأنه: "لا يجب الغسل في غسل الميت وبه قال ابن عباس وابن عمر وعائشة والحسن النخعي وإسحاق وأبو ثور وابن المنذر وأصحاب الرأي."^(٢)

كما قال أيضاً "لا وضوء فيه وهو قول أكثر الفقهاء وهو الصحيح إن شاء الله لأن الوجوب من الشرع ولم يرد في هذا نص ولا هو في معنى المنصوص عليه فبقي على الأصل ولأنه غسل آدمي فأشبهه غسل الحي"^(٣).
صحيح أن بعض العلماء عد الإغتسال من غسل الميت أحد الإغتسالات المستحبة^(٤)، ولكنهم في تعليلهم لهذا الحكم لم يشيروا على الإطلاق إلى أنه راجع إلى نجاسة الميت، بل أشاروا إلى ما قد يصيب الغاسل من فتور واسترخاء يحتاج معهما إلى استعادة نشاطه بالاغتسال^(٥).

فالموت في الشريعة الإسلامية يعد مرحلة من المراحل التي يمر بها الإنسان، تتلوها مراحل عدة تتناسب وعمله، وبالتالي فهو غير ناتج عن الخطيئة الأولى ولا هو لعنة يتوارثها الأبناء عن الآباء، ولا هو نهاية العالم المظلمة كما تدعي اليهودية في أسفارها المتقدمة، وإنما هو مظهر وجودي يرتبط أوثق ارتباط بحكمة الله وعدالته، ومسيرة الحياة وأطرافها وعمل

(١) أخرجه البيهقي في سنن، كتاب الطهارة، باب الغسل من غسل الميت، ج ١، ص ٣٠٦.

(٢) المغني، ج ١، ص ٢١٠.

(٣) ائرجع نفسه، ص ١٨٥. راجع أيضاً: محمد بن اسماعيل الصنعائي، سبل السلام.

ج ١، ص ٧٠.

(٤) راجع: خليل أحمد السهارنفوري، بذل المجهود في حل أبي داود، ج ١٤، ص ١٢٨٠-

١٢٩.

(٥) أشار إلى ذلك بعض فقهاء الشافعية..

الإنسان وتمحيصه.. [الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور] (١).

وبعد هذا العرض لموقف الإسلام مما ترتب عليه إيمان اليهود بنص الخطيئة الأولى من عقائد وشرائع نلاحظ وجود فرق واسع بين الديانتين، يتمثل في أن اليهودية ربطت بين كثير من العقائد والشرائع والخطيئة الأولى، أما الإسلام فيظهر دائماً أن لشرائعه حكماً إلهية بعيدة كل البعد عن الخطيئة الأولى، كما يتبين أن تلك الشرائع اليهودية تعكس حقيقة كونها شرائع مختلفة أدخلت على الديانة اليهودية الحق وربطت بالخطيئة الأولى، إذ لا يتصور أن اليهودية الصحيحة تحمل مثل هذه العقائد، وبالتالي فكل ما وجد في تناقض وتحريف كان موضوعاً كما هو حال الخطيئة الأولى.

(١) سورة الملك، الآية ٢.

الفصل الثالث

موقف الإسلام من العقائد المرتبطة بالخطيئة الأولى في المسيحية

سأحاول في هذا الفصل عرض موقف الإسلام من ثلاث عقائد

أساسية في الديانة المسيحية مرتبطة بالخطيئة الأولى، وهي:

١- بنوة المسيح لله.

٢- الفداء.

٣- عالمية المسيحية.

١- موقف الإسلام من البنوة المسيحية:

عولت المسيحية - كما تبين في الباب الثاني^(١) من هذه الدراسة - في

إثبات بنوة المسيح لله على عدد من الأدلة التي أثارَت بدورها عددا من التساؤلات.

وهذه العقيدة تعد عقيدة ذات بعد إيماني خطير إذ إن الإيمان بها يخرج صاحبها من دائرة الإيمان الذي دعا إليه المسيح جميع الأنبياء بما فيهم عيسى، عليه السلام، نفسه، وذلك لتعلقها بأهم العقائد الدينية ألا وهي عقيدة الألوهية.

ويظهر لنا موقف الإسلام بشكل واضح من قضية البنوة من خلال جملة من الآيات التي تناولت هذا الموضوع من بينها قوله تعالى: [يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا علم الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه

(١) انظر الكتاب، ص ١٠٨-١٣٤.

فأمّنوا بالله ورسله. ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفّر بالله وكليلاً. لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون. ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فيسحشرهم إليه جميعاً^(١).

لقد كان الغلو هو الأساس الذي يستند إليه النصارى في إقرار هذه العقيدة الباطلة ومن ثم نهاهم القرآن الكريم عن الغلو في الدين مبيّناً لهم حقيقة المسيح، عليه السلام فهو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والمسيح نفسه لا يستنكف عن هذه العبودية كما لا يستنكف عنها الملائكة المقربون، وقد تعرض لهذه القضية سيد قطب فقال:

"إنه سبحانه خلق عيسى بالأمر الكوني المباشر الذي يقول عنه في مواضع شتى في القرآن انه (كن.. فيكون*) فلقد ألقى هذه الكلمة إلى مريم فخلق عيسى في بطنها من غير نطفة أب... والكلمة التي تخلق كلاً من العدم، لا عجب في أن تخلق عيسى عليه السلام في بطن مريم من النفخة التي يعبر عنها بقوله (وروح منه). وقد نفخ الله في طينة آدم من قبل من روحه: فكان (إنساناً) كما يقول تعالى: [إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين]**]. وكذلك قال في قصة عيسى: [والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا***]

(١) سورة النساء، الآيات ١٧١ و١٧٢.

* راجع: سورة البقرة، الآية ١١٧. وسورة آل عمران، الآية ٤٧. وسورة مريم، الآية

٣٥. وسورة الأنعام، الآية ٧٣. وسورة يس، الآية ٨٢. وسورة غافر الآية ٦٨.

** سورة ص، الآيات ٧١ و٧٢.

*** سورة الأنبياء، الآية ٩١.

فالأمر له سابقة.. والروح هنا هو الروح هناك.. ولم يقل أحد من أهل الكتاب - وهم مؤمنون بقصة آدم والنفخة فيه من روح الله - أن آدم إله ... كما قالوا مع عيسى، مع تشابه الحال من حيث قضية الروح والنفخة ومن حيث الخلقه كذلك" (١).

صحيح أن ولادة عيسى، عليه السلام، لم تجر على السنن المألوفة إذ لم يكن له أب كما يعهد الناس في الولادة العادية، وهذا ما استغله النصارى لتبرير قولهم ببنوته لله، ولكن القرآن الكريم يذكر أن عيسى، عليه السلام، لا يختلف في ذلك عن آدم، عليه السلام، إذ هو الآخر لم يكن له أب ولم تكن له أم أيضاً، فلو كانت ولادة عيسى تصلح أسساً لبنوته لله بنوة حقيقية. لكان آدم، عليه السلام، أحق بهذه البنوة، وقد ورد توضيح ذلك في القرآن الكريم، يقول سبحانه: [إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون، الحق من ربك فلا تكرر من الممتريين] (٢).

وقد أثبت القرآن الكريم تحقق هذا الأمر الكرنى المباشر فيما يتعلق بعيسى، عليه السلام، وذلك عندما تحدث عما أصاب مريم من خوف بعد تلقيها أمر الله بانجاب ابنها عيسى، عليهما السلام، إذ قالت كما يذكر القرآن الكريم:

[رب أني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون] (٣).

إن فهم أبناء الأديان الثلاثة لحقيقة وجود آدم، عليه السلام، وقبولهم لها مع مخالفتها لما هو متعارف عليه في العرف الإنساني يؤدي بدوره إلى

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، م ٢، ص ٨١٧.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان ٥٩ و ٦٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٤٧.

قبولهم ولادة عيسى، عليه السلام، دون أب.

فالتصديق العقلي المجرد عن الإيمان القبي بخلق آدم دون أب وأم، أصعب منطقياً من الأخذ بولادة عيسى بن مريم دون أب فهو على أقل تقدير جرى عليه ماجرى على البشر من مراحل النمو والتكوين الإنساني، ابتداء من تخلقه في رحم أمه إلى الوقت الذي خرج فيه إلى هذه الدنيا ومن ثم بلوغه أشده ... الخ.

أما آدم فقد ظهر أول مظاهر رجلاً متكامل الرجولة لم يمر بأي من هذه المراحل الإنسانية، فهو لم يعرف الطفولة، ولم يمر بأي من المراحل السابقة لمراحلته تلك، وبالتالي فإذا كانت مخالفة المؤلف مؤدية إلى العبادة، فإن العقل السليم سيختار عبادة آدم دون شك لاختلاف خلقه تماماً عما اعتاده البشر، وبما أنه لم يفعل كان اختصاص عيسى بن مريم، عليهما السلام، بالعبادة غير مقبول عقلاً. ويقول الشيخ ابن تيمية تأكيداً لهذه الحقيقة:

"خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيح، فإن حواء خلقت من ضلع آدم، وهذا أعجب من خلق المسيح في بطن أمه، وخلق آدم أعجب من هذا وهذا، وهو أصل خلق حواء. فلهذا شبهه الله بخلق آدم الذي هو أعجب من خلق المسيح، فإذا كان سبحانه قادراً أن يخلقه من تراب، والتراب ليس من جنس بدن الإنسان، أفلا يقدر أن يخلقه من امرأة هي من جنس بدن الإنسان؟ وهو سبحانه خلق آدم من تراب، ثم قال له كن فيكون، لما نفخ فيه من روحه، كذلك المسيح نفخ فيه من روحه، وقال له: كن فيكون، ولم يكن آدم بما نفخ من روحه لاهوتاً وناسوتاً، بل كله ناسوتاً، فكذلك المسيح كله ناسوت..."^(١).

(١) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج٢، ص٢٩٤-٢٩٥.

ويتوسع الشيخ رحمت الله ابن خليل الهندي في عرض غير المألوف من صور النشأة فيقول:

"قيستلون تارة أنه ولد بلا أب، وهذا الاستدلال ضعيف جدا، لأن العالم حادث بأسره وما مضى على حدوثه إلى هذا الزمان ستة آلاف سنة على زعمهم. وكل مخلوق من السماء والأرض والجماد والنبات والحيوان وأدم خلق عندهم في اسبوع واحد، فجميع الحيوانات مخلوقة بلا أب ولا أم. فكل من هذه يشارك المسيح في كونه مخلوقا بلا أب ويفوق عليه في كونه بلا أم وتتولد أصناف من الحشرات في كل سنة في موسم نزول المطر بلا أب أو أم. فكيف يكون الأمر سببا للألوهية؟!

ولو نظرنا إلى نوع الإنسان فأدم عليه السلام يفوق عليه، وكذلك ملكي صادق الكاهن الذي هو معاصر إبراهيم عليه السلام في الآية الثالثة من الباب السابع من الرسالة العبرانية حاله هكذا: (بلا أب بلا أم بلا نسب. لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة). يفوق المسيح في كونه بلا أم، وفي كونه لا بداءة له^(١)

أما قول النصارى بهذه البنية اعتمادا على ما ظهر على يده، عليه السلام، من معجزات، فالإسلام الذي يقر بظهورها في أكثر من آية قرآنية إلا أنه علقها بالمشيئة الإلهية، فما كان منه، فيأذن الله، وهو الأمر الذي تقرر على لسان عيسى، عليه السلام، نفسه. وقد جاء على لسانه أنه قال: [أنبي قد جئتكم بآية من ربكم أنبي أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمة والأبرص وأحي الموتى

(١) إظهار الحق، دراسة وتحقيق الدكتور محمد ملكاوي. ج ٣، ص ٧٦٥.

بإذن الله وأنبئكم بما تآكلون وما تحشرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين^(١).

إلى أن قال: [إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم]^(٢).
 فبعد أن أعلن، عليه السلام، أن الله المسبب الأول وراء ظهور تلك المعجزات، أعلن استحقاقه سبحانه للعبادة منه عليه السلام، ومن قومه مقرراً أن ذلك هو الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه.

وقد بين الشيخ رحمت الله الهندي الضعف في استدلال النصارى للمعجزات عند محاولتهم تثبيت القول بينوة المسيح لله، فقال:

"لأن من أعظم معجزاته إحياء الموتى... إن عيسى عليه السلام بحسب هذا الإنجيل ما أحيا إلى زمان ائصلب إلا ثلاثة أشخاص... وأحيا حزقيال عليه السلام ألوفا كما هو مصرح في الباب السابع والثلاثين من كتابه، فهو أولى بأن يكون إلهاً، وأحيا إيليا عليه السلام أيضاً ميتاً كما هو مصرح في الباب السابع عشر من سفر الملوك الأول، وأحيا اليسع عليه السلام أيضاً ميتاً كما هو مصرح في الباب الرابع من سفر الملوك الثاني، وصدرت هذه المعجزة عن اليسع بعد موته: أن ميتاً أُلقي في قبره فحيى بإذن الله كما هو مصرح في الباب الثالث عشر من السفر المذكور، وأبرأ الأبرص من برصه كما هو مصرح في الخامس من السفر المذكور"^(٣).

(١) سورة آل عمران، الآية ٤٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٥١.

(٣) إظهار الحق، دراسة وتحقيق الدكتور محمد ملكاوي، ج ٣، ص ٧٦٥-٧٦٦. راجع أيضاً: الدكتور محمد مجدي مرجان، الله واحد أم ثالوث، ص ١١٢-١١٣. والشيخ أحمد ابن إدريس الكرافي، أدلة الوجدانية في الرد على النصرانية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية، ص ١٠٣.

وهكذا أثبتت رحمت الله الهندي، رحمه الله، فساد دليلهم هذا بأدلة من كتابهم لعلمهم يرجعون. فعيسى بن مريم اعتماداً على دليل الإعجاز، لا يستحق العبادة بالقدر الذي يستحقه غيره ممن وردت سيرهم في كتابهم المقدس، لتفوقهم على عيسى، عليه السلام، في ذلك المجال المعجز، بل لقد قر في أذهان المنصفين من بني إسرائيل أن عيسى، عليه السلام، لا يتجاوز في مكانته مكانة الأنبياء والمرسلين، الذين لا يسعهم إلا أن يعترفوا بالعبودية لله، وذلك هو ماجرى على لسانه، وهو صبي في مئذنه وسمعه كثيراً منهم.

ويعرض القرآن الكريم هذه الصورة المشرفة التي تظهر حقيقة المسيح بقوله سبحانه:

[فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً، قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً. وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً. وبرا بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً، والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً]^(١).

هكذا بدأ حياته، عليه السلام، بأن أعلن عبوديته ورسالته وهو مازال في المهد صبياً فأوضح أنه بشر يؤدي حقوق الله عليه كعبد من صلاة وزكاة كما أن الموت والبعث يجريان عليه كغيره من البشر.

وهناك آية قرآنية كريمة تتحدث عن ميثاق الأنبياء بما في ذلك عيسى، عليه السلام، فقد خصت هذه الآية عيسى، عليه السلام، بنسبته إلى أمه.

قال تعالى: [وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً]^(٢).

(١) سورة مريم، الآيات من ٢٩-٣٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٧.

ولعل السر في ذلك وهو ما ترتب على خاصية عيسى بن مريم من عقائد فاسدة ترقى به زورا وبهتانا إلى مقام الألوهية، فحرص القرآن الكريم على تأكيد ارتباطه بأمه الأمر الذي لا يتفق إطلاقاً مع الألوهية، اللهم إلا في أساطير الأولين.

ومن اللافت للنظر أسلوب القرآن الكريم في حديثه عن عيسى بن مريم، إذ إن الغالبية العظمى من الآيات القرآنية التي تتعلق به تذكر بنوته لأمه. عليهما السلام، وهو أسلوب في غاية الأهمية إذا ما أخذنا في الحسبان أسلوب حديث عيسى عليه السلام، عن نفسه والوارد في الأنجيل، فهو كما أشرت في حينه يذكر دوماً أنه "ابن الإنسان" وقد كانت تلك العبارة مدار اهتمام كثير من علمائهم الذين حاولوا تبرير تكرارها على لسان عيسى عليه السلام، تبريراً لا يفي بنوته المزعومة لله. وقد باءت تلك المحاولات كما ظهر بالفشل.

ولو أمعن عامة النصارى في كتابهم المقدس دون تحيز وتعصب لما وجدوا آباءهم عليه، لوقفوا على عبارة "ابن الإنسان" التي تتسببها الأنجيل إليه، عليه السلام، فهي من الكثرة بحيث لا يمكن تجاهلها أو المرور عليها دون توقف، ولو بحثوا في حقيقة المراد منها لوجدوا أن تفسيرها يتوافق مع بنوته لأمه مريم، عليها السلام، كما هو في القرآن الكريم. "وقد اتجه القرآن الكريم إتجاهاً آخر في إثبات عبودية عيسى، عليه السلام، لله ونفي بنوته له سبحانه عما يشركون، وذلك عندما تحدث عن ضعفه وحاجته إلى مستلزمات الحياة فهو وأمه كغيره من البشر في حاجة إلى طعام للبقاء، وهو أمر يمتنع عن الإله فاطر السموات والأرض المستحق للعبادة وحده دون غيره. قال تعالى: [ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر أني يوفكون] (١).

(١) سورة المائدة، الآية ٧٥.

ولنا أن نقول إن عيسى، عليه السلام، برئ مما نسب إليه، فهو لم يأمر قومه بعبادته أو اعتباره ابن الله على الحقيقة، فهو كأنبيااء الله المصطفين الأخيار.

وهو عليه السلام سيبرئ نفسه من هذه العقيدة أمام الأشهاد عند الحساب، هذا ما أطلعنا عليه سبحانه إذ قال في كتبه الكريم: [يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس إتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب. ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت علم كل شيء شهيد] (١).

ولقد بلغ عيسى، عليه السلام، رسالته على أكمل وجه، ودعا قومه بما أمره به الله سبحانه، وقد تقبل الحواريون دعوته تلك فأمنوا بالله وحده، هذا ما أثبتته القرآن الكريم بما نقله على أنسنتهم: [ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين] (٢).

إن إقرار الحواريين برسالة عيسى، عليه السلام، ورفضهم اعتباره ابن الله مشاركا له في الألوهية، حقيقة وصل إليها كثير من العلماء المنصفين، ومن هؤلاء برادلي "Bradley" الذي قرر "أن الحواريين لم يؤلّهوا عيسى إنما كانوا يطلقون عليه لقب "Lord" وهي كلمة منقولة عن أصل إغريقي بمعنى (السيد) ثم تغير معناها عند الأقباط بعد ذلك فصارت تعني (الرب) أيضا" (٣).

(١) سورة المائدة، الآيتان ١١٦ و١١٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٥٣.

(٣) David. G, a guide to the worlds religions, p. 51.

ومن هؤلاء أيضا "شارل جنبيير" الذي يقول: "ولم يكن الإثنى عشر ليوافقوا على نعت عيسى بـ (ابن الله) مكتفين بتعبير (خادم الله)"^(١).
 وليقول بعد ذلك مثبتاً براءة عيسى بن مريم من هذه البنوة: "النتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين، هي أن عيسى لم يدع قط أنه المسيح المنتظر. (ولم يقل عن نفسه أنه "ابن الله"...)"^(٢).

كما قال:

"تعتقد أنه من المحتمل أن يكون عيسى قد تصور نفسه "عبد الله" وتقدم للناس بهذه الصفة. والكلمة العبرية "عبد" كثيرا ماتتجم إلى اليونانية بكلمة تعني (خادم) و(طفلا) على حد سواء. وتطور كلمة (طفل) إلى كلمة (ابن) ليس بالأمر العسير، ولكن مفهوم (ابن الله) نبع من العالم الفكري اليوناني"^(٣).

ويعبر غراج "Gragg" عن هذه الفكرة قائلا:

"إن مصطلح البنوة على نحو ما هو شائع مصطلح غير موفق، لما يوحيه من العلاقة المادية بين الأب والإبن مع أن المصطلح بالأرامية يعني الحب الشديد، وهو أمر لا يخص المسيح، ولذلك كان يقول في كثير من النصوص (أبي وأبيكم)"^(٤).

إن هذا العالم يؤكد أن الخلط الوارد هنا نتج عن تداخل اللغات وهو أمر معروف يقع في كثير من الكلمات والعبارات.

(١) المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود، ص ٩١.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٩.

(٣) المرجع نفسه والصفحة نفسها، الحاشية.

(٤) Kenneth, Jesus and the Muslim an exploration, p. 197.

كما ذهب شارل جنيبير إلى أن بولس عندما قال بهذه النبوة لم يقصد معناها العقدي الحالي فهو يقول:

"إن (السيد) هو (ابن الله) دون أن يفترض هذا التعبير إيماناً منه بنظرية النبوة في معناها الحرفي.

وإذا أردنا التحديد، وجب القول بأن بولس كان يرى أن (السيد) يمثل بمفرده صنفاً من أصناف الخليقة يعتبر أقرب صنف إلى الله. ويمكن وصفه بـ (الإلهي) ومن ناحية أخرى، فمن المؤكد لدينا إن الاعتقاد بالوهية المسيح بعد ذلك كان لا بد له من النمو إذ بدأ تصوير بولس له مشوباً بالكثير من التردد والنقص بحيث لم يقدر له مقاومة الزمن. واتجهت تقوى المؤمنين في قوة دون ما إدراك للعقبات إلى تشييط الإيمان بالوحدة بين (السيد) و (الله)^(١).

لقد كان عيسى، عليه السلام بمولده المتميز وحياته الخاصة ونهايته المتفردة على الأرض آية من آيات قدرة الله سبحانه ومظهراً من مظاهر عظيمته، ومثالاً من أمثلة حكمته وصدق الله العظيم إذ يقول: [وجعلنا ابن مريم وأمه آية]^(٢).

وإذ يقول: [قالت أني يكون لي غلامٌ ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً، قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً]^(٣).

والملاحظ أن القرآن الكريم عندما يتحدث عن عيسى، عليه السلام، يكرر التنبؤ إلى وفاته، ولعل الحكمة في ذلك قطع شائبة التأليه. قال تعالى

(١) المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود، ص ١٠٧.

(٢) سورة المؤمنون، الآية ٥٠.

(٣) سورة مريم، الآيات ٢٠ و ٢١.

على لسان عيسى، عليه السلام، وهو في المهد صبي: [والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً]^(١).

وقال سبحانه على لسانه، عليه السلام، يوم البعث: [ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت علم كل شئ شهيد]^(٢).

وقال تعالى: [إذ قال الله يا عيسى إنني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين إتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون]^(٣).

وهكذا لا يبقى أي مجال لتأليه المسيح إذ الإله لا يولد ولا يموت. وأختم هذا البحث بعبارات للأستاذ سيد قطب علق بها على تعقيد قضية النبوة في المسيحية رغم بساطتها الفطرية الواضحة في ثنايا عرض الإسلام قال فيها:

"يعجب الإنسان وهو يرى وضوح القضية وبساطتها من فعل الهوى ورواسب الوثنية التي عقدت قضية عيسى عليه السلام هذا التعقيد كله في أذهان أجيال وأجيال وهي - كما يصورها القرآن - بسيطة وواضحة ومكشوفة"^(٤).

(١) سورة مريم الآية ٣٣.

(٢) سورة المائدة، الآية ١١٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٥٥.

(٤) في ظلال القرآن، م ٢، ص ٨١٧.

٢- موقف الإسلام من الفداء المسيحي:

عرفنا أن الفداء من العقائد الأساسية التي نتجت عن اعتقاد النصارى بتوارث الخطيئة الأولى، فهم يؤمنون أن هذه الخطيئة ما كانت لتغفر دون عقاب، فرحمة الله على سعتها لا تتفق مع عدله سبحانه. فعدله يقتضى عقاب المخطئ والإنسانية خاطئة بالوراثة فلا بد أن يقع عليها، وبما أن من المتعذر الجمع بين الرحمة والعدل بمفهومهما المسيحي، إذ إن رحمته تقتضى العفو وعدله يقتضى العقاب اختار الإله - حسب زعمهم - أن يرسل ابنه الوحيد ليصلب ويقتل فداء للبشرية، الذي وافق بدوره أن يذل ويبذل ويقتل ويصلب على يد عبده ليحقق بذلك المعادلة الصعبة في التوفيق بين عدل أبيه - على زعمهم - ورحمته ولتنطهر الإنسانية المؤمنة به كقادي من ذلك الميراث الثقيل، وهذا هو ملخص عقيدة الفداء المسيحي.^(١)

يرفض الإسلام هذه العقيدة شكلا ومضمونا، كد يظهر من خلال الأدلة النقلية والعقلية، وسأحاول بإذن الله أن أعرض لبعض تلك الأدلة . وأبين وجهة النظر الإسلامية في رفض القول بالفداء .

١- إن الخطيئة التي قالت النصرانية بوراثة الإنسانية لب. غفرت من قبل الله، فقد ألهم سبحانه آدم كلمات الضراعة والتوبة التي تفتح لها أبواب المغفرة^(٢).

٢- مبدأ ميراث الخطيئة يتنافى مع العدالة الإلهية التي تقرر أن كل فرد مسئول عن عمله خيرا كان أو شرا، وبما أن الإنسانية بريئة من ذنب أبويها آدم وحواء، فهي ليست محلا للعقاب على هذه المعصية، وقد ذكرت ذلك بالتفصيل في الفصل في الفصل السابق.

(١) أنظر الكتاب، ص ١٣٥-١٤٢. راجع أيضا أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري.

الرد على النصارى، حققه وقدم له الدكتور محمد محمد حسنين - ص ٣٦-٣٧.

(٢) أنظر الكتاب ص ١٨٠.

٣- إن ما قاله النصارى حول حكمة الفداء ومفهومه، يتعارض مع ما قرره الإسلام حول قدرة الله سبحانه، فعلى فرض أن ثمة ذنوباً تستوجب قصاصاً، فإن الله سبحانه قادر على التجاوز عن هذه الذنوب دون حاجة إلى فداء، قال تعالى: [ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله علم كل شئ قدير]^(١).

٤- إن ما قاله النصارى حول حكمة الفداء ومفهومه يتعارض أيضاً مع ما قرره الإسلام من اتصاف الله سبحانه بصفة الرحمة، فإذا كانت رحمته وسعت ذنوب الخاطئين فيكيف تتفق مع تحميل الأبرياء عواقب ما لم يفعلوا، بل إن هذا التصور لا يتعارض مع الرحمة الإلهية فحسب، وإنما يتجاوز ذلك إلى وصفه سبحانه بدرجة متميزة من القسوة - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - إلى حد أنه دفع بولده الوحيد ليتحمل القتل والصلب رغم قدرته على حمايته من بطش أعدائه، بل ورغم علمه بأنه لا يستحق ذرة من هذا العقاب.

ولقد صور الإسلام المشاعر الإنسانية الفطرية في نفس الأم تجاه أولادها، فإذا هي مشاعر تفيض بالرحمة والعطف والإشفاق، مقررًا أن رحمة الله بعباده تتفوق على رحمة الأم بأولادها، تفوق الصفة الأبدية اللا محدودة على الصفة الإنسانية القاصرة، فعن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه قال: (قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبي، فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم: أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا لا وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: الله أرحم بعباده من هذه بولدها)^(٢).

(١) سورة المائدة، الآية ٤٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقيله ومعانفته، ج ٨،

٥- ينفي الإسلام نفيًا قاطعًا مآذركته الديانة النصرانية حول القتل والصلب وذلك في قوله تعالى: [وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا أتباع الظن وما قتلوه يقيناً] (١).

وأساس هذا الظن أن الله سبحانه وتعالى فيما يذكر بعض العلماء القى شبه عيسى، عليه السلام، على أحد أعدائه وهو يهوذا الإسخريوطي (٢) فقتل وصلب. وقد أكد نفي الصلب عن المسيح بعض المنصفين من علماء النصرانية أذكر منهم:

"أرنست بونسن الألماني في كتابه (الإسلام أي النصرانية الحقة) - الذي قال - في صحيفة ١٤٢ ما معناه أن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح لا من أصول النصرانية الأصيلة" (٣).

أما ملمن فلم يستبعد وقوع الصلب على غير عيسى، عليه السلام، وذلك في قوله في:

الجزء الأول من كتابه المسمى (تاريخ الديانة النصرانية) - إن تنفيذ الحكم كان في وقت الغس وإسدال ثوب الظلام فيستنتج من ذلك إمكان استبدال المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا في سجون القدس منتظرين تنفيذ حكم القتل عليهم كما اعتقد بعض الطوائف وصدقهم القرآن" (٤).

(١) سورة النساء، الآية ١٥٧.

(٢) راجع: نجم الدين البغدادي الطوفي، الإنتصارات الإسلامية في مقارنة الأديان، دراسة وتحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا، ص ١٠٢.

(٣) عبد الرحمن بن سليم البغدادي، الفارق بين المخلوق والخالق، ص ٢٨١-٢٨٢.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٨٢.

٣- موقف الإسلام من عالمية المسيحية:

عرفنا مما سبق أن النصارى انتهوا إلى القول بعالمية المسيحية نتيجة لاعتقادهم بتوارث الخطيئة الأولى التي انتهت إلى عامة البشر .

ولأنهم يقرون أن عدل الله لا ينعصر في شعبه المختار، بل يشمل ذرية آدم بأكملها، كان لزاماً أن تكون ديانة الفادي الذي افتدى الإنسانية فطهرها مما لحق بها من خطيئة أبويها ديانة عالمية.

فليس من العدل أن يخلص بني إسرائيل من لعنة الخطيئة الأولى دون غيرهم من بني آدم، ودعماً وتثبيتاً لفكرة العالمية في نفوس أتباعهم، قالوا إن الذي سيقوم بمحاسبة البشر يوم البعث الأكبر هو الفادي عيسى بن مريم يغفر لمن آمن به كفادٍ ويعاقب من كفر بذلك.

ورغم وضوح موقف الإسلام من مسألة عالمية المسيحية فسيزداد الأمر وضوحاً من خلال اللقاء الضوء على أمرين في غاية الأهمية.
أولاً: إن مناداة رجال الدين المسيحي كل يوم بعالمية المسيحية، وقيام أتباعهم بتنفيذ متطلبات هذه العالمية بجد ومثابرة، يعد أكبر دليل على ما وقع من أجماع بين النصارى على هذه العقيدة.

ثانياً: أن الباحث في الأنجيل يفاجئ بنصوص تبطل القول بهذه العالمية، لأنها تقرر أنها ديانة قومية لبني إسرائيل لا غير.

ومن النصوص التي تؤكد هذه الحقيقة ماورد على لسان الملك الذي بشر مريم عليها السلام بولادتها لرسول الله، عيسى عليه السلام:

(يامريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله، وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعي ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد)^(١).

(١) انجيل لوقا، الإصحاح الأول، الفقرتان: ٣٠ و٣١.

فقد أكد هذا النص خصوصية دعوة عيسى، عليه السلام، بآل يعقوب أي بني إسرائيل دون غيرهم، وهذا التخصيص يخرج غيره من ملكه وهو يعني خصوصية دعوته، والمدهش حقاً هو هذا التشابه الذي يجمع بين هذا النص ونص قرآني أشار إلى القصة نفسها بما في ذلك تخصيص نبوة عيسى، عليه السلام، ببني إسرائيل وحدها وذلك في قوله تعالى: [إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين، ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين، قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون، ويُعَلِّمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوَارِثَ وَالْإِنجِيلَ، وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ] (١).

وكما تذكر الأناجيل فإن عيسى. عليه السلام، نفسه أكد أنه لم يأت بدين جديد بل إنه جاء لإكمال ما جاء به موسى من قبله، وبالتالي فهو لم يبعث لإستبدال الديانة اليهودية بديانة جديدة تماماً، فقد ورد ما يدل على ذلك في إنجيل متى حيث نقل على لسانه قوله:

(لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل.) (٢).

وتفسير النص السابق أنه لما كتبت ديانة موسى خاصة ببني إسرائيل، فقد بعث هو أيضاً ليكون نبياً لبني إسرائيل خاصة كالأنبياء السابقين أصحاب الناموس.

ويؤكد الإسلام أيضاً ما جاء في هذا النص فقد ورد في القرآن الكريم

على لسان عيسى بن مريم أنه قال لبني إسرائيل: [ومصدقاً لما بين يدي

(١) سورة آل عمران، الآيات من ٤٥-٤٩.

(٢) الإصحاح الخامس، الفقرة: ١٧.

من التوراة ولأجل لكم بعض الذي حرم عليكم وجنتكم بأية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون^(١).

فالحكمة من إرساله، عليه السلام، كانت لتجديد إيمان بني إسرائيل بدينهم الموسوي وكتابهم التوراة، ولتحليل بعض الذي حرم عليهم في توراتهم رحمة من الله سبحانه بهم. وقد وجه عليه السلام تلامذته الإثني عشر إلى هذه الخصوصية عندما بعثهم لنشر دعوته بين بني إسرائيل إذ قال لهم كما يذكر إنجيل متى (إلى طريق أمم لاتمضوا وإلى مدينه للسامرين لاتدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)^(٢).

إن تأكيده، عليه السلام، في هذا النص خصوصية دعوته لا مجال للجدال فيها فقد منع حواربيه من الدخول أو حتى المرور بأمم غير اليهود، وما كان ليأمرهم بذلك لو أن دعوته التي بعث بها كانت عالمية.

وقد أثبت عليه السلام خصوصية رسالته في موضع آخر يقول فيه: (لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)^(٣). كما يؤكد هذه الخصوصية بطرس الذي أجمع علماء الديانة المسيحية على مر عصورها أنه خليفة عيسى، عليه السلام، فقد نقل عنه أنه قال: (الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل يبشر بالسلام بيسوع المسيح)^(٤).

ويقرر القرآن الكريم خصوصية دعوة عيسى، عليه السلام، لآل يعقوب في كثير من الآيات من مثل قوله تعالى عن عيسى بن مريم، عليه السلام: [إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل]^(٥).

(١) سورى آل عمران، الآية ٥٠.

(٢) الإصحاح العاشر، الفقرتان: ٦٥.

(٣) إنجيل: متى، الإصحاح الخامس عشر، الفقرة ٢٤.

(٤) أعمان الرسل، الإصحاح العاشر، الفقرة: ٣٦.

(٥) سورة الزخرف، الآية ٥٩.

وقوله تعالى: [وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة]^(١).

وقوله تعالى على لسان عيسى، عليه السلام،: [يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار]^(٢).

وفي نهاية هذا العرض نجد أن هناك توافقاً في عدد كثير من النصوص المسيحية مع ما ورد في القرآن الكريم من رفض لعالميتها مما يؤكد أن هذه العالمية المزعومة إنما تمثل إحدى إضافات الكهنة إلى المسيحية، وأنه لأساس لها في الدين يمكن الإستناد إليه.^(٣)

(١) سورة الصف، الآية ٦.

(٢) سورة المائدة الآية ٧٢.

(٣) راجع: المستشار محمد عزت الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص ٢٩٣-٣٠١.

الباب الرابع

المقارنة بين الأديان الثلاثة من قضية الخطيئة الأولى وآثارها

الفصل الأول: أسس المقارنة.

الفصل الثاني: عوامل الإنحراف.

تمهيد:

تبيين لنا فيما مضى وجود عناصر اتفاق وعناصر اختلاف بين الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام حول قصة الخطيئة الأولى. وأن الخلاف حول مضمونها ومغزاها أوسع دائرة بين الإسلام وبين الديانتين السابقتين اللتين جعلتا منها مرتكزا من مرتكزات الإيمان والاعتقاد.

ورغبة في الوصول إلى موقف محدد يظهر لنا من خلاله أي هذه الأديان الثلاثة هو الذي تتوافر فيه مقومات الصدق، فقد خصص هذا الباب ليتضمن الفصل في هذه القضية الخطيرة، من خلال عقد مقارنة موضوعية حولها بين الأديان الثلاثة. وللوصول إلى هذه الغاية سألقي الضوء أولا على أسس المقارنة. وقد اخترت أكثر هذه الأسس تداولاً بين الباحثين وهي التي أشار إليها الدكتور رقي زاهر بقوله:

"إن مقاييس المفاضلة بين الأديان مختلفة وأسس التمييز بينها متفاوتة تبعاً لاختلاف المشارب وتدفوت الأزواق.

فالعقليون يفاضلون بينها على أسس ما فيها من حقائق، فأكثر الأديان اشتمالاً على الحقائق هو أكثرها حظاً من الفضل والعلماء يفاضلون بينها على أساس ما فيها من المعارف العلمية... وأحدث مقياس في هذا الشأن، مبحثكم إليه البراجماتيون في المقارنة، فقد فسروا الحق ب (النافع، والعملية) وعلى هذا يكون أفضل الأديان هو أكثرها نفعاً للناس وحثاً على العمل.

يبدو أن هذا الاتجاه البراجماتي ليس جديداً تماماً، فإننا نجد له جذوراً عميقة في فلسفة الفيلسوف الأندلسي (ابن رشد).

لقد حدد (أبو الوليد بن رشد)* وظيفة الدين الأساسية وهي

* راجع ابن رشد، تهافت التهافت، ج ٢، ص ٨٦٩-٨٧٠.

عنده حث الناس على الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة التي تحقق لهم السعادة في الدارين، وعلى ذلك فأفضل الأديان هو ما كان بنصوصه وطقوسه أكثر نهوضاً بهذه الوظيفة الجوهرية الخالدة^(١).

وعلى هذا اخترت ثلاثة أسس للمقارنة وهي:

١- الأساس العقلي.

٢- الأساس التاريخي.

٣- الأساس الغائي.

هذا هو موضوع الفصل الأول من هذا الباب، إلا أن هذه الأسس لن تتضح في أذهاننا تماماً دون الرجوع إلى العوامل التي تسببت في الانحراف العقائدي الذي شاب بعض الأديان السماوية. لذا خصص الفصل الثاني والأخير من هذا الباب - إن شاء الله - للحديث عن عوامل الانحراف وهي ثلاثة:

١- العامل النفسي.

٢- العامل القومي.

٣- العامل الديني.

لأصل في نهايته بعون الله وتوفيقه إلى التمييز بين دين الحق وغيره من الأديان الباطلة.

(١) قصة الأديان، ص ٢٩٦-٢٩٧.

[The page contains extremely faint and illegible text, likely bleed-through from the reverse side of the document. No specific words or phrases can be discerned.]

الفصل الأول

أسس المقارنة

- ١- الأساس العقلي.
- ٢- الأساس التاريخي.
- ٣- الأساس الغائي.

١ - الأساس العقلي:

لو أن أصحاب كل ديز احتكموا في مجال المقارنة بين الأديان إلى نصوص في دينهم لكان من المتعذر أن يلتقوا على طريق وسط أو أن يقتنع واحد منهم برأي آخر.

ذلك لأن النصوص الدينية عند أبناء الدين هي دائما موضع قداسة لاتقبل المساس بها أو المسومة على صدقها، ومن هنا ندرك أهمية الاعتماد على الأساس العقلي في مثل هذه المقارنات، ذلك أن اعتماد النتائج العقلية غالبا ما يكون موضع القبول من الناس على اختلاف أديانهم لاسيما المستتبرون منهم، ومن اليسير أن نجد من أبناء الأديان الثلاثة أقدم كثيرا من الأمثلة التي تظهر الموقف الموضوعي في أبناء كل دين، غير أنني أكتفي بتقديم ثلاثة نصوص، يعرض كل منها رأي عالم من علماء الأديان الثلاثة في حتمية قيام العقيدة الصحيحة على العقل، فقد قال الفيلسوف اليهودي موسى ابن ميمون:

"إن الاعتقاد ليس معنى المعقول، بل المعنى المتصور في النفس، إذ صدق به أنه كذلك على ما تصور، فإن كنت ممن تنفع من الآراء الصحيحة أو المظنون صحتها عندك بأن تحكيها بالقول من غير أن تتصورها وتعتقدها، ناهيك أن تطلب فيها يقينا، فإن هذا سهل جدا، كما تجد كثيرين من البله يحفظون عقائد لايتصورون لها معنى بوجه"^(١).

إذا فالاعتقاد دون عقل بلاهة في نظر موسى ابن ميمون، أما يوحنا الدمشقي أحد علماء الديانة المسيحية فيقول: "للعقل قيادة النفس والجسد"^(٢).

(١) دلالة الحائرين، تحقيق الدكتور حسن أتاي، ج ١، ص ١١٨.

(٢) المنة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، عربه الارشمندريت أدريانوس شكور،

كما أن الشيخ محمد عبده يرى أن أول: "أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي، والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح..."^(١).
وأعرض الآن للمقارنة بين الأديان الثلاثة في بعض الصفات الإلهية المتصلة بموضوع الخطيئة الأولى للاستدلال على أي هذه الأديان أدنى إلى القبول العقلي.

فبالنسبة للديانة اليهودية نجد أن التوراة تظهر الإله جاهلاً بمعصية آدم إلى أن أخبره آدم بذلك، لتصفه بعد ذلك بالقسوة والظلم، فقد كان قاسياً في حكمه على آدم وحواء، كما أنه

لم يقصر حكمه هذا عليهما بل جعله متعدياً إلى نسلهما، وقد ولد اعتقاد اليهود بظلم الإله في نفوسهم إحساساً مريراً بسبب رفضهم لمبدأ توارث الخطيئة الأولى ولعنتها مما أدى إلى اعتراض كثير منهم، وهو مانسبه العهد القديم لنبيهم داود، وعليه السلام. وتمشياً مع هذا الاتجاه تحدث كتابهم المقدس عن حقه وظلمه. إذ قررت نصوصه أنه لا يغفر الذنب البتة، بل يأخذ الأحفاد بجرائر الأجداد وهو في ذلك لا يفرق بين المكلف وغيره.

إن أي عاقل يستخدم عقله في تبيين صفات الله لا بد أن يصفه بغاية سمو والكمال، ولا شك أن ما ينسب إلى الإله من الجهل والقسوة والظلم أمور تتنافى عقلاً مع الكمال الإلهي، بل إن أي إنسان من البشر يدرك أن هذه الصفات نقائص ينبغي أن يبرأ منها لأنها تتنافى مع الكمال الخلقى للإنسان، فكيف يقبل العقل أن يتصف الله سبحانه بنقائص ينزهه البشر أنفسهم عن الاتصاف بها.

وهنا تتبين لنا روعة الإسلام وقوته إذ تتضافر النصوص الصريحة القاطعة على تنزيهه الله سبحانه عن تلك الصفات، فالذات الإلهية كاملة

(١) الإسلام والنصارانية مع العلم والمدنية، ص ٩٦. راجع أيضاً: أبا الفضل المالكي المسعودي، الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل، ص ٤.

متفردة في هذا الكمال.

[ليس كمثله شئ وهو السميع البصير]^(١).

فصفة العلم في الإسلام، صفة لازمة من لوازم الألوهية، وهو في ذلك يتفق مع منطق العقل تماماً وبالتالي فإن ما ذكره العهد القديم في هذا الصدد بعيد عن القبول العقلي، بقدر ما فيه من الإخلال بتنزيه الله سبحانه عما لا يليق. هذا فيما يتعلق بموقف الإسلام من وصفهم الإله بالجهل. وهو الموقف نفسه الذي يقفه الإسلام عندما يرفض وصفه له سبحانه بالقسوة والظلم.

فالنصوص الإسلامية تنفي وصفه بالظلم كما تحدثت بإسهاب عن رحمته التي وسعت كل شئ.

وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: [كتب ربكم على نفسه الرحمة]^(٢). كما قال سبحانه: [قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم]^(٣).

ومن لطائف ما يذكر في هذا الموضوع ما قرأ في روع موسى، عليه السلام، من الإيمان العميق برحمة الله سبحانه بالرغم من زعم اليهود نقلهم صفات القسوة والحقد وسرعة الغضب التي يتصف بها يهوا عن توراة موسى، وقد أشار القرآن الكريم إلى المشاعر الحقيقية لموسى بهذا الخصوص، وذلك فيما ذكر من دعاء موسى، عليه السلام، وماتلقاه عن ربه فقد قال سبحانه: [واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شئ]^(٤).

(١) سورة الشورى، الآية ١١.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٥٤.

(٣) سورة الزمر، الآية ٥٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٥٦.

وهكذا نزه الإسلام بنصوصه الشرعية خالق السموات والأرض عن كل مانسبه إليه اليهود من نقائص نتيجة إيمانهم بنص الخطيئة الأولى.

ففي حين يصف اليهود إلههم بالظلم والقسوة في أول أسفار التوراة نجد أول آية نزلت على رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم تصف الله بالرحمة اللانفكة بجلاله (بسم الله الرحمن الرحيم) ثم تتكرر هذه الآية في بداية كل سورة من سور القرآن لتكون فيما بعد الصيغة المقدسة التي تجري على لسان المسلم في بداية مطعمه ومشربه وقراءته وعند قيامه بكل أمر ذي بال يهّم به.

وما قرره الإسلام من سعة رحمة الله سبحانه وشمولها لكل شيء ينفق مع منطلق العقل الإنساني، ذلك أن العقل هو الآخر يقرر أن الرحمة كمال في المخلوق فأولى أن تكون كمالاً لازماً للخالق، لاسيما والعقل يطالع من مظاهر رحمته سبحانه وصور لطفه في عباده ما لا سبيل إلى إنكاره، وهنا يتكشف جانب آخر من جوانب مجافاة اليهودية للعقل وبعدها الواضح عن منطقته في تنزيه الله عز وجل.

أما المسيحية فقد حاولت أن تكشف عن رحمة الله بما ذكرته عن الفداء فإذا هي تضع الله سبحانه في موقف آخر من مواقف القسوة، وهو قسوته على ابنه الوحيد - كما يزعمون - وقد أدى هذا بأصحاب العقول من أهل الكتاب إلى محاولة تعليل تناقضها مع العقل، فكان منهم من وصل به فكره إلى الإبقاء على المسيحية مغلقاً باب النقاش في نصوص الدين وشعائره، لأن مثل هذا النقاش - فيما يزعم - يفوت الفائدة المرجوة من الدين، فنصوص الدين عند توماس هوبس هي: 'كأقراص الدواء إذا ابتلعت أفادت وإن مضغت كانت مرة المذاق'^(١).

(١) الدكتور رفقي زاهر، أعلام الفلسفة الحديثة رؤية نقدية، ص ٣٨.

أما الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه فقد شن هجوما عنيفا على الدين بعامه، وعلى الديانة المسيحية خاصة، كاشفا عن تناقضها الصارخ مع مبادئ العقل فهو يقول: "كيف نتصور أن ينبجإ إله أطفالا عن طريق زوجة فانية"^(١).

ومن أبناء الدينين السابقين من سار في طريق المقارنة العقلية إلى أبعد مدى وتحرر في البحث من كل قيد فهذاه الله إلى دين الحق، ولم يتردد بعد ذلك في إرشاد الضالين إلى الطريق الذي سلكه عسى أن يسعدوا بالغاية التي انتهى إليها، ولاتزال الأبناء تطالعنا كل يوم بأسماء مفكرين كبار تركوا دينهم الموروث واعتنقوا الإسلام رغم ما يتعرضون له من أذى واضطهاد، ومن ألمع الأسماء التي تذكر في هذا انصدد موريس بوكاي، وروجيه جارودي، ومن العلماء القدماتر بن يحي المتطيب، الذي عرض موقفه من الإسلام بغاية الصراحة والوضوح عندما قل:

"لو كان فيكم رجل عليم، له عقل سليم، لتفكر في أمر النبيين وبحث عن أصول الدين، حتى يقف على اليقين، لعرف أن الدين عند الله الإسلام، وأن شريعة محمد سيد الأنام، هي الشريعة الواضحة وميزان أمته هي الميزان الراجحة"^(٢).

والخلاصة أن العقل المتجرد إذا نظر في أمر المقارنة بين الإسلام من جهة واليهودية والمسيحية من جهة أخرى، فإنه يدرك الفرق بين دين تكفل الله بحفظه وبقائه ودين لعبت فيه يد البشر بالتحريف.

٢- الأساس التاريخي:

لا يقل هذا الأساس كثيرا في أهميته عن الأساس العقلي، فكثير ممن يهمهم

(١) الدكتور رفقي زاهر، أعلام الفلسفة الحديثة رؤية نقدية، ص ١٥٢.

(٢) النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصراني. تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور محمد

عبد الله الشرقاوي، ص ١٤٧.

الوصول إلى الحق ينتظرون الوصول إليه بالوقوف على حقائق تاريخية ثابتة، وذلك لما تتميز به هذه الحقائق من حيذة وموضوعية تلك الحيذة التي تجعلها مقبولة من كل الأطراف، وحرصا على ذلك ساعتمد على آراء مؤرخين وعلماء يتسمون بالتجرد في دراستهم وطرح آرائهم ليكون ذلك مدعاة لقبول أهل الكتاب، فقد استمد هؤلاء فكرة الخطيئة من كتابهم المقدس، فإذا ثبتت صحة هذه النصوص تاريخياً أدى ذلك بطبيعة الحال إلى صحة ماورد فيها، وبالتالي إلى صحة قصة الخطيئة الأولى وأثارها الواردة في هذه النصوص المقدسة، وإذا ثبت غير ذلك تضمن عدم صحة مضمون هذه الأسفار، وبالتالي فساد ماورد فيها بخصوص مضمون البحث وأثاره الناتجة عنه.

ولما كانت الكتب المقدسة تعد المصدر الأساسي لكل الأديان السماوية إذ يستمد المؤمنون بها إيمانهم وعقائدهم وكذا شرائعهم، كما تعد الوثائق الصادقة على صحة أي دين من الأديان، فقد استقطبت دراسة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد اهتمام المؤرخين لما يتسم به هذا الكتاب من أهمية دينية وتاريخية، وكانت دراستهم تلك بقصد الوصول إلى حقائق تاريخية تعينهم على معرفة حقيقة هذه الحياة وأصلها وموجدها.

١ - العهد القديم:

كان ممن اتجه إلى دراسة الكتاب المقدس دراسة موضوعية بعيدة عن التحيز رغبة في الوصول إلى الحقيقة ويل ديورانت المؤرخ المعروف فكان مما خلص إليه فيما يخص توراة موسى:

"إن العلماء مجمعون على أن أقدم ماكتب من أسفار التوراة هما القصتان المتشابهتان المنفصلة كلتاهما عن الأخرى في سفر التكوين، تتحدث إحداهما عن الخالق بإسم (ياهو).

على حين تتحدث الأخرى عنه باسم ألوهيم، ويعتقد هؤلاء العلماء أن القصص الخاصة بياهو كتبت في يهوذا، وأن

القصص الخاصة بألوهيم كتبت في إفرام، وأن هذه وتلك قد
 إمتزجتا في قصة واحدة بعد سقوط السامرة.
 وفي هذه الشرائع عنصر ثالث يعرف بالثنائية أكبر الظن أن
 كاتبه أو كتابه غير كتاب الأسفار السالفة الذكر.
 وثمة عنصر رابع يتألف من فصول أضافها الكهنة فيما بعد،
 والرأي الغالب أن هذه الفصول تكون الجزء الأكبر من (سفر
 الشريعة) الذي أذاعه عزرا ويبدو أن هذه الأجزاء الأربعة قد
 اتخذت صورتها الحاضرة حوالي ٣٠٠ ق.م^(١).

ويتضح لنا من الكلام السابق أن ويل ديورانت قد توصل إلى أن هذه
 الأسفار قد دونت عقب وفاة موسى، وبالتالي لا يمكن نسبتها إليه، عليه السلام.
 وقد حاول أولدزر في مقدمة تفسير الكتاب المقدس المعنون بـ "أسفار
 العهد القديم التاريخية" الرد على ما وصل إليه ويل ديورانت وأمثاله من
 العلماء من أن تعدد أسماء الإله في الأسفار الخمسة دليل على تعدد مصادرهما
 وبالتالي عدم نسبتها إلى موسى، عليه السلام.

فذهب في رده عليهم إلى القول:

"كانت الحجة البارزة من البدء، مؤسسة على تنوع استعمال
 الأسماء الإلهية، ونتيجة لهذا التنوع تعود العلماء أن يتكلموا
 على المصادر اليهودية (Yahwistic) والألوهية
 (Elohisitic) (الوهيم) للدلالة على إسم الجلالة في الفصول
 المختلفة، لكنه قد أشير إلى أن القرآن كتاب المسلمين
 المقدس، فيه مثل هذا التنوع. ففي بعض المواضع يستعمل
 الاسم (الله) وهو بالعبري (ألوهيم) وفي أخرى يستعمل الإسم

(١) ويل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ج ١، ص ٣٦٧-٣٦٨.

راجع أيضاً: سهيل ديب، التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١٣-١٤.

(رب) العربي المعادل ليهوه العبري، وفضلا عن ذلك يمكن لفت النظر إلى استعمال التركيب (يهوه ألوهيم) الرب الإله، الموجود في (تك ٢: ٤-٣: ٢٤) (ومرة واحدة في خر ٩: ٣٠). إن استعمال الإسمين معا لم يجعل أي عالم يظن أن هذا القسم لا بد أن يكون من مؤلف آخر، وهذا يرى أن انتمسكين بالنظرية ليسوا متأكدين تماما بثبات حجتهم المشتقة من التنوع في استعمال أسماء الله^(١).

والواقع إن اسم "الله" في الإسلام لا يطلق إلا على الذات الإلهية فهو كما قال الشيخ عبد الرحمن حبنكة:

"إسم علم في اللغة العربية على الذات الإلهية الجامعة لجميع صفات الكمال، والمنزهة عن أية صفة من صفات النقصان التي لاتليق بكمال الألوهية والربوبية، ولذلك فهو أعظم أسماء الحسنى.

ومن خواص هذا الإسم: أنه لم يسم به غير الخالق جلّ وعلا، لا على سبيل الحقيقة، ولا على سبيل المجاز"^(٢).

والرب في الإسلام من أسماء الله ذات الدلالة على أنه: "الخالق، المنعم الرزاق، المحي المميت، الذي بيده الخلق والأمر. والنفع والضرر، والخير والشر، وهو الذي يبطل ثم يحاسب، ثم يجازي - واحد لا شريك له"^(٣) وهو إسم مستخدم أيضا في الديانات المنتحلة كالديانة المجوسية التي تعتقد بالرب الثاني، والنصارى الذين يقولون بالرب الثلاثي، وبعض الوثنيين يقولون بأرباب كثيرة جدا.

(١) تفسير الكتاب المقدس، ج ١، ص ٤٧-٤٨.

(٢) الشيخ عبد الرحمن حبنكة، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص ١٥٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٧٩.

كما يمكن استخدام الإسم (الرب) دون آل التعريف لأمر تتعلق بالبشر كأن يقال: رب المنزل، ورب الأسرة، إلى غير ذلك من أمثلة، فهو إسم ذو دلالة وصفية سواء كانت موجهة للدلالة على خالق السموات والأرض المنعم المدير، أو كانت موجهة للدلالة على الآلهة منتحلة أو غير ذلك.

ومما سبق نجد أن "الله" هو إسم الذات الإلهية الذي لا يمكن أن يطلق على غير الله سبحانه وتعالى بأي حال من الأحوال، في حين أن ألوهيم ويهود يطلقان في العقيدة اليهودية على الذات لله دون أن يكون لهما أي دلالة على صفة من صفات الإله.

وهكذا نصل إلى عدم صحة وجهة نظر أولدزر عندما حاول دفع ما انتهت إليه هذه الدراسات التاريخية من شك في صحة أسفار العهد القديم التي أكدت على تعدد وإختلاف مصادرها. وبالتالي عدم نسبتها إلى موسى، عليه السلام.

ويجمل لنا الدكتور على عبد الواحد وافي مجموعة من الملاحظات التي وردت في بعض الدراسات اللغوية التاريخية النقدية للتوراة قائلا:
 تظهر للمحدثين من ملاحظة اللغات والأساليب التي كتبت بها هذه الأسفار، وما تشتمل عليها من موضوعات وأحكام وتشاريع، والبيئات الإجتماعية والسياسية التي تتعكس فيها ظهر لهم من ملاحظة هذا كله أنها ألّفت في عصور لاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير (وعصر موسى يقع على الأرجح حوالي القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد) وأن معظم سفري التكوين والخروج قد ألّف في حوالي القرن التاسع قبل الميلاد وأن سفر التثنية قد ألّف في أواخر القرن السابع قبل الميلاد، وأن سفري العدد واللاويين قد ألّفا في القرنين الخامس والرابع قبل

الميلاد... وأنها جميعا مكتوبة بأقلام اليهود، وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة وتعكس الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة لديهم في مختلف أوار تاريخهم الطويل"^(١).

وقد أشار الدكتور وافي إلى أن هذه الدراسات اللغوية التاريخية التي انتهت إلى أن أسفار التوراة كتبت في عصور لاحقة لعصر موسى، عليه السلام، انتهت أيضا إلى أن معظم أسفار العهد القديم ألفت في عصور متأخرة عن عمرها الزمني"^(٢).

وقد حاول أولدزر أيضا دفع نتائج هذه الدراسة اللغوية، فقال: "استلقت النظر إلى بعض الاختلافات في اللغة والأسلوب والنظرة اللاهوتية ولكن أحكاما من هذا النوع شخصية للغاية وأهميتها ضئيلة للغاية. أحد المدافعين عن نظرية الوثائق هذه، وبعد أن قام بفحص كامل ودقيق وصل إلى النتيجة الختامية بأن قرر أنه لا يوجد سوى قليل جدا من المميزات اللغوية في المصادر المتنوعة، ويشعر أنه مضطر إلى أن يسلم بأن مثل هذا العدد القليل من الاختلافات يمكن أن يكون عرضيا لاغير"^(٣).

وعند مناقشة رأي أولدزر السابق، سوف نجده ضعيفا من عدة وجوه نذكر منها: عدم ذكره لإسم هذا المدافع الذي إضطر للقول إنها إختلافات

-
- (١) الدكتور على عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص ١٧.
- (٢) المرجع نفسه، ص ١٨. راجع أيضا: الدكتور حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص ٢٦-٢٨. وأحمد عبد السلام الحلواني، الدين المقارن، اليهودية، ج ٣، ص ٧-٨.
- وموريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والأنجيل، ص ٢٨-٢٩. وسهيل ديب، التوراة بين الوثنية والتوحيد، ص ١٣. وعلاء الدين المدرس، الظاهرة القرآنية والعقن، دراسة مقارنة للكتب المقدسة، ص ١٨-١٩.
- (٣) تفسير الكتاب المقدس، ج ١، ص ٤٨.

لغوية عرضية مما يضعف الاستناد عليه، كما أنه لم يتمكن من إنكار وجود هذا النوع من الاختلافات، والتي أكدها العالم بالأدلة، فما كان منه إلا أنه قلل من شأنها، وكأنها بذلك أضعف أهميتها أو تمكن من إخفائها.

والواقع أن محاولته تلك باءت بالفشل، فالحقائق العلمية التاريخية تؤكد هذه الحقيقة، وهو مآقرره كثير من العلماء نذكر على سبيل المثال قولاً لزينون كاسيدوفسكي جاء فيه:

"لقد بين التحليل النقدي للتوراة أن الأسفار الخمسة هي عبارة عن جمع من النصوص التي يبدأ تاريخها من القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وينتهي في القرن الرابع قبل الميلاد. ونحن استخدمنا هنا مصطلح (جمع) عن سابق إدراك وقصد لأن تلك الإقتباسات خيطة بطريقة فظة تجعل من السهل إعادة فكها وتمييز أجزائها المكونة."^(١)

وهكذا أثبت صاحب هذا الرأي أن نصوص الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى خالية من أي قداسة لأنها غير متجانسة، بل هي مجموعة بطريقة عشوائية بدليل إمكانية تفكيكها وتمييز مقاطع مكوناتها.

وقد قام موريس بوكاي بإلقاء الضوء على جانب من الجوانب التي ساعدت على تغيير بل تحريف نصوص العهد القديم فذهب إلى:

"إن العهد القديم يتكون من مجموعة من المؤلفات الأدبية. أنتجت على مدى تسعة قرون تقريباً، وهو يشكل مجموعة متفارة جداً من النصوص عدل البشر من عناصرها عبر

(١) الواقع والأسطورة في التوراة، ترجمة الدكتور حسان إسحاق، ص ١١٠-١١١. راجع أيضاً: الدكتور فؤاد حسنين علي، التوراة عرض وتحليل، ص ٢٥. والدكتور محمد شلبي شتيوي، التوراة دراسة وتحليل، ص ١١٢-١١٣. والدكتور محمد أحمد دياب عبد الحافظ، أضواء على اليهودية من خلال مصادرها، ص ١٤٥.

السنين، وقد أضيفت أجزاء لأجزاء أخرى كانت موجودة من قبل، بحيث أن التعرف على مصادر هذه النصوص اليوم عسير جدا في بعض الأحيان^(١).
وقد أضاف في موضع آخر:

"إن معرفة تاريخ النصوص تسمح، في الواقع، لتكوين فكرة عن الظروف التي قادت إلى التعديلات النصية عبر القرون وإلى التكوين البطئ لمجموعها كما نملكه اليوم بأجزاء متعددة محذوفة وأخرى مضافة.

إن هذه المعلومات تجعل معقولا تماما، انوجود في العهد القديم روايات مختلفة عن موضوع واحد وأخطاء تاريخية وأمورا متناقضة وأخرى غير معقولة أو يستحيل أن تتفق مع المعطيات العلمية الثابتة. إن استحالة الاتفق مع المعطيات العلمية أمر طبيعي تماما في كل المؤلفات الإنسانية القديمة، وكيف لانجد مثل هذه التعارضات في كتب كتبت في ظروف كذلك التي تكون فيها نص التوراة...؟"^(٢).

وهكذا نصل إلى اتفاق كثير من المحققين على وقوع التحريف والتبديل في أسفار العهد القديم، وإلى أن أسفاره الخمسة الأولى لاتمت إلى موسى، عليه السلام، إذ إنها جمعت وكتبت على مدى قرون طويلة بطريقة عشوائية^(٣) جعلت من الطبيعي وقوع اختلاف وتناقض في نصوصها.

(١) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٢٨٤.

(٢) موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعهد، ص ٦١.

(٣) راجع: عبد الفتاح عبد الحميد، نظرة على طريق حكماء صهيون (بامسلي العالم

اتحدوا)، ص ١١-١٢.

٢ - العهد الجديد:

أما نصوص العهد الجديد فقد أثارت إهتمام العلماء فأقبلوا على فحص نصوصه ودراستها دراسة تاريخية علمية بهدف الوصول إلى حقيقة هذا الجزء المهم من الكتاب المقدس والمتعلقة بالديانة المسيحية.

وقد كان ممن تطرقوا إلى هذا الموضوع موريس بوكاي الذي أشار إلى دراسة تضمنتها مقدمة الترجمة المسكونية للعهد الجديد، جاء فيه:

"لاتشير أول كتابات العصر المسيحي إلى الأناجيل إلا بعد مؤلفات بولس بفترة طويلة جدا، فالشهادات المتعلقة بوجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية تظهر فقط في منتصف القرن الثاني وبالتحديد بعد عام ٤٠ م، وذلك على حين أن هناك (كثيرا من الكتاب المسيحيين يوحون بوضوح منذ بداية القرن الثاني بأنهم يعرفون عددا كبيرا من رسائل بولس) وهذه الملاحظات التي تعرضها (المقدمة إلى الترجمة المسكونية للعهد الجديد) المنشورة عام ١٩٧٢ تستحق أن تذكر على الفور، كما يفيد التنويه إلى أن هذه الترجمة هي نتيجة عمل جماعي تضافر له أكثر من مائة متخصص من الكاثوليك والبروتستانت. إن الأناجيل التي أصبحت رسمية فيما بعد، أي كنيسة لم تعرف إلا في عصر متأخر برغم أن تحريرها كان قد تم في بداية القرن الثاني. ولكن (يكاد يكون عسيرا التقرير بما إذا كانت هذه الاستشهادات قد تمت بعد الرجوع إلى النصوص المكتوبة التي كانت تحت يد الكتاب أو أنهم قد اكتفوا بذكر أجزاء من التراث الشفهي اعتمادا على الذاكرة)".^(١)

(١) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٧٥، بتصرف. راجع أيضا: المهندس

أحمد عبد الوهاب، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ص ٢٩-٤٢.

ومن هنا نجد أنه وبشهادة علماء المسيحية نفسها، فإن الأناجيل المعروفة اليوم لم تعتمد إلا في عصور متأخرة وهي مسألة لا تتيح المجال للتأكد من مصدرها وهل هو شفاهية أو مكتوبة؟ وقد دفع هذا الغموض الذي يحوم حولها إلى إعلان بعض علماء الديانة المسيحية أنها كتابات ظرفية أو خصامية، هذا ما أكده الأب كاتينجر بقوله: "لا يجب الأخذ بحرفية الأناجيل فهي كتابة ظرفية وخصامية حدد محرروها كتابة تراث جماعتهم عن المسيح"^(١).

ويعلق موريس بوكاي على ذلك فيقول:

"إذا نظر القارئ إلى الأناجيل على أنها تعبير عن وجهات النظر الخاصة بجماعي التراث الشفهي المنتمي إلى مختلف الجماعات، وإذا نظر إليها القارئ على أنها (كتابات ظرفية أو خصامية) فإنه لن يندش عندما يجد في الأناجيل كل هذه العيوب التي هي علامة صنع الإنسان في مثل هذه الظروف"^(٢).

ومن منطلق الخلاف على مصدر العهد الجديد والكيفية التي تم عليه تدوينه واجه علماء المسيحية صعوبة في تعليل ما تحتوي عليه نصوصه من أخطاء ومغالطات فذهب باركر إلى القول إن:

"الكتاب المقدس المسيحي مع أنه كتاب بشري بوجه ما، يسجل كثيرا من الخطايا والغلطات، ويشير في مواضع عديدة إلى ضعف كاتبه ومحدوديتهم، إلا أنه - وهذا هو الحق الأساسي عنه - إنتاج إلهي، والعامل الأساسي فيه هو الله."^(٣).

(١) موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٧٨. راجع أيضا علاء

الدين المدرس، الظاهرة القرآنية والعقل/دراس مقارنة للكتب المقدسة، ص ٢١.

(٢) القرآن الكريم والتوراة والعلم، ص ٧٩.

(٣) تفسير الكتاب المقدس، ج ١، ص ٣٨.

ويبدو أنه أدرك أن محاولته تلك غير مجدية لذا أعادها وبطريقة أخرى فقال:

"أدخل الله في كلمته كثيرا من المواد لأجل العبرة والمثل، وبعض هذه الأمثال التي سجلها أمثلة رديئة. وذلك كله لتعليمنا، ولكننا يجب أن نتعلم من الأجزاء المختلفة بطرق مختلفة، فنستفيد من ذكر الأخطاء اللاهوتية والعلمية. ليس بالظن أن ذكر هذه الأقوال والأعمال في الأسفار المقدسة يؤخذ دليل على أن الله صادق عليها بل نستفيد باكتشاف الأخطاء في نور تعاليم الكتاب وأخذ الحذر منها"^(١).

أما مقدمة تفسير العهد الجديد فتعلل وجود الإختلاف في نصوص الأناجيل بقولها:

'إنفاق هذه الأناجيل وإختلافها أمر عجيب لايعل عنهم* إلا بأنها جميعا مبنية على أخبار غير مكتتبه لم تفقد بعد شيئا من صفاتها الأصيلة"^(٢).
ويتطرق سبينوزا إلى هذه المسألة قائلا:

'لم تدون أسفار العهدين القديم والجديد بتفويض خاص في عصر واحد، يسري على كل الأزمان بل جاء تدوينها مصادفة. وقصد بها أناس معينون، ودونت بحيث تلائم مقتضيات العصر والتكوين الشخصي لهؤلاء الناس... تم اختيار أسفار العهد القديم من بين أسفار كثيرة أخرى، ثم جمعها وأقرأها مجلس الفريسيين. وكذلك قبلت أسفار العهد الجديد ضمن المجموعة المقننة بقرار بعض المجامع الكنيسية التي رفضت في الوقت نفسه أسفارا أخرى كثيرة بوصفها

(١) تفسير الكتاب المقدس، ج ١، ص ٤٤.

* الأولى (لايعل له).

(٢) تفسير العهد الجديد، مقدمة الأناجيل الأربعة، دون صفحة.

منعدمة القيمة، مع أن كثيرا من الناس كانوا يقدسونها، على أن أعضاء هذه المجامع (سواء مجامع الفريسيين أم مجامع المسيحيين) لم يكونوا أنبياء بل كانوا من ذي الخبرة والفقهاء فحسب...^(١)

بل إن بعض العقائد المسيحية لها صلة قوية بالخطيئة الأولى ثبت تاريخيا أنها من إضافات الكهنوت في عصور لاحقة للمسيح، فمثلا قولهم ببنوة المسيح لله، وألوهيته ظهر أول مآظهر في القرن الثاني عشر هذا ماقرره شارل جنيبير. إذ قال:

"ومنذ القرن الثاني أصبح من المبادئ المعتمدة أن عيسى هو ابن الله ينتسب إليه نسبة مباشرة، وإن كانت من نوع خاص، ثم إنه هو أيضا هو الله، وهو منظم العالم بإرادة الأب وبمعونة الروح القدس."^(٢)

ويقرر ويلز المؤرخ المعروف عجزه عن قبول تأليه المسيح بقوله:
 "فإن شطرا عظيما من العالم المسيحي يعتقد أن عيسى كان الصورة الجسدية لذلك الإله رب العالم أجمع الذي كان اليهود أول من عرفه - والمؤرخ لا يستطيع - إن هو شاء أن يحتفظ بصفته تلك - أن يقبل ذلك التأويل أو ينكره. كان عيسى يبدو من الناحية المادية في صورة إنسان. ولذا وجب على المؤرخ أن يتناوله بوصفه إنسانا"^(٣).

وبعد هذا العرض نصل إلى حقيقة الأسفار المقدسة بعهديها، فأسفار العهد القديم كتبت في عصور لاحقة للعصور التي ينسب إليها، وهو ماينطبق

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة الدكتور حسن حنفي، ص ٣٤٣-٣٤٤.

(٢) شارل جنيبير، المسيحية، نشأتها وتطورها، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود،

ص ١٥٧.

(٣) موجز تاريخ العالم، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، ص ١٧٢.

على العهد الجديد بصفة عامة، وعلى الأناجيل بصفة خاصة، التي لايسبب أي منها إلى عيسى، عليه السلام، وهو الأمر الذي يثبت أن هذه الأسفار ليست مقدسة وأنها مجرد روايات من وضع الإنسان قابلة للرد والقبول، وأنه لا يوجد أي سند تاريخي يمكن أن يعتمد لتأكيد زمن وطريقة كتابتها وتحديد مصدرها في حين نجد:

'أن القيمة التاريخية للقرآن لاتقارن مع الكتب المقدسة الأخرى، وأن النص القرآني لايطرح مشاكل تتعلق بالصحة ولو بشكل يسير، ونتيجة للتواتر الذي نقل به القرآن من الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم إلى الكتبة ثم جمعه وتدوينه في شكله النهائي في عهد عثمان -رضي الله عنه- * يتميز وبشكل فريد بالنسبة لأي كتاب آخر على وجه الأرض، وبالصحة المطلقة فيما يخص النص أو الترتيب...'(١)

ويؤكد موريس بوكاي القيمة التاريخية للقرآن فيشير إلى أن: "أقدم الوثائق القرآنية المعروفة في أيامنا التي وجدت في كل العالم الإسلامي تضابق كل منها للأخرى تماما. كذلك الأمر أيضا بالنسبة للمخطوطات التي في حوزتنا في أوروبا (توجد بالمكتبة الوطنية ببيريس قطع يرجع تاريخها، حسب تقدير الخبراء، إلى القرن الثامن والتاسع الميلاديين أي إلى القرنين الثاني والثالث من الهجرة) '(٢)

* راجع: محمد عبد العظيم تزرقاني، مناهل العرفان، ج٢، ص٢٣٢ وما بعده.

(١) علاء الدين المدرس. الظاهرة القرآنية والعقل، دراسة مقارنة للكتب المقدسة.

ص٥٧. راجع أيضا: موريس بوكاي. القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعد

ص١٥١-١٥٦

(٢) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص١٥٦

وصدق الله العظيم إذ يقول:

[إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون]^(١)

٣- الأساس الغائي:

إن أساس المفاضلة بين الأديان عند كثير من الباحثين هو ما يكون في أحد هذه الأديان من زيادة في الحث على العمل، وهذا ما تميل إليها فلسفة البراجماتزم في أمريكا، وهذا المقياس ليس دقيقاً، لأن هنا ما هو أرقى منه وأنسب لطبيعة الأديان وهو تحقيق السعادة. والسؤال الذي يطرح هنا هو، أي الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام، يكفل السعادة الإنسانية بشكل أوفى وأتم، تلك السعادة التي تقوم كما أشار اتديس توما الإكويني: "أولا وأصالة بمعرفة الله ومحبه، وثانيا بمزاولة الفضائل، وأخيرا بصحة الجسم وبالخيرات الخارجية إن أمكن، من مال وكرامة، تستخدم كوسائل للحياة الفاضلة..."^(٢).

فاليهودية كما رأينا دين يفتقد كثيرا من الفضائل الكفيلة بتحقيق هذه السعادة، فقد وصفت صفوة الخلق من الأنبياء والصالحين بصفات ينفر منها أهل العقل الراجح والرأي السديد من الذين يلتزمون سعادتهم وسعادة الإنسانية في هداية الأنبياء، فالخطيئة فطرة إنسانية موروثه عن آدم وحواء، وهذه الفطرة لا تتسنى مقاومتها لذا كان من الحكمة عندهم مسابرتها ومجاراتها. وهكذا أصبح المجتمع اليهودي خاليا من الفضائل الأساسية التي يحرص عليها كل مجتمع إنساني كريم. وهو أمر يستتبع انتشار الفجور، ويلزمه ضياع صحة الأفراد وضياع خيراتهم سواء المعنوية أو المادية. بل إن هذه العقيدة أضاعت كرامة المرأة الأم مربية النشء والزوجة الراعية لبيتها، وهو ضياع لكرامة الأمة وسعادتها، وقد أشار علي الشوك إلى

(١) سورة الحجر . الآية ٩ .

(٢) يوسف كرد. تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصور الوسطى، ص ١٩٦ .

السبب الذي يكمن وراء ذلك بقوله:

"إن كتاب قصة الخليقة وسقوط الإنسان حملوا المرأة وليس الرجل، جريرة السقوط*، وهو موقف صريح في انحيازها ضد المرأة...ومنذ القدم، وحتى يومنا هذا، ارتبط اسم المرأة بإبليس، بصفتها الجنس الهش القابل للإغواء..."^(١)

والصلاة اليومية التي يؤديها اليهود حتى يومنا تؤكد هذا الوضع المأساوي للمرأة فقد جاء فيها: "(مبارك أنت يا رب لم تجعلني لاوثنا ولا امرأة ولا جاهلا) بينما المرأة تكفي بقولها: (مبارك أنت يا رب الذي خلقتني بحسب مشيئتك)"^(٢)

ففي حين يتوجه الرجل للإله بالشكر لا لكونه خلقه وهداه وحفظه، بل لكونه لم يخلقه امرأة ولا وثنا، ولا جاهلا مساويا بين الجهل والأنوثة، نجد المرأة في صلاتها مستسلمة استسلام المكره لا الشاكر لأنعم الله شكرا حقيقيا. والواقع أننا لا يمكن لوم المرأة الكتابية على هذا الشعور فديانتها جعلت حياتها في مختلف مراحلها الأنثوية لعنة، فهي لعنة عند ولادتها، ولعنة في طفولتها، وفي بلوغها، وفي حملها، ولعنة وهي أم ومرضعة، بل إن الأم الحيض في اعتقاد اليهود من آثار لعنة الخطيئة الأولى، وإلى ذلك أشار علي الشوك بقوله: "استنادا الى إحدى فقرات التلمود، فإن آلام الحيض من بين اللعنات التي صيها الله على حواء"^(٣).

واستتباعا لكل ذلك فعليها الخضوع للرجل ذلك الخضوع الذي عده

* المعروف أن النص المعني حمل مسئولية الخطيئة الأولى لآدم وحواء، وإن كان حظ حواء من هذه المسئولية أكثر كما سبق بيانه.

(١) الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة، ص ٧٣.

(٢) معجم اللاهوت الكتابي، مادة امرأة.

(٣) الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة، ص ٨٠.

المؤمنون بسفر التكوين من آثار لعنة الخطيئة الأولى، وهكذا تحولت حياتها بمفهومها اليهودي إلى خطيئة بجميع عناصرها. وبطبيعة الحال لا يمكن لهذا المفهوم أن يحقق السعادة المنشودة للإنسان.

أما الديانة المسيحية فهي أيضا تفتقد المعنى الحقيقي للسعادة الدنيوية فأصحابها الذين يؤمنون بما وجدوه في العهد القديم من ميراث الخطيئة الأولى وما يتضمنه من شقاء الإنسانية، يؤمنون أيضا بعقائد جلبت عليهم الشقاء مضاعفا.

فعلى المسيحى أن يتذكر دائما لعنته التي التصقت به بسبب خطيئة أبويه آدم وحواء، وعليه أن يعيش مع إثمهما وما يرتبط به من شقاء، ذلك الإثم الذي ولد معه، وارتبط به حتى مماته، ولنا أن نتصور مدى شقاء هذا الإنسان بما ورثه من إثم لا يلد له فيه ولا ذنب. واستنادا إلى الواقع نجد أن الشعور بالإثم يؤدي بصاحبه إلى الشقاء. وهذا ما قرره راسل بقوله: إن الشعور بالإثم... يجعل الإنسان تعيشا ويشعره بالدونية^(١).

ولنا أن نتصور أيضا ماتزول إليه حياة المسيحى عند شعوره بإثم أبويه آدم المفروض عليه، فإذا كان الشعور بالإثم يملأه تعاسة وشقاء كما قرر راسل، فكيف الحال بمن يفرض عليه تحمل إثم الخطيئة الأولى منذ لحظة وعيه وحتى مماته. إن المؤكد أن حياته ستكون سلسلة من الشقاء.

وهو الأمر الذي دفع أصحاب بيلاجيوس البريطاني ورفيقه سلستيوس

الأيرلندي وكانا راهبين من روما إلى القول:

إن ما يمنع السعادة الأبدية القول بسرمان الخطيئة الجدية إلى نسل آدم وإن الإنسان يحتاج إلى تجديد القلب بنعمة من الله تعالى تمنعه من الإقدام على الخطيئة وتقبل به إلى التوبة

(١) برتراند راسل، الفوز بالسعادة، ترجمة سمير عبده، ص ٩٤.

ومن ثم شرعا في إبطال ماينافي هاتين العقيدتين وتعليم الناس أن خطيئة آدم وحواء لا يؤاخذ بها أحد من ذريتهما وأن الإنسان موكول في الأعمال إلى إختياره، فمن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها." (١)

فالمرأة المسيحية لها نصيب واف مما وصلت إليه المرأة اليهودية من شقاء بسبب إيمانها بقصة الخطيئة الأولى، الواردة في العهد القديم، فكثيرا ما يؤكد بولس مكانة المرأة الهابطة، بسبب يقينه أنها وراء غواية آدم، ومن ذلك قوله:

(لتتعلم المرأة بسكوت في كل خضوع. ولكن لست آذن للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل بل تكون في سكوت، لأن آدم جبل أولاً ثم حواء، وآدم لم يغو ولكن المرأة أغوت فخلصت في التعدي) (٢).

فقوامة الرجل على المرأة في المسيحية لا بسبب ما يميز به الرجل من ميزات تساعد على القوامة من عقل يغلب على عاطفته، ولا بسبب ما تتسم به المرأة من عاطفة * لا توهلها لتحمل هذه القوامة، بل إن السبب الأساسي لتلك القوامة المتسلطة في المسيحية يوشك أن ينحصر في إيمان أتباعها بإغواء حواء لآدم. إذ تسببت في تعدي الخطيئة إلى الإنسانية بأسرها.

وقد تحدث الدكتور محمود شعلان عن وصف النصارى للمرأة فقال:

"أنها نكبة أنجس من الأفعى فسموها (منبع الشر) وأصل الخطيئة و(حجر القبر) وباب جهنم و(مآل التعاسة). وإن (ترتوللين) صرخ قائلا (أيتها المرأة يجب عليك دائما أن

(١) عبد الرحمن بن سليم البغدادي، الفارق بين المخلوق والخالق، ص ١٦.

(٢) رسالة بولس إلى تيموثاوس، الإصحاح الثاني، الفقرات: ١١-١٤.

* لابد من الإشارة إلى أن هذه العاطفة تساعد المرأة على أداء وظيفتها الأساسية كزوجة وأم.

تكوني مغطاة بالحداد لاتظهرين للأبصار إلا بمظهر الخاطئة
 الحزينة الغارقة في الدمع). بالغت الكنيسة في عدائها للمرأة
 فالمرأة في نظر الكنيسة رمز للشر والغواية ووسيلة الشيطان
 الفضلى لإغواء الرجال وإضلالهم وصفات كثيرة يصفها بها
 رجال الكنيسة ويمضون إلى أبعد من هذا فيطالبون الأبناء
 بأن يقدموا لآبائهم من الحب أكثر مما يقدمون لإمهاتهم.^(١)
 وعندما أشار الفيلسوف شوبنهاور إلى أهم خاصية في الديانة المسيحية
 كفلت - على حسب ظنه - إنتشارها قال:

"إن القوة التي استطاعت المسيحية أن تتغلب بها على اليهودية
 أولاً ثم على وثنية اليونان والرومان، إنما تنحصر في
 تشاؤمها فقط، أي في اعترافها بأن حالنا شديدة البؤس
 ومسرفة في الخطيئة"^(٢).

وقارئ سيرة هذا الفيلسوف يدرك أن تشاؤمه المعروف ونظرته القائمة
 اليائسة البائسة إلى أمه بل إلى الحياة كلها، ليست نابعة من معاملتها كما يؤكد
 بعض العلماء^(٣).

بل من إعتقاده الدفين للخطيئة الأولى وأثارها، فأمه أخطأت في حقه
 لأنها من بنات حواء وهن مذنبات بالوراثة يطبقن لعنة الخطيئة دون إرادة
 منهن، وهذا يفسر عزوفه التام عن الزواج.

كما يصور الدكتور نظمي لوقا مدى الشقاء الذي يعانيه المسيحيون
 أمثاله بسبب إيمانهم بالخطيئة الأولى عندما يقول:

(١) نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام (دراسة مقارنة) ج ١، ص ١٩٠.

(٢) أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، ص ٤٤٨.

(٣) راجع: المرجع نفسه، ص ٤٥٧.

'أما الإنسان فوقف بعد اليهودية والمسيحية موقفا لا يحسد عليه كثيرا، بسبب ما التصق به من وزر أبيه الأول ادم. ذلك الوزر الذي إعتبر خطيئة أولى، وخطيئة باقية موروثة، لا بد لها من كفارة وفداء حتى لا يذهب بجريرتها أبناء الجنس البشري كافة.

وإن أنسى لأنسى ماركني صغيرا من الفزع والهول من جراء تلك الخطيئة الأولى. وما سيقف فيه من سياق مروع، يقترن بوصف جهنم ذلك الوصف المثير لمخيلة الأطفال، وكيف تتجدد فيه الجلود كلما أكلتها النيران، جزاء وفاقا على خطيئة آدم بايعاز من حواء. وأنه لولا النجاة على يد المسيح* الذي فدا البشر بدمه الطهور، لكان مصير البشرية كلها الهلاك المبين".

وإن أنسى لأنسى التلق الذي ساورني وشغل خاطري على ملايين البشر قبل المسيح، أين هم؟ وما ذنبهم حتى يهلكوا بغير فرصة للنجاة؟! (١).

* إذا كان للدكتور نظمي لوقا بعض الدوافع الخاصة في إشارته إلى عقيدة الفداء المسيحية فمن المؤكد أن أهم هذه الدوافع إرادته تبرأة المسيحية من مسئوليتها عن الشقاء الإنساني والإلقاء بهذه المسئولية كاملة على اليهودية، فلا بد أن نغتنم نحن لهذه الدوافع، فالرجل مسيحي لا يحب أن ينسب إلى ديانته ما يكون موضع حرج له بين أبناء دينه، وإلا فأن عقيدة الفداء التي إستند إليها في تبريره لاتصلح على الإطلاق أساسا موضوعيا لهذا التبرير. وذلك لما يرد على هذه العقيدة من إشكالات سبق بيانها من قبل.

(١) الدكتور نظمي لوقا، محمد الرسالة والرسول، ص ٥٧.

وفي المقابلة الحتمية لوراثة الخطيئة الأولى وما يترتب عليها من تعاسة وشقاء، نجد الإسلام يؤكد المسؤولية الفردية. يقول سبحانه: [أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِمَا فِي صُفْحِ مُوسَى، وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى، أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى، ثُمَّ يَجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْإَوْفَى] (١).

ويتضح من قراءة هذه الآيات الكريمات أن التوراة الحقيقية قد احتوت هي الأخرى على المسؤولية الفردية، فإن لم يكن لهذه المسؤولية وجود ثابت في التوراة التي بين أيدينا. فذلك - فيما يقرره الإسلام - دليل قوي من أدلة التحريف.

إن الحياة لكي تكون سعيدة منطلقة لا بد لها من مثل عليا تسير على هديها، واليهودية والمسيحية نسبتا لهذه المثل العليا الخطايا والمعاصي، التي شجعت أهل الكتاب على مفارقتها، فالعامة ليسوا خيرا من أنبيائهم.

بينما نجد في الإسلام محافظة على المقام الرفيع والمكانة السامية الحقيقية التي يتمتع بها هؤلاء الأنبياء بناء على تمسكهم الشديد بالفضائل وحرصهم البالغ على الطهارة، فهم المثل العليا لعبادة الله، بل إن الله سبحانه يوجه خطابه لخاتم أنبيائه محمد، صلى الله عليه وسلم، في إتخاذ أنبيائه الكرام مثالا له في هداهم فهم قدوة للعامة والخاصة على حد سواء، قال تعالى لنبيه الكريم: [أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ إقْتَدِهِ] (٢).

فهم مثل الكمال البشري لا يقتربون النقائص، وهذا ما يعبر عنه في العقيدة الإسلامية بعصمة الأنبياء، وهي عصمة واقعية ترسم المثل الأعلى والقدوة العملية للإنسانية.

(١) سورة النجم، الآيات من ٣٦-٤٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٩٠.

ويتبين مما سبق أيضا علاقة الرجل بالمرأة ونظرته السيئة إليها باعتبارها المسئول الأول عن الخطيئة، كما تبين مما يترتب على ذلك من إحساس المرأة - التي تشكل قطاعا عريضا في أي مجتمع - بالتعاسة والخوف. على حين يضع الإسلام مسئولية المرأة في موضعها تماما أي بعد مسئولية آدم، وهذا يعفيها من الاحساس بالتعاسة الدائمة التي تشعر بها في ظل الدينين السابقين، وهو ما تشير إليه الآية الكريمة: [وعص آدم ربه فغوى، ثم اجنبا به ربه فتاب عليه وهدى]^(١) وقد فسر الإسلام جميع خواصها الأنثوية بعدها من الأسس التي تساعد في تحقيق دورها في هذه الحياة، وليست من آثار لعنة الخطيئة الأولى كما قرر أهل الكتاب، بل إن الإسلام حين تحدث عن أثر الخطيئة الأولى وما تجره من شقاء نسب ذلك إلى آدم دون حواء، وهو ما تشير إليه الآية الكريمة: [فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقىم]^(٢).

ولابد من الإشارة إلى أن الشقاء هنا ليس الإحساس الدائم بالتعاسة كما في اليهودية والمسيحية، فلا مكان لهذا الإحساس مطلقا. إنما يقصد بالشقاء الكدح الطويل في سبيل تحصيل الرزق ومباشرة مسئولية الخلافة في الأرض.

وقد ربط الإسلام إحساس ذرية آدم بالسعادة أو الشقاء باتباع الهدى أو الإعراض عنها، وحول هذا المعنى يقول تعالى: [قلنا أهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون]^(٣).

(١) سورة طه، الآيات ١٢١ و١٢٢.

(٢) سورة طه، الآية ١١٧.

(٣) سورة البقرة، الآيتان ٣٨ و٣٩.

وقد إعترف كثير من المنصفين حتى من غير المسلمين بمدى ما يحقته الإسلام من سعادة لأبنائه الذين لم تعرف عقيدتهم الصافية ذلك الميراث الثقيل الذي يعرفه الدينان السابقان من الخطيئة الأولى. منه الدكتور نظمي لوقا الذي يقول:

'فكان لابد من عقيدة ترفع عن كاهل البشر هذه اللعنة، وتطمئنهم إلى العدالة التي لاتأخذ البرئ بالمجرم، أو تزر الولد بوزر الوالد، وتجعل للبشرية كرامة مضمونة. ويحسم القرآن هذا الأمر، حيث يتعرض لقصة آدم، وما يروى فيها من أكل الثمرة المحرمة فيقول في سورة طه:

[وعصم آدم ربه فغوى، ثم إجتباه ربه فتاب عليه وهدى*] ويقول في سورة البقرة:

[فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم**]،^(١).

ليقول بعد ذلك مبينا جانبنا آخر من الجوانب المشرفة للدين الإسلامي:

'إن المسئولية هي أساس الكرامة الإنسانية، وأساس كل حرية، وكل أخلاق ممكنة، وهذا ما قطع به الإسلام ووضع به الحجر الأساسي لكرامة بني آدم.

فيقول في سورة النجم:

[وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى***].

* الأيتان ١٢١ و١٢٢.

** الآية ٣٧.

(١) الدكتور نظمي لوقا، محمد الرسالة والرسول، ص ٧٦.

*** الأيتان ٣٩ و٤٠.

ويقول في أكثر من سورة على سبيل التأكيد [ولا تزر وازرة وزر
أخرى]*^(١).

ويؤكد هذا الفضل بعد ذلك بقوله:

'والحق أنه لا يمكن أن يقدر قيمة عقيدة خالية من أعباء
الخطيئة الأولى الموروثة إلا من نشأ في ظل تلك الفكرة
القائمة. التي تصبغ بصبغة الخجل والتأثم كل أفعال المرء ،
فيمضي حياته مُضي المريب المتردد، ولا يقبل عليها إقبال
الواثق، بسبب ما أنقض ظهره من الوزر الموروث.

إن تلك الفكرة القاسية تسم ينابيع الحياة كلها. ورفعها عن
كاهل الإنسان منة عظمى، بمثابة نفخ نسمة حياة جديدة فيه،
بل هو ولادة جديدة حقا، ورد اعتبار لاشك فيه، إنه تمزيق
صحيفة السوابق، ووضع زمام كل إنسان بيد نفسه^(٢).

ومن هؤلاء المنصفين مارسيل بوزار الذي قال إن:

'خطيئة المعصية التي ارتكبها آدم واردة في القرآن. إلا أن
وصفها وتفسير وقائعها يختلفان اختلافا شديدا عنهما في
الديانتين اليهودية والمسيحية. فقد عوقب آدم وحواء
لمعصيتهما أمرا صارما، لا لأنهما حاولا أن يتذوقا من ثمار
شجرة المعرفة. فالله لا يقف على الإطلاق في وجه رغبة
الإسلام في التعليم، بل يشجع على العكس هذه الرغبة، ولقد
طرد من الجنة ودخل عالما متصفا بالعداوة، وغفر الله لهما
ووعدهما بشرريعة تنقذهما إذا هما إتبعاهما. وعلى هذا يرفض

* سورة الأنعام، الآية ١٦٤. وسورة الإسراء الآية ١٥. وسورة الزمر الآية ٧.

(١) اندكتور نظمي لوقا، محمد الرسالة والرسول، ص ٧٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٧٨.

الإسلام بشدة فكرة (سقوط الإنسان) فكرة الخطيئة الأصلية التي ورثت عواقبها البشرية جمعاء، ويستتبع هذا الخلاف تضادا أساسيا مع اليهودية، ومع المسيحية بخاصة، فيما يتعلق بمفهوم الإنسان وقواعد حياته الخلقية، فالإسلام ينظر إلى الإنسان لا على أنه ضعيف محتاج إلى معجزة تنقذه، بل على أنه مخلوق...مزود بعقل قادر على استيعاب (الواجب الوجود*) وبارادة قادرة على جعله يختار أفعاله^(١).

والخلاصة أننا نتبين مزيداً من قوة الإسلام وروعته وشموخه على الدينين السابقين إذا رجعنا في المقارنة بين الأديان الثلاثة إلى الأناث الغائي، وقد تيسر لي شئ من ذلك فيما يتصل بالخطيئة الأولى، ولا بد أن تصل مشاعرنا نحو هذه الروعة والشموخ إذا اتسعت مجالات المقارنة عن الدائرة المحدودة التي يدور فيها البحث.

* والواقع أن في هذه العبارة تهاافتاً شديداً ، إذ ليس في طبيعة الإنسان القاصر القدرة على هذا الاستيعاب، والأوفق أن يقال على معرفة 'واجب الوجود'.

(١) مارسيل بوازار، إنسانية الإسلام، ترجمة الدكتور عفيف دمشقية، ص ٩٤-٩٥.

الفصل الثاني

عوامل الانحراف

- ١- العامل النفسي.
- ٢- العامل القومي.
- ٣- العامل الديني.

تمهيد:

يستند التحريف الذي طرأ على الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، والإنحراف الذي دخل على مبادئه إلى عدة عوامل. ومن الممكن أن نلاحظ أثر هذه العوامل المختلفة في كل مظهر من مظاهر التحريف المتعلقة بالكتاب المقدس ومبادئه. بل وفي كل صورة من صورته، إلا أن حديثنا عن هذه العوامل سيكون مقصوراً على ما يتصل بالخطيئة الولي موضوع هذا الفصل. والعوامل المتعلقة بهذا الجانب يمكن حصرها في الثلاثة التالية:

١- العامل النفسي.

٢- العامل القومي.

٣- العامل الديني.

وفي هذا الفصل سأتناول هذه العوامل بشئ من التفصيل إن شاء الله.

١- العامل النفسي:

يرتبط تحريف النص عادة بطبيعة من قام بالتحريف وحالته النفسية، وكذلك هو الأمر لمن يقرأ النص المحرف مقبلاً عليه راضياً بما فيه من تحريف.

ومن المعلوم أن للإسرائيليين مقومات شخصية مميزة لطبيعته، وهذه المقومات النفسية نضحت على مافي الكتاب المقدس من تحريف بل وكان لها دور في قبول هذا التحريف، فمثلاً من المقومات النفسية الخاصة بهذا الشعب القسوة المتميزة، وهي قسوة أثبتتها القرآن الكريم في قوله تعالى: [ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون].^(١) وهذا ما شهدت به التوراة نفسها عليهم، فقد ورد في سفر الخروج نقلاً عن يهوا (أنتم شعب صلب الرقبة)^(٢).

وقد ظهرت هذه القسوة للعيان عندما تحدثوا عن قرار يهوا بالنسبة لأدم وحواء بعد وقوع الخطيئة الأولى. وعند حديثهم عن اللعنة التي امتدت إلى ذريتهما من بعدهما. وتتفق هذه القسوة مع طبيعتهم فلا يمكن لأصحاب القلوب الرحيمة قبول وصف إلههم بهذه القسوة المنافية لكل أصول العدل ومبادئ الرحمة، وقد أكد سليمان مظهر هذا التوافق بقوله:

"صاغ اليهود يهوه في الصورة التي كانوا هم أنفسهم عليها، فجعلوا منه إلهاً صارماً ذا نزعة حربية بالغة العنف"^(٣).

(١) سورة البقرة، الآية ٧٤.

(٢) الإصحاح الثالث والثلاثون، الفقرة: د.

(٣) قصة الديانات، ص ٣١٩، راجع أيضاً: أحمد عبد الغفور عطار، اليهودية والصهيونية، ص ١١٢-١١٣.

ومن ناحية أخرى نجد أن اليهود شعب متحلل من المبادئ الأخلاقية وقد اتجهوا إلى تبرير هذا التحلل البغيض تبريرا دينيا مريحا لأنفسهم الفاسدة. فهم تارة يبررون هذا التحلل بخطيئة آدم وحواء، وتارة بأنبياء الله وأصفيائه عندما يصورونهم غارقين في الذنوب والخطايا، مما جعلهم يقبلون على المعاصي دون رادع فكتابهم المقدس يقرر اتصاف رسل الله بكل رزية، فلا يعقل أن يكون حالهم أفضل من أنبيائهم المرسلين.

وقد أشار إلى هذه الفكرة كثير من العلماء، منهم زينون كاسيدوفسكي الذي تطرق بعد عرضه لرواية التوراة فيما يتعلق بوفاة موسى، عليه السلام، والتي قررت أن الإله أماته قبل دخول بني إسرائيل بيت المقدس عقابا له إلى تحليل وصف أصحاب التوراة لوفاة موسى، عليه السلام، بهذه الكيفية بقوله: "قد يكون إتهامهم لموسى محاولة لتبرير سلوكهم هم"^(١).

ورغم أن النصارى آمنوا كاليهود بالعهد القديم وما احتوته أسفاره حول الخطيئة الأولى، إلا أن وجودهم في فترة اتسمت إلى حد ما بالمنطق العقلي جعلهم يقبلون ويتأثرون بالتقافات الأجنبية.

وقد دفعهم هذا التأثير إلى التفكير في إنهاء الخطيئة الأولى الملقاة على الإنسان، فربطوا بينها وبين القتل والصلب، وفي هذه النقطة المهمة نجد أن موقف أتباع المسيح على نحو ما صورته الأناجيل موقف تهاون في أداء حق رسولهم عيسى، عليه السلام، مما جعلهم يشعرون بالذنب لما ذكرته أناجيلهم من القتل والصلب، وللتخفيف من هذا الإحساس الحاد بالذنب تحدثوا عن أمور تؤكد الخطيئة الأولى الموروثة من آدم وحواء، كما تؤكد أن القتل كان سببا لفداء الإنسانية من ميراثها الأليم. فلم يكن أمام المؤمنين بنصوص هذه الأناجيل لإدخال الراحة إلى نفوسهم المعذبة بهذا التقصير المنصوص عليه في العهد الجديد سوى القول بالفداء، وتجدر الإشارة إلى أن التقافات الأجنبية

(١) الواقع والأسطورة في التوراة، ص ١٢٦.

في العصور التي ظهر فيها تحريف الديانة كانت تتحدث بشكل واسع عن مفهوم الفداء المسيحي كعقيدة وثنية منتشرة آنذاك^(١)، بل إن "جراي" "Gray" يقرر أن لقصة الفداء أصولاً إسرائيلية قديمة، بل إن لها أصولاً أسبق من ظهور بني إسرائيل، تتمثل في بذل إبراهيم، عليه السلام، ابنه والتضحية به إرضاء لله، ونجد أن "جراي" "Gray" يذهب إلى أبعد من هذا عندما يقرر أن للقصة المذكورة أصولاً وثنية يمكن أن تكون منقولة من الثقافة الفينيقية حيث يذكر أن الملك "كورونوس" ضحى بابنه الوحيد إرضاء للآلهة.^(٢)

ويتمثل العامل النفسي المؤثر في عملية التحريف في مظهر واضح عند اليهود والنصارى على حد سواء، وهو ما يمكن التعبير عنه بالاستعلاء الرجولي على المرأة، فقد نسبوا إليها كثيراً من النقائص والمساوئ أولها قولهم إنها السبب وراء إغواء آدم، عليه السلام، وقد ظهر لنا فيما سبق ما لحق بذات المرأة نتيجة لهذا التصور الظالم الذي استند في فحواه على ما يشعر به الرجل الكتابي من بعد المسافة بينه وبين المرأة.

٢- العامل القومي:

إن إهم السمات الشخصية اليهودية تغلغل النزعة القومية^(٣)، وهي نزعة

(١) راجع: شارل جنيبير، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود، ص ٩٤-٩٦. وإبراهيم خليل أحمد، الغفران بين الإسلام والمسيحية، ص ٧٦-٨٦. والدكتور محمد أبو الغيط الفرت، بولس والمسيحية، ص ٢٦-٣٥. ومحمد طاهر التتير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، علق عليه ونقحه وقدم له محمد بن إبراهيم الشيباني، ص ٤٨-٥٦. وحسني يوسف القطير، عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية، ص ٢٣٣. ومحمد السعدي، دراسة في الأنجيل الأربعة والتوراة، ص ٥٩-٦٥.

(٢) راجع: Pr. George Buchana. Sacrifice in the old Testament, P. 91-92.

(٣) راجع: الدكتور حسن ظاظا، الشخصية الإسرائيلية، ص ٤٧-٥٠. وسهيل ديب،

التوراة وغاياتها، ص ٩١-٩٢.

يمكن إثباتها على أساس من المآثورات المقدسة، فنصوص العهد القديم، والتلمود، وكذا بروتوكولات حكماء صهيون، كثيراً ما تحدثت عن أهمية الإعتزاز القومي لليهود كعقيدة أساسية.

ونظراً لصعوبة استقصاء جميع النصوص المتعلقة بهذا الأمر لكثرتها، فسوف أشير إلى بعضها، لنقف من خلالها على مدى عمق هذه النزعة وثباتها في الطبيعة الإسرائيلية، فمن نصوص العهد القديم التي تؤيد هذا العامل، ماورد في سفر التثنية وهو (وواعدك الرب اليوم أن تكون له شعباً خاصاً كما قال لك وتحفظ جميع وصاياه وأن يجعلك مستعلياً على جميع القبائل...) (١)، هكذا تلقى اليهود - إستناداً إلى ماورد في التوراة - وعداً من الإله أهلهم ليصبحوا شعبه المختار متميزاً ومستعلياً على غيرهم من البشر.

ومن النصوص التوراتية التي تؤكد هذه النزعة ماورد في سفر اللاويين الذي جاء فيه (وأما عبيدك وإيماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم. فمنهم تقتلون عبيداً وإيماءً وأيضاً من أبناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتلون ومن عشائهم الذين يلدونهم في أرضكم فيكونون ملكاً لكم. وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك. تستعبدونهم إلى الدهر. وأما إخوانكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف) (٢).

لقد حدد هذا النص الشريعة اليهودية المتعلقة بالعبودية، مبيناً أن العبودية لا يمكن أن تكون إلا في غير بني إسرائيل، وهي في هذه الحالة تكون متوارثة بين الأجيال أبد الدهر. إن حصر الشريعة اليهودية للعبودية في غير اليهود، يظهر لنا نظرة اليهودي القاصرة نحو غيره من البشر، ويؤكد في الوقت نفسه التعصب العنصري المتمكن في داخله.

(١) الإصحاح السادس والعشرون، الفقرات: ١٨-١٩.

(٢) الإصحاح الخامس والعشرون، الفقرات: ٤٤-٤٦.

وقد أسهم التلمود بشكل كبير في ترسيخ هذه النزعة المتطرفة، فمن نصوصه التي ترسخ هذه النزعة في نفوس بني إسرائيل ماجاء على لسان أياربانيل: (خلق الله الأجنبي* على هيئة الإنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم، لأنه لايناسب لأمير أن يخدمه ليلاً ونهاراً حيوان وهو على صورته الحيوانية. كلاثم كلا، فإن ذلك منابذ للذوق والإنسانية كل المنابذة)^(١)، كما جاء فيه أيضاً: (الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق الموجود بين اليهود وباقي الشعوب.)^(٢)

وهكذا يتضح لنا سبب حصر بني إسرائيل العبودية في غيرهم من البشر، فهم في مفهوم بني إسرائيل العقدي - كما ظهر من النصين السابقين - حيوانات خلقت لخدمتهم، أما مظهرها البشري فهو لراحة بني إسرائيل. ولاتقف عنصرية التلمود عند هذا الحد المتردي، بل نجدها تتطاور على الملائكة الكرام بل وعلى العزة الإلهية، وذلك في قولها: (إن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، فإذا ضرب أمي* إسرائيلياً فكأنه ضرب العزة الإلهية)^(٣).

ومن هنا ندرك أن القومية اليهودية لم تجد ما يناسب مقامها بين

* الأجنبي: هو غير اليهودي - عندهم - .

(١) الكنز، ص ٧٥.

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها، راجع أيضاً: زهدي الفاتح، انيهود، ص ١٦٥-١٦٨. وصالح محمود صالح، الإنسانية والصهيونية والتلمود، ص ٢١-٢٢ وشوقي عبد الناصر، برتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود، ص ٣٥-٣٧.

* الأمي: هو غير اليهودي - عندهم - .

(٣) الكنز: ص ٧٣، راجع أيضاً: صالح محمود صالح، الإنسانية والصهيونية والتلمود. ص ١٦. وفؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي، حقيقة اليهود، ص ١٧. وسليمان مظهر، قصة الديانات ص ٣٤٤-٣٤٥.

الموجودات سوى خالق هذه الموجودات فساوت بينها وبين العزة الإلهية - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - .

وكان لبروتوكولات حكماء صهيون دور بارز في ترسيخ هذه النعرة العرقية في نفوس هذا الشعب المتعالي فنصوصها كثيرا ما تؤكد تفوقه على غيره من أبناء آدم، نذكر على سبيل المثال قولها: (الاختلاف التام في العقلية بيننا وبين الأممين هو الذي يمكن أن يرينا بسهولة آية اختيارنا من عند الله. وأنا نؤوُ طبيعة ممتازة فوق الطبيعة البشرية حين تقارن بالعقل الفطري البهيمي من الأممين)^(١).

وهكذا يتضح أن فكرة استعلاء الشعب اليهودي على غيره من البشر وتصرفاته الفوقية تجاه غيره من أبناء آدم من الأمور العقديّة الأساسية الثابتة في كتبهم المقدسة، فكما قال الأستاذ جودت السعد: "إن تمايز اليهود على الآخرين أمرا مفروغا منه ويشكل جوهر الديانة اليهودية، فأى خروج على هذا الإطار مهما كان بسيطا يقع في مصاف الردة الدينية"^(٢).

ولقد كان لهذه النزعة القومية الأثر البالغ في انحراف عدد كبير من العقائد اليهودية عن مسارها الصحيح، بغية توافقها مع متطلبات هذه العنصرية المتطرفة، وهو ما لحق بقصة الخطيئة الأولى وكثير من الآثار التي ترتبت عليها.

ويتضح لنا مما سبق أن اليهود يؤمنون بأن الخطيئة ورثت للإنسانية الخاصة منهم والعامّة على حد سواء، فأنبياء الله حملة رسالته يقعون في

(١) البروتوكول الثالث عشر .

(٢) الشخصية اليهودية عبر التاريخ، ص ٩٤. راجع أيضا: الدكتور محمد سيد طنطاوي.

بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص ٢٢٦-٢٢٧. والدكتور السيد رزق طويل. بنو

إسرائيل في القرآن، ص ١٣٢-١٣٣. والدكتور عبد المنعم الحفني، الموسوعة النقدية

للفلسفة اليهودية، مادة اليهود و

الخطايا ويرتكبون الذنوب كغيرهم من البشر بسبب هذا الميراث اللعين. وقد استخدم اليهود هذه العقيدة لترسيخ تفوقهم على الإنسانية. هذا ما تظهره نصوص العهد القديم بوضوح، ولتأكيد أثر النزعة القومية في تشكيل التصور الإسرائيلي للعقائد الدينية لاسيما فيما يتصل بالخطيئة الأولى، نورد جملة من قصص الأنبياء المستقاة من التوراة نفسها التي تظهر تماذي بني إسرائيل في تحقير غيرهم، فمن ذلك مايتعلق بالكنعانيين في قصة نوح، عليه السلام، حيث تذكر التوراة أنه بعد الطوفان سكر نوح وتعرى فسخر ابنه حام منه في الوقت الذي قام أخواه سام ويافت بستره لئلا بذلك بركته، وقد نال كنعان ابن حام لعنة جده نتيجة فعل أبيه.^(١)

وإذا كانت اليهودية قد سوغت وقوع هذه الخطيئة من نوح، عليه السلام، حملا على ما وقع من آدم قبله من الخطيئة الأولى، فإن لهذه الصورة من صور التحريف سرا قوميا لا يخفى وهو الاحتيال على استئزال اللعنة الأبدية على الكنعانيين، لما بينهم وبين بني إسرائيل من عداوة، وتثبيت البركة للساميين حيث ينتسب بنو إسرائيل إليهم، فإن الاتجاه العام يؤكد أن اليهود من الأمم السامية.

وقصة نوح، عليه السلام، ليست قصة النبي الوحيدة في العهد القديم التي نستنبط منها تحكم هذه النزعة في تحريفها، فهناك عدد كبير من قصص الأنبياء تشير من قريب أو بعيد لهذا التطرف، منها قصة لوط، عليه السلام، عندما تحكي التوراة قصة اعتزاله هو وابنتيه في الجبل، وأنهما قد سقتاه خمرا ثم عاشرتاه في ليلتين متتاليتين لتتجب كل منهما ابنا للوط. فكان كلا الولدين أبا لشعب ممتد. فالابنة الكبرى المحرصة على الفاحشة أنجبت موآب من سلالة الموابيين، والصغرى ولدت بن عمي أبا بني عمون.^(٢)

(١) راجع: سفر التكوين، الإصحاح التاسع، الفقرات: ٢٠-٢٧.

(٢) راجع: المرجع نفسه. الإصحاح التاسع عشر، الفقرات: ٣٠-٣٨.

وهذه القصة هي الأخرى لالتيق بنبي كريم كلوط، عليه السلام، ولا بابنتيه، أما سبب وجودها بهذه الكيفية المخزية المحرفة، فيعود إلى طغيان العامل القومي، فالقصة كما تذكر التوراة تحدد أن الابن الأكبر للوط اسمه موآب وهو جد الموابيين، والثاني ابن عمّ وهو جد العمونيين، وتاريخ اليهود يقرر أن الموابيين والعمونيين من ألد أعداء بني إسرائيل، ولأن هذين الشعبين يفخران مثل بني إسرائيل بأنهما من نسل الأنبياء، وضع كتاب العهد القديم هذه القصة لإثبات أن هؤلاء الأعداء، وإن كانوا فعلا من سلالة النبي لوط، عليه السلام، إلا أنهما من نسل غير شرعي.

لقد استخدم اليهود إيمانهم بالخطيئة الموروثة عن آدم وشمولها لجميع البشر ليصوروا هذا اللغظ الشائن رغبة في الحط من قدر أعدائهم الموابيين^(١) والعمونيين^(٢) فلو طأ أخطأ لأنه بشر تجري عليه لعنة الخطيئة الأولى كغيره من البشر، وبسببها أنجب أعدائهم بطريقة غير شرعية.

ونظرا لكثرة ماورد في العهد القديم من إشارات تخص هذا الجانب، فلا بد من الانتقال إلى الحديث عن العقائد الأخرى التي كان لهذا العامل أكبر الأثر في تحريفها من ذلك "عقيدة يوم الآخر". فقد أثر العامل القومي تأثيرا واضحا في تحريف عقيدة اليوم الآخر. بل هي في مجملها بعد التحريف وجدت لخدمة الجنس اليهودي ونصرته، سواء في مرحلتها الأولى وهي مرحلة إنكار، قال اليهود فيها إن الموت على حسب ما أورده قصة الخطيئة

(١) الموابيين: نسل موآب بكر ابنة لوط من أبيها، راجع: قاموس الكتاب المقدس. مادة موآب.

(٢) العمونيين: بنو عمون... نسل بني عمي ابن لوط الذي ولد في مجاورة صوغر... نال العمونيين غضب الله، لأنهم تحالفوا مع الموابيين ضد بني إسرائيل، وحكم أن لا يدخل منهم من جماعة الرب.. ولم تكن علاقتهم مع بني إسرائيل سليمة، عن قاموس الكتب المقدس، مادة بني عمون.

الأولى هو آخر معبر للحياة، فالثواب والعقاب مقصوران على هذه الحياة الدنيا، فأما الثواب فهو محصور في بني إسرائيل الذين خصهم يهوا بحبه وتكريمه، وأما العقاب فهو من نصيب أعداء شعب الله المختار.

وقد كان العامل القومي وراء تحريف هذه العقيدة في مرحلتها الثانية أيضا. فبعد ما أصابهم الاضطهاد من أعدائهم انتظر اليهود رب الجنود ليقتص لهم، وطال الانتظار دون جدوى، بل كان انتظارهم ينبئهم عن إزدياد هيبة أعدائهم وتمتعهم بالخيرات. لذا أفرد الأخبار لهذا اليوم مكان في أسفارهم المتأخرة كي ما يتم فيها القصاص من أعدائهم، ويتحقق تعويضهم عما قاسوه من ألوان الشقاء في هذه الحياة^(١).

ولما كانت الديانة المسيحية مرتبطة باليهودية من ناحيتين هما:

الأولى: إيمانهم بالعهد القديم كتاب اليهود المقدس.

والأخرى: ارتباطها باليهود من جهة العرق، فكلتاها خصت ببني إسرائيل، كما أن نبيها عيسى، عليه السلام، كان من سلالة بني إسرائيل، فقد أدى ذلك إلى تأثرها بالمسار العقدي في اليهودية، وهو ما وضع على موقفها في توجيه بعض النصوص وجهة تخدم غرضها القومي. فرغم أن الديانة المسيحية في بدايتها كانت ذات نزعة إنسانية أخلاقية، إلا أن النصارى مع ذلك كانوا معترزين بنسبهم الإسرائيلي، فالنزعة القومية، وجدت لدى النصارى، وهو مادفعهم إلى إدعاء الفضل على الإنسانية، قائلين إن الخطيئة الأولى المتوارثة ولعنتها التي شملت البشرية لم تكن لتفتدي إلا بعيسى الإسرائيلي الذي فدى بدمه الطاهر الإنسانية، فعقيدة الغداء تكمن ورائها نزعة قومية^(٢).

كما تكمن هذه النزعة في الاعتقاد بعالمية الديانة المسيحية التي يحاول النصارى ترويجها في كل مكان. رغم أن الأناجيل وإلى اليوم تحتوي

(١) راجع الدكتور محمد خليفة حسن محمد، ظاهر النبوة الإسرائيلية، ص ٨٠-٨١.

(٢) راجع: الدكتور إسماعيل الفاروقي، أصول الصهيونية في اندين اليهودي، ص ٢٣.

على نصوص صريحة تؤكد أنها ديانة خاصة ببني إسرائيل، وأن عيسى لم يأت إلا لهداية بني إسرائيل وحدهم، ومن هذا يزعم النصارى خلاف ذلك وهو زعم لا يرجع إلى حبه لتعاليم المسيحية الأصلية، وإنما يرجع في المقام الأول إلى محاولة ترسيخ السيادة القومية، وفرض هيبتهم على العالم كله بوصفهم مخلصي الإنسانية من وزر الخطيئة الأولى، حيث بذل نبيهم نفسه راضياً فداءً للجنس البشري كله.

٣ - العامل الديني:

لقد كان لإيمان اليهود والنصارى المطلق بقداصة رجال الدين الأثر البالغ في انحراف اليهودية والمسيحية عن مسارهما الصحيح، فأقوال علمائهم لا ترد ولا تنتقض، بل قد تزيد قداستها على قداصة النصوص الدينية، وفي هذا الشأن تحدث التلمود فقال: (إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله!! وقد وقع يوماً الاختلاف بين الباري تعالى وبين علماء اليهود في مسألة، فبعد أن طال الجدل تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الرابيين، واضطر الله أن يعترف بغلظه بعد حكم الحاخام المذكور)^(١).

ويوضح هذا النص التلمودي مكانة رجال الدين في الديانة اليهودية، فهي مكانة تفوق قداصة الله سبحانه تعالى عما يقولون علواً كبيراً، أما سلطة رجال الدين المسيحي فتظهر في قول للقس إلياس مقار جاء فيه:

"إن للكنيسة سلطاناً لأشبهة فيه، وهي تستمد هذا السلطان من وعد المسيح وأمره إذ قال لبطرس (وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات. فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات. وكل ماتحله على الأرض يكون محلاً في

(١) الكنز، ص ٥٣.

* إنجيل متى، الإصحاح السادس عشر، الفقرة: ١٩.

السّموات*)^(١).

وهناك شواهد كثيرة تدل على ما يحتله رجال الدين في الديانتين من مكانة - عند اليهود والنصارى - تضعهم في موضع القداسة، وهو ما سوف أعرض له لأنه يعد أحد العوامل الأساسية والمهمة وراء انحراف كل من الدينين اليهودي والمسيحي عن مسارهما الصحيح، وهذه الأهمية تظهر بالوقوف على نقطتين هما:

- ١- طبيعة الديني السابقين.
- ٢- طبيعة الأحرار والكهنة في هذين الدينين.

أولاً: طبيعة الدينين السابقين:

تعد اليهودية والمسيحية من الأديان المرحلية البينية، لارتباطهما بزمان وزمان معينين، ونزولهما على شعب بني إسرائيل، هذا ما تقرر في نصوص الكتاب المقدس، ويؤمن اليهود بخصوصية الديانة اليهودية لبني إسرائيل، إلا أنهم لا يقبلون ارتباطها بفترة زمنية معينة، كما لا يقبلون اقتصرها عليهم، لأنهم يعتقدون أن لهم دوراً ريادياً متميزاً هو هداية البشر إلى ديانتهم السماوية، ليكونوا شركاءهم في الدين، مع الاحتفاظ بالامتياز القومي ثابتاً لهم دون غيرهم.

أما ادعاء النصارى أن الديانة المسيحية ديانة عالمية فادعاء لأساس له من الصحة بدليل نصوص العهد الجديد التي تؤكد على لسان عيسى، عليه السلام، خصوصية رسالته لبني إسرائيل، واحتواء الأناجيل على نصوص تبشر على لسانه، عليه السلام، بظهور رسول يأتي من

(١) القس إلياس مقار، إيماني، ص ٤٧٩.

بعده^(١)، وهو الأمر الذي يؤكد مرحلية هذه الديانة بفترة زمنية معينة. وكانت محاولة رجال الدينين تجاوز الرابطة المكاني، والزمني لديانتهما سببا من أسباب وقوع التحريف على نصوص الكتابين، لأن نصوصهما لم تكن قابلة لمثل هذا التجاوز.

ثانياً: طبيعة الأبحار والكهنة في هذه الدينين:

فبالإضافة إلى ما سبقته الإشارة إليه من ارتباط الدينين السابقين ببيئة خاصة وجيل خاص، وما نصت عليه أسفار العهدين القديم والجديد من مرحلية هذين الدينين، فإن طبيعة رجال الدين أنفسهم لا تسمح بالقيام بتأويل هذه النصوص تأويلاً يشعر بالعالمية، ويتفادي ما ظهر بشكل قطعي واضح من منافاة الدينين السابقين للإسلام وظروف الواقع المتغير.

فالتأويل بحاجة إلى قدرات عقلية متميزة لا تتوفر لرجال الدين اليهودي والمسيحي ولا سيما في تأويل نصوص تؤكد ارتباط كل من الدينين ببيئة خاصة وفترة زمنية محددة، فهم سطحيون لا يشغلون أنفسهم بمحاولة الموازنة بين صرامة النصوص التي تقطع بمحدودية الدين، وطبيعة الإنسانية التي تتغير من عصر إلى عصر، ومن مكان إلى مكان ويتغير معها الواقع التاريخي بشكل تحتاج ملاحظته إلى قدرة متميزة.

(١) راجع: نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبيب، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، تقديم وتعليق الدكتور محمد عبد الله الشراقوي، ص ١٣٨-١٤٧. وأبو عبيدة الخزرجي، بين الإسلام والمسيحية، حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور محمد شامة، ص ٢٢٠-٢٢٦. وأحمد بن إدريس القرافي، أدلة الوجدانية في الرد على النصرانية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية، ص ١٠٩-١١٢. ونجم الدين البغدادي الطوخي، الإنتصارات في علم مقارنة الأديان، دراسة وتحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا، ص ١٢٠-١٢٦. والشيخ رحمت الله بن خليل، إظهار الحق، دراسة وتحقيق الدكتور

ومن ناحية أخرى فإنهم متهافتون على طلب الدنيا بالتماس مناصبها وأرزاقها، الأمر الذي لا يدع لهم مجالاً للتأمل والاجتهاد في فهم النصوص، ومحاولة تأويلها دون القصد إلى زيادة ونقصان في هذه النصوص، وهذا الصنيع يعكس أمراً في غاية الخطورة وهو تسخيرهم الدين نفسه لتحقيق ما يحرصون عليه من مناصب دينية ومصالح دنيوية^(١).

وهذا يعني أن رجال الدين في هذين الدينين يعانون من فساد العقائد، وخلل العلاقة بالله عز وجل، وجرأتهم في تغيير نصوص الكتب المقدسة دون تقدير لعواقب هذا التصرف الذي يتسم في الحقيقة بجرأتهم على الله عز وجل قال تعالى: [وإن منهم لفرقة يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله. ويقولون علم الله الكذب وهم يعلمون.]^(٢)، ولم يسع المنصفين من اليهود أنفسهم إلا الإقرار بما وقع فيه الكهنة من خطيئة التحريف في أسفار العهد القديم بما في ذلك التوراة نفسها يقول "هارتوينغ" "Hartwing" "إن الأجزاء الأخيرة من التوراة ليست سماوية. ولكنها من إضافات يوشع إلى سفر التثنية"^(٣).

واكتفي هنا بالإشارة إلى بعض الأمثلة التي سبق بيانها بالتفصيل، والتي تؤكد ما قررته في هذا الصدد:

١- حاول الأحرار تفسير الكدح الإنساني في هذه الحياة، ولكن هذه المحاولة

(١) راجع: السموال بن يحيى المغربي، إفحام اليهود، تقديم وتحقيق الدكتور عبد الله الشراوي، ص ١٧٥-١٧٦. والمعلم ميخائيل مشاقة، كشف النقاب عن وجه المسيح الكتاب، ضمن كتاب شهادة الكنيسة على نفسها، تحرير هياسنت الكرملية، ص ٢٦. والأرقام الزعبي، حقائق عن اليهودية، ص ٩٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٧٨.

(٣) Hirschfeld, Qirgisami studies, p. 22.

لم تكن على ما ينبغي من الجدية والاجتهاد، ومن ثم ربط هؤلاء الأحرار بين تلك الظاهرة الكونية وما تصوره عن الخطيئة الأولى.

فهم يقررون أن الكدح الإنساني مظهر من مظاهر العقاب الإلهي على الخطيئة التي ورثتها الإنسانية عن آدم وحواء، وكان لابد لكي يتفق هذا التعليل من تغيير نصوص وتشويه حقائق مما يعد افتراء على الله عز وجل.

٢- تكفل رجال الدين في اليهودية والمسيحية برعاية الكتب المقدسة، وبالتالي فهم وحدهم يتحملون مسئولية ما حدث في هذه الكتب من تشويه، من مثل ما وضعوه من افتراء يتعلق بطبيعة المرأة عندما حملوها الجزء الأكبر من الخطيئة الأولى، وقد حقق رجال الدين بناء على هذا الافتراء اثنين من أهدافهم المهمة.

أ- تفسير ما يتصل بطبيعة الأنثى من حيض وحمل وولادة على أساس أنه مظهر من مظاهر العقاب الإلهي الموروث عن حواء.

ب - ربط كثير من الحالات النسائية الخاصة ببعض الكفارات والقرايين التي تؤول إلى رجال الهيكل.

بالإضافة إلى هدف ثالث هو تأكيد سيادة الرجل على المرأة تلك السيادة التي تجعل من حقه تسخيرها في أشق الأعمال وحرمانها من أبسط الحقوق.

٣- نتقلنا هذه النقطة إلى نوع آخر من السيادة التي يتطلع إليها رجال الدين وهي سيادة العنصر الإسرائيلي على البشر أجمعين، الأمر الذي يجعل من زعامة الأحرار والكهنة زعامة على العالم كله.

ولم يكن ذلك ممكناً بغير إقحام النصوص التي تفيد العالمية على كتب الدينين رغم ما فيها من نصوص تفيد الخصوصية، وفي ضوء هذه

النقطة يمكن تفسير فكرة شعب الله المختار وعقيدة الفداء ومسائل أخرى لا يتسع لها المجال.

٤- لم يكن حرص الكهنة والأحبار على حيازة الأموال أقل من سعيهم إلى الزعامة، وهذا يفسر لنا ما يحفل به الدينان من طلب الكثير من النذور والكفارات والقرايين، ولعل أكثرها شهرة ومعرفة بين الناس هي صكوك الغفران التي جرى تداولها بين النصارى في العصور الوسطى.

ونخلص من هذا كله إلى أن طبيعة الدينين من جهة وطبيعة رجالهما من جهة أخرى كان لهما أثر قوي في تحريف الدينين، وانحراف أتباعهما عن جادة الحق الذي أراده الله، ومن ثم تتألق عظمة الدين الخاتم الذي يمتاز جوهره بالتعامل مع الواقع العالمي المتغير حتى يرث الله الأرض ومن عليها، كما أن الله سبحانه قيض له علماء حقيقيين عملوا بصدق وإيمان على فهم مبادئه ونشر رسالته، ولا عجب، فإنهم لم يكونوا حريصين على الدنيا وإنما كانوا ورثة الأنبياء، (إن الأنبياء لم يُورثوا ديناراً ولا درهماً ولكنهم ورثوا العلم).^(١)

(١) من حديث أخرجه ابن ماجه في المقدمة. باب فضل العلماء والحث على طلب العلم.

خاتمة

ها قد انتهت هذه الدراسة للجوانب الهامة للخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام، وظهر من خلالها مفهوم هذه القصة في الأديان الثلاثة، وآثارها المترتبة عليها في كلا الديانتين السابقتين اليهودية والمسيحية، وتبقى عدة ملاحظات تستحق الإشارة إليها كنتائج وتوصيات أخصها فيما يأتي:

١ - النتائج:

أولاً: إن نص العهد القديم المتعلق بالخطيئة الأولى غامض، والتفسير التي أوردها المفسرون قد زادته غموضاً وإضطراباً، وهو يتمثل في الآتي:

أ- خلو سفر التكوين عند حديثه عن الخطيئة الأولى من أي إشارة إلى معصية الشيطان وعداوته لأدم وحواء، أو إلى معرفتهما بوجوده.

ب - لم يشر نص التوراة إلى السبب الذي يكمن وراء ترصد الحية لإغواء حواء وأدم، كما أن ظاهر هذا النص لا يتفق وقول المفسرين للنص، أن الشيطان تمثل في صورة الحية ليحقق غايته من إسقاط الإنسان، فالقصة تؤكد وقوع اللعنة على جنس الحية، في حين لم تشر إلى وقوعها على الشيطان وذريته.

ج - إن الحكم الإلهي على الخطيئة الأولى قبل وقوعها يختلف عنه بعد وقوعها.

ثانياً: تأثير العقائد اليهودية وشرائعها بطريق مباشر أو غير مباشر بمضمون الخطيئة الأولى ويظهر فيما يأتي:

أ- توارث الخطيئة كلعنة أبدية يعتبر مظهراً فطرياً وأساسياً في الديانة اليهودية دفع أصحابها إلى وصف الإله بصفات النقص - تعالَى الله عما يقولون علواً كبيراً - وإلى تلويث السير العطرة لأنبياء

الله الكرام.

ب - يكمن وراء نفي اليهود لعقيدة البعث في الإسفار المتقدمة إيمانهم بمعطيات النص التوراتي للخطيئة الأولى الذي عد الموت آخر معبر للإنسانية.

ج - حظيت المرأة بالنصيب الأكبر من اللعنة اعتمادا على نص الخطيئة الذي أعدها العنصر الأساسي وراءها، ومن ثم أدى ذلك إلى إنشاء تشريعات قاهرة لإنسانيتها شملت مختلف أطوار حياتها

د - نتيجة لتصوير قصة الخطيئة الأولى اموت كاللعنة، أصبح الموت عند اليهود مدار قلقهم الشديد وخوفهم الحاد، الأمر الذي دفعهم إلى اعتبار جثة الميت نجسة، ووضع شروطا قاسية ومعقدة للطهارة من هذه النجاسة.

هـ - خلو العقائد والتشريعات اليهودية المتعلقة بالخطيئة الأولى من أي توافق مع الفطرة الإنسانية السليمة.

ثالثا: الديانة المسيحية بعقائدها الأساسية تأسست على ماورثته عن اليهودية من نص الخطيئة الأولى كجزء من العهد القديم.

رابعا: سهولة إثبات فساد العقائد المسيحية في الرجوع إلى نصوص العهد الجديد ومبادئه.

خامسا: محاولة علماء الديانة المسيحية الدفاع المستميت عن عقائدهم الموروثة لم تأت بنتيجة إيجابية فقد ألفت الضوء على مافيهما من تناقض وتهافت.

سادسا: رفض الإسلام لمبدأ توارث الخطيئة الأولى وتقريره لتوبة آدم وحواء ورجوعهما إلى الله الذي عفا عنهما وصفح بفضلهم منه.

سابعاً: قرر القرآن أن مسؤولية الخطيئة الأولى نرجع في المقام الأول الى آدم، وذلك يستبعد كل ما ألقته أصول الديانتين السابقتين على عاتق المرأة من مسؤولية الخطيئة وما رتبته على ذلك من آثار .

ثامناً: إن العقل المتجرد إذا ما نظر في أمر المقارنة بين الإسلام من جهة واليهودية والمسيحية من جهة أخرى، فإنه يدرك الفرق الشاسع بين دين تكفل الله بحفظه وبقائه ودين لعبت فيه يد البشر بالتحريف.

تاسعاً: تبين قوة الإسلام وروعته وشموخه على الدينين السابقين برجوعنا في المقارنة بين الأديان الثلاثة إلى الأساس الغائي.

عاشراً: تظهر العوامل النفسية والقومية والدينية بوضوح لدى اليهود والنصارى في كل مظهر من مظاهر التحريف المتعلقة بالكتاب المقدس، ومبادئه المرتبطة بقصة الخطيئة الأولى وأثارها.

٢- التوصيات:

ظهرت الأهمية البالغة التي يستأثر بها هذا المجال الحيوي من مجالات الدراسات الإسلامية والحاجة الماسة إلى الإهتمام به قصداً إلى تأكيد عظمة الإسلام وأصالته وشموخه وهيمنته الواضحة على الأديان السابقة، الأمر الذي يتطلب منا مزيداً من العناية والإهتمام بدراسة هذه الأديان وعقد المقارنات، وفي هذا الصدد أستأذن في عرض التوصيات المتواضعة التالية:

أولاً : تعريف طلاب المرحلة الثانوية تعريفاً مبسطاً بمصادر كل من الدينين السابقين.

ثانياً : وضع سياسة واضحة لتدريس هذه المادة في المرحلة الجامعية بشكل يتناسب مع أهميتها الإسلامية.

ثالثاً : توجيه طلاب الدراسات العليا من المتخصصين في العقيدة، نحو الإهتمام بهذا المجال في أبحاث الماجستير والدكتوراه.

رابعا: الإهتمام بتحقيق كتب التراث الإسلامي المتعلقة بالمقارنة بين الأديان، بحيث يسهل الانتفاع بها والإفادة منها.

خامسا: الحرص على ترجمة الدراسات الإسلامية انجادة في هذا المجال إلى اللغات الحية لنتمكن بها من تعريف الناطقين بغير اللغة العربية حقيقة هذا الدين الحنيف مقارنة بغيره من الأديان.

سادسا: ضرورة مشاركة علمائنا المتخصصين في مقارنة الأديان في المؤتمرات العالمية التي تعقد بهذا الخصوص لما قد تسهم به هذه المشاركات في خدمة ديننا الإسلامي الحنيف.

وأخيرا أسأل الله عز وجل أن يوفقني لخدمة دينه، ويجنبني مواضع الزلل والتقصير.

[ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين].^(١)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

المراجع

أولاً: المراجع العربية

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- إبراهيم خليل أحمد، الغفران بين الإسلام والمسيحية، دار المنار للنشر والتوزيع بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٣- أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، لجنة التأليف والترجمة، لجنة التأليف والترجمة بالقاهرة، الجزء الأول ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م.
- ٤- الدكتور أحمد حجازي السقا، أقاتيم النصارى، دار الأنصار بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- ٥- الإمام أحمد بن حنبل، المسند، المجلد الأول، مؤسسة قرطبة بالقاهرة، الطبعة الأولى د.ت.
- ٦- الدكتور أحمد شلبي، المسيحية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السادسة، ١٩٧٨م.
- ٧- الدكتور أحمد شلبي، اليهودية، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٨٢م.
- ٨- أحمد عبد الغفور عطار، اليهودية والصهيونية، دار الأندلس للنشر والتوزيع ببيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

- ٩- أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلواني، الدين المقارن، الجزء الثالث، اليهودية، مطبعة المعرفة بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م.
- ١٠- أحمد عبد الوهاب المهندس، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- ١١- الأرقم الزعبي، حقائق عن اليهودية، الدار المتحدة للطباعة والنشر، دم، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
- ١٢- أسبيرو جبور، في التوبة، المنشورات الأرثوذكسية، دم، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.
- ١٣- الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي، أصول الصهيونية في الدين اليهودي، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٨م.
- ١٤- إلياس مقار، إيماني، دار الثقافة بالقاهرة، ١٩٨١م.
- ١٥- القس إميل زكي والقس فايز فارس والقس منيس عبد النور، إيماني الإنجيلي، دار الثقافة المسيحية بالقاهرة، ١٩٧٧م.
- ١٦- البخاري، الإمام أبو عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري الجعفي، صحيح البخاري، إحياء التراث العربي ببيروت، د.ت.
- ١٧- المعلم بطرس البستاني، دائرة المعارف، الجزء السابع دار المعرفة ببيروت، د.ت.

١٨- الدكتور بطرس عبد الملك والدكتور الكساندر طمسون
والأستاذ إبراهيم مطر، قاموس الكتاب المقدس، دن،
القاهرة، د.ت.

١٩- بولس سلامة، مع المسيح، منشورات الرسل، لبنان، الطبعة
الأولى ١٩٦٨م.

٢٠- البيهقي، أو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن
الكبرى، الجزء الأول، دار المعرفة ببيروت، د.ت.

٢١- تفسير العهد الجديد، دار الثقافة بالقاهرة، الطبعة الثانية،
١٩٨٨م.

٢٢- ابن تيمية، الإمام تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبد
السلام، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، الجزء الثاني،
مطبعة المدني بالقاهرة، د.ت.

٢٣- ابن تيمية، الإمام تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبد
السلام، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
العاصمي النجدي الحنبلي وساعده ابنه محمد، الفتاوي، الجزء
٢٢ طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد
العزیز، إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين،
د.ت.

٢٤- الجعفري، أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري، الرد على
النصارى، حققه وقدم له الدكتور محمد محمد حسائين، مكتبة
وهبة بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

- ٢٥- جودت السعد، الشخصية اليهودية عبر التاريخ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
- ٢٦- الدكتور جورج فورد، نور العالم، المطبعة الأمريكية ببيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٣١م.
- ٢٧- ابن حجر، الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري، المجلد الثالث، المكتبة السلفية، د.م، (١٣٧٩هـ).
- ٢٨- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، الجزء الثاني، مكتبة الخانجي، مصر ١٣٢١هـ.
- ٢٩- الدكتور حسن ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي، دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- ٣٠- الدكتور حسن ظاظا، الشخصية الإسرائيلية، دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٣١- حسني يوسف الأطير، عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية، دار الأنصار، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٣٢- الخزرجي، أبو عبيدة الخزرجي، بين الإسلام والمسيحية، حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور محمد شامة، مكتبة وهبة بالقاهرة، ١٩٧٩م.

- ٣٣- ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون المغربي، المقدمة، تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافي، الجزء الثاني، دار نهضة مصر بالقاهرة، الطبعة الثالثة، د.ت.
- ٣٤- أبو داود، الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني، السنن، الجزء الثالث، دار الحديث، سوريا، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- ٣٥- الدكتور داود علي الفاضلي، أصول المسيحية، كما يصورها القرآن الكريم، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرباط، ١٣٩٣هـ - ١٩٨٦م.
- ٣٦- الدكتور رؤوف شلبي، المسيحية الرابعة، مكتبة الأزهر، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م.
- ٣٧- رؤوف شلبي، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، دار الإعتصام بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٣٨- رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي، إظهار الحق، دراسة وتعليق، الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، نشر الرئاسة العامة للإدارات والبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- ٣٩- ابن رشد، القاضي أبو الوليد محمد بن رشد، تهافت التهافت، الجزء الثاني، دار المعارف بالقاهرة الطبعة الثانية ١٩٦٨م.

- ٤٠- الدكتور رفقي على زاهر، أعلام الفلسفة الحديثة - رؤية نقدية - مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٩م.
- ٤١- الدكتور رفقي على زاهر، قصة الأديان، دراسة تاريخية مقارنة، النهضة المصرية بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٤٢- روبير بندكتي، التراث الإنساني في التراث الكتابي، دار المشرق، بيروت، د.ت.
- ٤٣- الزمخشري، جاد الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، الجزء الأول، دار الكتاب العربي ببيروت، د.ت.
- ٤٤- زهدي الفاتح، اليهود، دن، د.م، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٤٥- سعد بن منصور بن كمونة اليهودي، تنقيح الأبحاث للملث، الثلاث، اليهودية المسيحية الإسلام، دار الأنصار بالقاهرة، (١٩٣٢م).
- ٤٦- سليمان مظهر، قصة الديانات، الوطني العربي ببيروت والقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.
- ٤٧- السموأل بن يحيى المغربي، إفحام اليهود، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، نشر الرئاسة العامة للإدارات والبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

- ٤٨- السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، الجزء الأول
مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ببيروت، ١٩٧٣م.
- ٤٩- السهانفوري، خليل أحمد، بذل المجهود في حل أبي داود،
تعليق محمد زكريا بن يحي الكاندهلوي، الجزء ١٤، توزيع
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
باليام، (١٣٩٢هـ).
- ٥٠- سهيل ديب، التوراة بين الوثنية والتوحيد، دار النفائس
ببيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٥١- الدكتور السيد رزق الطويل، بنو إسرائيل في القرآن تاريخ
وتحقيق، دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٠م.
- ٥٢- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق ببيروت والقاهرة،
الطبعة التاسعة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٥٣- الدكتور صابر طعيمة، بنو إسرائيل في نبأ القرآن الكريم
وخبير العهد القديم، عالم الكتب ببيروت، الطبعة الأولى،
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٥٤- صالح محمود صالح، الإنسانية والصهيونية والتلمود،
منشورات فلسطين ببيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ٥٥- الدكتور القس صموئيل حبيب ودكتور القس فايز فارس
والقس منيس عبد النور وجوزيف صابر، دائرة المعارف
الكتابية، دار الثقافة بالقاهرة، ١٩٩٢م.

- ٥٦- الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني، سبل السلام، الجزء الأول، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الرابعة، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.
- ٥٧- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد الأول، دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٥٨- الطوفي، نجم الدين البغدادي الطوفي، الانتصارات الإسلامية في علم مقارنة الأديان، دراسة وتحقيق أحمد حجازي السقا، مطبعة دار البيان، مصر، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٥٩- ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعليمه، دار النفائس ببيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٦٠- عباس محمود العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، دار القلم ببيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦م.
- ٦١- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم بدمشق وبيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٦٢- عبد الرحمن بن سليم البغدادي، الفارق بين المخلوق والخالق، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، د.ت.
- ٦٣- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الجزء الثالث، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، ١٤٠٤هـ.

- ٦٤- عبد العزيز بن الشيخ بن حمد بن ناصر آل معمر، كتاب منحة القريب
المجيب في الرد على عباد الصليب، دار تقيف للنشر والتأليف، الطائف
المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٦٥- عبد الفادي القاهراتي وجماعة من اللاهوتيين المسيحيين، رب المجد،
دار منشورات النفير ببيروت، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).
- ٦٦- عبد الفتاح عبد الحميد - المحامي، على طريق حكماء صهيون
(يامسلمين العالم اتحدوا)، دار الأنصار بالقاهرة، ١٩٧٦م.
- ٦٧- عبد المجيد الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية
القرن الرابع/العشر، الدار التونسية للنشر بتونس، الطبعة الأولى،
١٩٨٦م.
- ٦٨- علاء الدين شمس الدين المدرس، الظاهرة القرآنية والعقل، دراسة
مقارنة للكتب المقدسة، مطبعة العاني ببغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
- ٦٩- علي الشوك، الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة، دار اللام،
لندن، ١٩٨٧م.
- ٧٠- الدكتور علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة
للإسلام، دار النهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة، الطبعة الثالثة،
١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
- ٧١- عمار البصري، كتاب البرهان وكتاب المسائل والأجوبة، حققه وقدم له
ميشال الحايك، دار المشرق ببيروت، ١٩٧٧م.
- ٧٢- الدكتور عمر سليمان الأشقر، الرسل والرسالات، مكتبة الفلاح
بالكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٧٣- عوض سمعان، فلسفة الغفران في المسيحية، مكتبة دار نداء الرجاء،
حمص دمشق. د.ت.

- ٧٤- الغزالي، أبو حامد الغزالي، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، دراسة وتحقيق الدكتور محمد عبد الله الشراقي، دار أمية للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- ٧٥- الدكتور فواد حسنين علي، التوراة عرض وتحليل، مطبعة دار المستقبل بالقاهرة، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٦م.
- ٧٦- الدكتور فاروق أحمد دسوقي، القضاء والقدر في الإسلام، الجزء الأول، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع بالاسكندرية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٧٧- الدكتور فرانس دافدن وجماعة من اللاهوتيين، تفسير الكتاب المقدس، دار منشورات النفير ببيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م.
- ٧٨- الدكتور قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، صدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٧٩- ابن قدامة، موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمود بن قدامة، المغني، دار الكتاب العربي ببيروت، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- ٨٠- القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي المعروف بالقرافي، الأجوبة الفاخرة، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٨١- القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي المعروف بالقرافي، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية، دن، دم، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٨٢- ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحفة الودود بأحكام المولود، خرج أحاديثه وحققه وعلق عليها وصنفها الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، دار الجبل ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- ٨٣- ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى، راجعه وعلق على حواشيه سيد الدين الكاتب، دار مكتبة الحياة ببيروت، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).
- ٨٤- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.
- ٨٥- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، خرج أحاديثه مقبل بن هادي الوادعي، المجلد الأول، دار الأرقم للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٨٦- القس لبيب ميخائيل، قضية الصليب، المطبعة التجارية الحديثة، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٥٦م.
- ٨٧- ابن ماجه، الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه، سنن ابن ماجه، دار إحياء التراث العربي، د.م، الجزء الأول، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- ٨٨- مباحث في إعتقادات بعض الكنائس، دن، بيروت، ١٨٤٤م.
- ٨٩- متولي يوسف شلبي، أضواء على المسيحية، الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- ٩٠- محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات والبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ.
- ٩١- الدكتور محمد أبو الغيط الفرت، بولس والمسيحية، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٩٢- الدكتور محمد أحمد دياب الحافظ، أضواء على اليهودية من خلال مصادرها، دار المنار للنشر والتوزيع بالقاهرة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

- ٩٣- الدكتور محمد تقي الدين الهلالي، البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولاحظ له في الألوهية، مطابع دار الثقافة بمكة، ١٣٩٣هـ.
- ٩٤- محمد حسن عبد الرحمن، براهين تحتاج تأمل في ألوهية المسيح، دار الكتاب الحديث، دم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.
- ٩٥- الدكتور محمد خليفة حسن محمد، ظاهرة النبوة الإسرائيلية، مطبوعات مركز الدراسات الشرقية بالقاهرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ٩٦- محمد رشيد رضا، تفسير القرآ، الكريم - المشتهر بإسم تفسير المنار، دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت، الطبعة الثانية، د.ت.
- ٩٧- محمد السعدي، دراسة في الأنجيل الأربعة والتوراة، دار الثقافة، الدوحة قطر، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٩٨- الدكتور محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، الزهراء للإعلام العربي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٩٩- الدكتور محمد شلبي شتيوي، مقارنة الأديان التوراة - دراسة وتحليل، مكتبة ابن تيمية بالكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- ١٠٠- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، الجزء الثاني، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع بمكة المكرمة، الطبعة الثالثة، د.ت.
- ١٠١- محمد عبده، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، دار الحدائث للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.

- ١٠٢- محمد عبده، رسالة التوحيد، مطبعة محمد على صبيح وأولاده بميدان الأزهر، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
- ١٠٣- محمد عزت الطهطاوي - المستشار، في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام، مكتبة النور للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ١٠٤- محمد عزت الطهطاوي - المستشار، الميزان في مقارنة الأديان - حقائق ووثائق، دار العلم بدمشق والدار الشامية ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ١٠٥- محمد الغزالي، عقيدة المسلم، دار الكتب الإسلامية بالقاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ١٠٦- الدكتور محمد مجدي مرجان، الله واحد أم ثالوث، دار النهضة العربية بالقاهرة، ١٩٧٢م.
- ١٠٧- الدكتور محمد مجدي مردان، المسيح إنسان أم إله، هديه وحقه وعلق عليه عبد الرحمن دمشقية، مكتبة الحرمين بالرياض، (١٤٠٦هـ).
- ١٠٨- الدكتور محمود عبد السميع شعلان، نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام دراسة مقارنة، دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١٠٩- الدكتور محمود علي حماية، التجسد والصلب بين الحقيقة والافتراء، مكتبة مروة، مصر ١٩٩٠م.
- ١١٠- المسعودي، الشيخ أبو الفضل المالكي المسعودي، كتاب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل، مطبعة التمدن، مصر، ١٣٢٢هـ.

- ١١١- مسلم، الإمام أبو الحسن بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري،
صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي ببيروت،
الطبعة الثالثة، د.ت.
- ١١٢- معجم اللاهوت الكتابي، دار المشرق ببيروت، الطبعة الثانية،
١٩٨٨م.
- ١١٣- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد
عبد القادر، ومحمد علي النجار، مجمع اللغة العربية، أشرف على
طبعه عبد السلام هارون، الجزء الثاني، المكتبة العلمية بطهران،
د.ت.
- ١١٤- مكس ميشيل، حياة المسيح، دار يوسف كمال للطباعة والنشر،
الطبعة الرابعة، ١٩٨٣م.
- ١١٥- الأب الدكتور منير خوام، المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي
المسيحية، مؤسسة خليفة للطباعة ببيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
- ١١٦- موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي، دلالة الحائرين، الجزء الأول،
تحقيق الدكتور حسن أتاي، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، (١٤٠٠هـ -
١٩٨٠م).
- ١١٧- المعلم ميخائيل مشاققة، كشف النقاب عن وجه المسيح الكذاب، دن،
بيروت، ١٨٦٠م، ضمن كتاب شهادة الكنيسة على نفسها، تحرير
هياسنت الكرملى، دن، دم، د.ت.
- ١١٨- الميروقي، أبو محمد عبد الله الترجمان الميروقي، تحفة الأريب في
الرد على أهل الصليب، دراسة وتحقيق وتعليق عمر وفيق الداغوق،
دار البشائر الإسلامية ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
- ١١٩- ندرة اليازجي، رد على اليهودية واليهودية المسيحية، طلاس
للدراسات والترجمة والنشر بدمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

- ١٢٠- نصر بن يحيى بن عيسى المتطبب، النصيحة الإيمانية في فضيحة
 الملة النصرانية، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور محمد عبد الله
 الشراقوي، دار الصحوة للنشر بالقاهرة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ١٢١- الدكتور نظمي لوقا، محمد الرسالة والرسول، مطابع دار الكتاب
 العربي، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٥٩م.
- ١٢٢- هنري أبو خاطر، نظرات في الحتمية والجبرية والحرية، الأهلية
 للنشر والتوزيع ببيروت، ١٩٨١م.
- ١٢٣- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، دار القلم
 ببيروت، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

ثانيا: المراجع الأجنبية:

(أ) كتب مترجمة:

- ١- القديس إثنايوس الرسولي، تجسد الكلمة، نقله إلى العربية القس مرقس
 داود، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة، الطبعة السابعة،
 ١٩٧٧م.
- ٢- أغوستينوس، خواطر فليسوف في الحياة الروحية، للقديس
 أغوستينيوس، نقلها إلى العربية الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق
 ببيروت، الطبعة الثالثة د.ت.
- ٣- الأب آلان مرشدور، الموت والحياة في الكتاب المقدس، نقلته إلى
 العربية الأم ماري هنرييت غانم، دار المشرق ببيروت، الطبعة الثانية،
 ١٩٨٩م.
- ٤- بوكاي، موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دار
 المعارف بالقاهرة ١٩٧٦م.

- ٥- جون ويسلي، وكلاارك ومتى هنري ولانج وغيرهم، تفسير أعمال الرسل، تعريب الدكتور عزت زكي، الناشر لجنة مكتبة الإنجيل المسيحية بالقاهرة، ١٩٧٩م.
- ٦- جون ويسلي، ومجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس، تفسير إنجيل متى، المعرب لجنة مكتبة الإنجيل المسيحية بالقاهرة، د.ت.
- ٧- جون ويسلي، ومجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس، تفسير إنجيل مرقس، تعريب إدوارد وديع عبد المسيح، الناشر لجنة مكتبة الإنجيل المسيحية بالقاهرة، ١٩٧٨م.
- ٨- جون ويسلي وكلاارك ومتى هنري وغيرهم، تفسير بشارة يوحنا، تعريب الدكتور عزت زكي، الناشر لجنة مكتبة الإنجيل المسيحية بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
- ٩- الأسقف دافيد براون، هل صلب المسيح، نقله إلى العربية جاد المنفلوطي، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، مصر ١٩٧٧م.
- ١٠- ديورانت، ويل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة الدكتور عبد الحميد يونس، المجلد السادس الجزء الأول منه، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في جامعة الدول العربية، الطبعة الخامسة، ١٩٧١م.
- ١١- ديورانت، ويل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، المجلد الأول الجزء الثاني منه، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية، الطبعة الخامسة، ١٩٧١م.
- ١٢- راسل، برتراند راسل، الفوز بالسعادة، ترجمة سمير عبده، منشورات مكتبة الحياة ببيروت، ١٩٨٠م.
- ١٣- الدكتور روهليج، الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة الدكتور يوسف نصر الله، دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

- ١٤- زينون كاسيدوفيسكي، الواقع والأسطورة في التوراة، ترجمة الدكتور حسان اسحق، دار الأبجدية بدمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.
- ١٥- سبينوزا، رسالة اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم الدكتور حسن حنفي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، د.م، ١٩٧١م.
- ١٦- الدكتور شارل جنيبير، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، د.ت.
- ١٧- فرويد، سيجموند فرويد، موسى والتوحيد، اليهودية في ضوء التحليل النفسي، ترجمة الدكتور عبد المنعم الحنفي، الطبعة الثانية د.ن، د.م، ١٩٧٨م.
- ١٨- كارل راهنز وهربرت فورغريملر، معجم اللاهوت الكاثوليكي، نقله إلى العربية المطران عبده خليفه دار المشرق ببيروت، د.ت.
- ١٩- الكتاب المقدس، ترجم من اللغات الأصلية وهي العبرية الكلدانية واليونانية، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، د.م، ١٩٨٩م.
- ٢٠- مارسيل بوازار، إنسانية الإسلام، ترجمة الدكتور عفيف دمشقية، منشورات دار الآداب ببيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.
- ٢١- نورمان كانتور، العصور الوسطى الباكورة، القرن الثالث/ القرن التاسع الميلادي، ترجمة وتعليق الدكتور قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، (١٩٩٣م).
- ٢٢- ويلز، هربرت جورج ويلز، موجز تاريخ العالم، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (١٩٥٨م).
- ٢٣- القديس يوحنا الدمشقي، المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، عربي عن النص اليوناني الأرشمندرت أدريانوس شكورف ب ، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

(ب) كتب إنجليزية:

- 1- Bradley - David G, A Guide to the world,s Religions, A Spectbom Book. Prentice-Hall, Inc. Englewood Cliffs, N.J.
- 2- Gragg. Kenneth, Jesus and the Muslim, George Allen and Unwin, London, 1985.
- 3- Gray. George Buchanan, Sacrifice in the old Testament - its theory and practice, The Clarendon Press, Oxford, 1925.
- 4- Hirschfeld. Harwig, Qirqisani studies, Printed at oxford of Frederick Hall: Jews College, London, England, 1918.
- 5- Kaufmann. Yehezkel, The Religion of Israel - From Beginnings to the Babylonian Exile, Translated and Abridged by Moshe Greenberg, Schoken Books, New York, 1972.

المحتويات

الصفحة	الموضوع
١٦-١١	المقدمة
١٩-١٧	التمهيد

الباب الأول

الخطيئة الأولى في اليهودية (١٠٢-٢١)

٢٣	الفصل الأول: قصة الخطيئة كما تعرضها
٥٥	الفصل الثاني: الآثار الناشئة عن الإيمان بالقصة المذكورة

الباب الثاني

المسيحية والخطيئة الأولى (١٧٠-١٠٣)

١٠٤	تمهيد
١٠٧	الفصل الأول: العقائد المسيحية المرتبطة بالخطيئة الأولى
١٠٨	المبحث الأول: بنوة المسيح لله
١٣٥	المبحث الثاني: الفداء
١٤٩	المبحث الثالث: عالمية المسيحية
١٥٩	الفصل الثاني: الإثم الفردي والغفران في تصور الكنيسة

الباب الثالث

الإسلام والخطيئة الأولى (١٧١-٢٤٢)

١٧٢	تمهيد
١٧٣	الفصل الأول: قصة الخطيئة الأولى كما يعرضها الإسلام
	الفصل الثاني: موقف الإسلام من الآثار الناشئة عن الخطيئة الأولى
١٨٣	في اليهودية
	الفصل الثالث: موقف الإسلام من العقائد المرتبطة بالخطيئة الأولى
٢٢٣	في المسيحية

الباب الرابع

المقارنة بين موقف الأديان الثلاثة من قضية الخطيئة الأولى

(٢٤٣-٢٩٣)

٢٤٤	تمهيد
٢٤٧	الفصل الأول: أسس المقارنة
٢٤٨	١- الأساس العقلي
٢٥٢	٢- الأساس التاريخي
٢٦٥	٣- الأساس الغائي
٢٧٧	الفصل الثاني: عوامل الإنحراف
٢٧٩	١- العامل النفسي
٢٨١	٢- العامل القومي
٢٨٨	٣- العامل الديني
٢٩٤	خاتمة
٣١٥-٢٩٨	المراجع

مطبعة الحمرانية للأوفست

الجيزة ت. ٥٨١٧٥٥٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تم تحميل هذه المادة من:

مكتبة المهتدين الاسلامية لمقارنة الاديان

<http://kotob.has.it>

<http://www.al-maktabeh.com>